
وقعة الحرة
أو
حركة المدينة المنورة
(٦٣هـ)



تأليف

حيدر السيد موسى وتوت الحسيني

هوية الكتاب

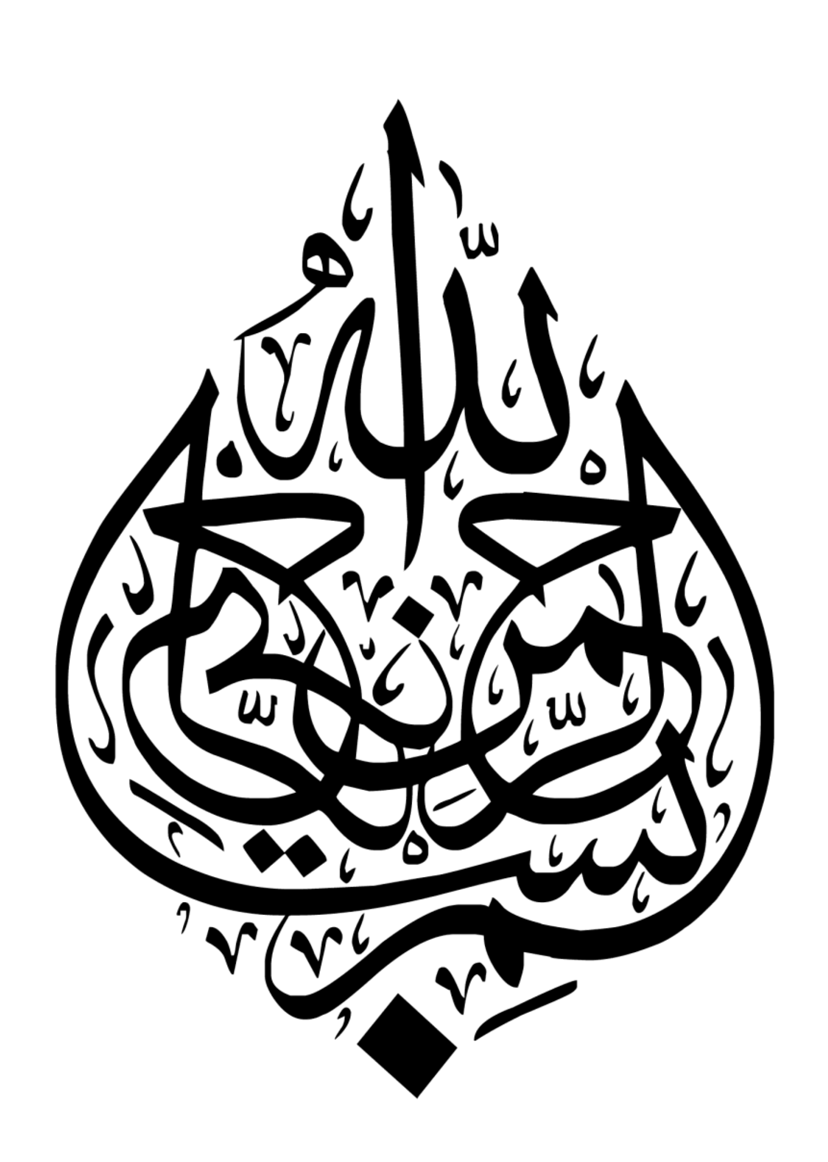
اسم الكتاب: وقعة الحرة أو حركة المدينة المنوَّرة(٦٣هـ)

اسم المؤلف: حيدر السيد موسى وتوت الحسيني

المطبعة:

الطبعة: الثانية – ١٤٤٢هـ، ٢٠٢٠م

نشر: مركز الأمير(عليه السلام) لإحياء التراث الإسلامي


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى أمين الله على وحيه المبين

الى حبيب الله وصفيّه من الخلق أجمعين

سيدي رسول الله الأعظم محمد(صلى الله عليه وآله) واله الطاهرين(عليهم السلام)

أهدي بحثي المتواضع هذا راجيا من الله تعالى القبول، ومنهم.

حيدر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كلمة بقلم آية الله الشيخ باقر شريف القرشي قدس سره [1]

تبنّى الإسلام بصورة ايجابية قضايا الإنسان وعالجها بصورة موضوعية ودقيقة، وكان من أهم ما عنى به الإسلام في جميع مراحل دعوة النبي (صلى الله عليه وآله) قضية الخلافة والقيادة العامة للأمة لأنَّ بها سلامتهم من الأزمات والمحن والخطوب، فقد الزمَ النبي (صلى الله عليه وآله) من يتولى شؤون الحكم أن يكون أبًا للأمة، وصدِّيقًا لها، يوفِّر لها ما تحتاجه في حياتها الاقتصادية وغيرها من شؤون الحياة كالأمن العام وقد عيَّن النبي (صلى الله عليه وآله) القائد العام لأمَّته، وألزمَ أن تكون تحت مظلَّة حكمه، وهو الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) أخو النبي (صلى الله عليه وآله) وباب مدينة علمه ومَن كان منه بمنزلة هارون من موسى، فقد جعله الرائد لأمته في مسيرتها، وفي سائر مناحي حياتها، ولم تجد الأمّة في جميع مراحل تاريخها كالإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في تنكّره لجميع المصالح الشخصية، فهو عملاق هذه الأمة ورائد حضارتها، والمؤسس الأول بعد النبي (صلى الله عليه وآله) لجميع قضايا الإنسان.

ومن المؤسف أنَّ الأمة بعد فقد نبيها العظيم قد تنكرت لوصايا النبي (صلى الله عليه وآله) في حقّ الإمام، فقد رَفَع الحزب القرشي شعاره الذي دوّى في رحاب المدينة وهو: « أبت قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بيت

---

(١) هذه الكلمة الجليلة المشوقة بقلم شيخنا القرشي قدس سره لم تدرج في الطبعة الأولى لسهوٍ طباعي.

واحد». فأُقصيَ الإمام عن الخلافة، وصارت فريسة بأيدي الأمويين، كان منهم حفيد أبي سفيان، يزيد بن معاوية صاحب الأحداث الجسام، التي أخلدت للمسلمين المحن والخطوب، وألقتهم في شرٍّ عظيم، وكان من أوليات حكمه إبادته للعترة الطاهرة(عليهم السلام) في صعيد كربلاء، وسبي حرائر النبوة، وأعقب ذلك واقعة الحرَّة التي انتُهكت فيها حرمة النبي(صلى الله عليه وآله) في عاصمته، وأُبيح بها دماء المسلمين، وأعراضهم، وقد عَرَض بصورة موضوعية تفصيل هذا الحادث الخطير وَلَدنا الفاضل السيد حيدر، وإنّا نبارك له هذا الجهد الخلّاق متمنّيًا له التطور في نتاجه العلمي مع خالص الدعاء.

باقر شريف القرشي

٢٨ ج ١ ١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تبنى الإسلام بصورة إيجابية قضايا الإنسان وعالجها بصورة موضوعية ودقيقة وكان من أهم ما عني به الإسلام في جميع مراحل دعوة النبي صلى الله عليه وآله قضية الخلافة والقيادة العامة للأمة لأن بها سلامتها من الأزمات والمحن والخطوب، فقد ألزم النبي صلى الله عليه وآله من يتولى شؤون الحكم أن يكون أباً للأمة وصديقاً لها يوفر لها ما تحتاج من جميع حياتها الاقتصادية وغيرها من شؤون الحياة كالأمن العام وقد عين النبي صلى الله عليه وآله القائد العام لأمته وألزم أن تكون تحت مظلة حكمه، وهو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أخو النبي صلى الله عليه وآله وباب مدينة علمه ومن كان منه بمنزلة هارون من موسى، فقد جعله الرائد لأمته في مسيرتها وفي سائر مناحي حياتها، ولم تجد الأمة في جميع مراحل تأريخها كالإمام أمير المؤمنين في تنكره لجميع المصالح الشخصية فهو مفخرة هذه الأمة ورائد حضارتها والمؤسس الأول بعد النبي صلى الله عليه وآله لجميع قضايا الإنسان

ومن المؤسف أن الأمة بعد فقد نبيها العظيم قد تنكرت لوصايا النبي صلى الله عليه وآله في حق الإمام، فقد رفع الحزب القرشي شعاره الذي دوى صداه في رحاب المدينة وهو

«أبت قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بيت واحد».

فأقصي الإمام عن الخلافة، وصارت كرة بأيدي الأمويين كان منهم حفيد أبي سفيان يزيد بن معاوية صاحب الأحداث الجسام التي أخلدت للمسلمين المحن والخطوب والفتن في شر خطير، وكان من أوليات حكمه إبادته للعترة الطاهرة في صعيد كربلاء وسبي حرائر النبوة وكعقائل ذلك وأفجع الجرائم التي انتهكت فيها حرمة النبي في عاصمته وأبيح بها دماء المسلمين وأعراضهم وقد عرض بصورة موضوعية تفصيل هذا الحادث الخطير ولدنا الفاضل السيد حيدر وأنا نبارك له هذا الجهد الخلاق متمنياً له التطور في نتاجه العلمي مع خالص الدعاء

باقر شريف القرشي

٢٨/ج١
١٤٢٩هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله العزيز الجبار المهيمن القهار ، ذي القوة المتين مالك يوم الدين ، وافضل الصلاة واتم التسليم على نبينا الامين المبعوث بخير دين سيد الكونين وشفيع الثقلين ، سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله) وعلى اله الطيبين الطاهرين.

وبعد، فقد شهد القرن الاول للهجرة الشريفة خطوبا فوادح وأحداثا جسام أحاقت بالامة وفصمت وثاق وحدتها وكادت ان تفتك بمصيرها ، متخذةً من بعض امصار الاسلام مسرحا لوقوعها وهياج فتنها ، ولمّا كانت المدينة المنورة هي أحد أهم تلك الامصار ومن اجلّها شأناً وذات مكانة خاصة في نفوس المسلمين وحياتهم ابان بزوغ فجر الاسلام وما بعده ، حيث المعقل الذي أوى اليه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وصحبه من المهاجرين الاولين ، والمنطلق الأعظم الذي انطلق منه صلى الله عليه واله لنشر دعوته الميمونة وإرساء قواعد دولته المباركة. لذا لم يكن للمدينة لتكون بمنأى عن قسوة تلك الأحداث المفجعة وما غشي الامة من مكاره ومحن فتَّت في عضُد الاسلام وأوقعت فيه الجراح والالام .

ولعل من أبهظ تلك الاحداث وأوجعها، وقعة الحرَّة، وهي موضوع كتابنا هذا، والتي طالت المدينة دون غيرها من أمصار الاسلام وكان وقوعها أيام حكم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان . فكانت مأساتها من أعظم مآسي الاسلام وأحرّها بعد استشهاد الامام الحسين (عليه السلام)، بما استهدفته من قتل الصحابة والتابعين، واستئصال شأفة اهل الدين،

وعجَّهـا بتلـك المفاسـد العظيمـة والقبـائح المنكـرة التـي اقشـعرت منهـا الأبدان وأفصحت عن مكنون بغض مرتكبيها وحقدهم .

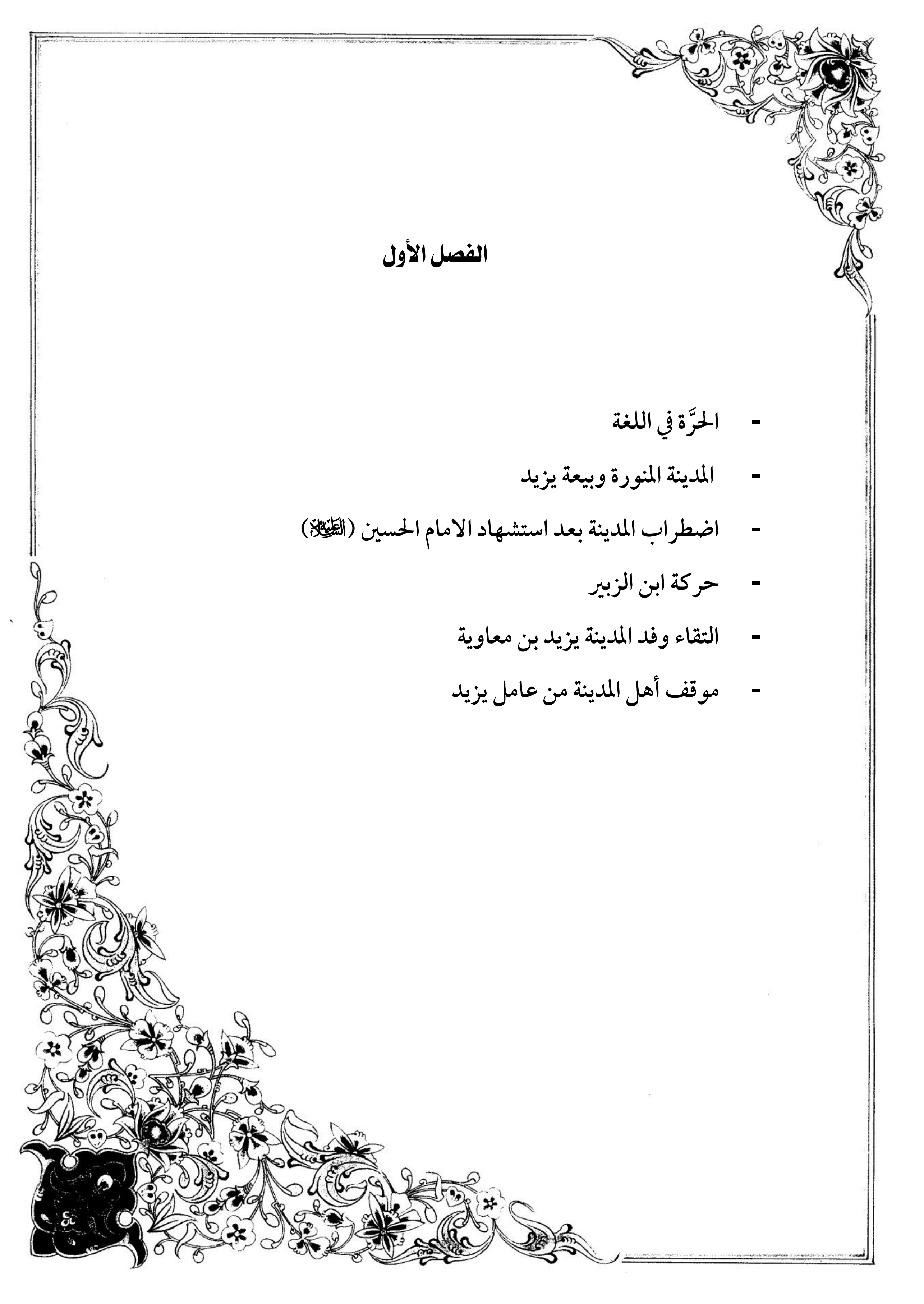
ولّما كـان البحث متعلقـا بحقبـة عصيبة مـن تـاريخ الأمة، وخطير أيامها ، لـذا رُمْتُ جاهـدا تنـاول موضـوعها بمزيـد العنايـة والتتبـع بحثـا عـن حقـائق أحـداثها ومُضْـمَر أخبارهـا ، مـع محاولـة الكشـف عـن أهـم الاسـباب التـي كانـت وراء تأجيجهـا، وإشـعال ذكـى حربهـا المهلكـة ، ومـا كـان أيضـاً مـن أسـباب خسـارة جـيش المدينـة، وسرعـة انهيـاره أمـام جيـوش الشـام، الى غيرهـا مـن المباحـث الاخـرى ذات الصـلة بموضـوع الكتـاب، وقـد رتبتـه عـلى مقدِّمـة، وثـلاث فصول، يشتمل كل فصل منها على عدة محاور، وخاتمة.

وختامـا لا يسـعني في مقـامي هـذا الا ان اتوجـه بـوافر الشـكر والامتنـان للأسـاتذة الاعـلام سـماحة الحُجّـة المحقـق السـيد محمـد مهـدي الخرسـان (دام ظله)، والمـؤرخ الخبـير الأسـتاذ الـدكتور السـيد حسـن عيسـى الحكـيم بـما أسـدوه لي مـن الآراء السـديدة والملاحظـات المفيـدة التـي سـاعدت عـلى اخـراج كتابنـا هـذا بأفضـل صـورة ممكنـه ، والله سـبحانه مـن وراء القصـد وهو ولي التوفيق .

المؤلف

حيدر السيد موسى وتوت الحسيني

٢٣ رجب المرجب ١٤٢٨ هـ



الفصل الأول

- الحرَّة في اللغة
- المدينة المنورة وبيعة يزيد
- اضطراب المدينة بعد استشهاد الامام الحسين (عليه السلام)
- حركة ابن الزبير
- التقاء وفد المدينة يزيد بن معاوية
- موقف أهل المدينة من عامل يزيد

الحرَّة في اللغة

قال الخليل بن أحمد : والحَرَّة أرض ذات حجارة سود نخرة كأنما أُحرقت بالنار ، وجمعه حِرار وأحرين وحرّات .. [١].

وقال الرازي : «والحَرَّة أرضٌ ذات حجارة سود نخرة كأنها أُحرقت بالنار والجمع (الحِرار) بالكسر ، و(الحرّات) و(حرُّون) أيضا جمعوه بالواو والنون كما قالوا أرضون..»[٢]

وذكرها ابن الأثير فقال : «والأحرين : جمع الحَرَّة وهي الأرض ذات الحجارة السود ، وتجمع على حرَّ ، وحرار وحرّات ، وحرِّين ، وإحرين ، وهو من الجموع النادرة» ..، الى قوله : «قد تكرر ذكر الحَرَّة ويومها في الحديث ، وهو يوم مشهور في الإسلام أيام يزيد بن معاوية . . .والحَرَّة هذه أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة وكانت الوقعة بها».[٣]

وعن ابن منظور: «والحَرَّة أرض ذات حجارة سود نخرات كأنها أحرقت بالنار. والحَرَّة من الأرضين : الصُّلبة الغليظة التي ألبستها حجارة سود نخرة كأنها مطرت ، والجمع حرّات وحِرار ، قال سيبويه : وزعم يونس أنهم يقولون حرَّة وحرُّون جمعوه بالواو والنون ، يشبهونه

(١) ترتيب كتاب العين: ١/ ٣٦٥

(٢) مختار الصحاح: ١٢٩

(٣) النهاية في غريب الحديث: ١ / ٣٦٥

بقولهم أرض وأرضون لأنها مؤنثة مثلها ، قال : وزعم يونس أيضاً أنهم يقولون حَرَّة وأحروّن يعني الحرار كأنه جمع إحرَّة ولكن لا يتكلم بها» . . الى قوله : «والحرَّة أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كبيرة كانت بها وقعة» .[1]

وجاء عن ابن خلكان قوله : «والحرَّة في الأصل اسم لكل أرض ذات حجارة سود ، فمتى كانت بهذه الصفة قيل لها حرَّة ، والحرار كثيرة ، والمراد بهذه الحرَّة حرَّة واقم بالقاف المكسورة وهي بالقرب من المدينة في جهتها الشرقية» . . الى قوله : «وأما واقم ، فإنه اسم أُطم من آطام المدينة والأُطم بضم الهمزة والطاء المهملة شبيه بالقصر ، وكان مبنياً عند هذه الحرَّة، فأُضيفت الحرَّة إليه ، فقيل حرة واقم» .[2]

وممن ذكر الحرَّة أيضاً ياقوت الحموي قائلاً :«وقال الأصمعي ، الحرَّة الأرض التي ألبستها الحجارة السود ، فإن كان فيها فجوة الأحجار فهي الصخرة ، وجمعها صخر ، فإن استقدم منها شيء فهو كراع ، وقال النضر بن شميل : الحرَّة الأرض مسيرة ليلتين سريعتين أو ثلاث ، فيها حجارة أمثال الإبل البروك كأنها تُشطب بالنار ، وما تحتها أرض غليظة من قاع ليس بأسود وإنما سوّدها كثرة حجارتها وتدانيها ، وقال أبو عمرو : تكون الحرَّة مستديرة فأذا كان فيها شيء مستطيل ليس

---

(١) لسان العرب: ٤ / ١٧٩

(٢)وفيات الأعيان ـ ذيل ترجمة يزيد بن القعقاع القارئ ـ ٦ / ٢٧٦

بواسع فذلك الكراع ، واللابّة و الحرَّة بمعنى ، ويقال للطلُّمة الكبيرة ، وهي الخبزة التي تنضج بالملّة: حرَّة و الحرَّة أيضا البثرة الصغيرة ، و الحرَّة أيضا العذاب الموجع ، والحرار في بلاد العرب كثيرة ، أكثرها حوالي المدينة الى الشام ..»[1].

ثم عدَّ ياقوت تسعا وعشرين موضعا كلٌ منها يسمى حرَّة ، وقال يصف حرَّة واقم : «هي إحدى حرَّتي المدينة، وهي الشرقية ، سُمِّيت برجل من العماليق اسمه واقم ، وكان قد نزلها في الدهر الأول ، وقيل واقم اسم أطُم من آطام المدينة إليه تُضاف الحرَّة، وهو من قولهم : وقمْتُ الرجل عن حاجته إذا رددته ، فأنا واقِمٌ ، وقال المرَّار :

بحرَّة واقم ، والعيس صُعر   ترى للحى جماجمها تبيعا

وفي هذه الحرَّة كانت وقعة الحرَّة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية في سنة ٦٣هـ»

(١) معجم البلدان: ٢/ ٢٤٥

المدينة المنورة وبيعة يزيد

لمّا كانت المدينة المنورة هي دار هجرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ونواة دولته المباركة ومثوى جسده الطاهر، ثم مغرساً للخلافة الراشدة وشامخ صرحها، وحرماً للصحابة والتابعين، لذا فقد سطت بها المحن واظلتَّها غيابة الفتن والاحداث، تلك الأحداث المروعة التي عصفت بالأمة وزلزلت كيان وحدتها، خاصة ما كان منها أيام مؤسس دولة الأمويين ومُحدِثُها معاوية بن أبي سفيان، الذي سنَّ العداوة والبغضاء لأهل المدينة من مهاجرين وأنصار، ولم يتردد وهو المشهور بدهاء السياسة وحلم الساسة في إعلان بغضه وكرهه لهم، والافصاح في حلِّه وترحاله عن جفوته منهم ونقمته عليهم، متخذاً من اتهامه لهم بقتل الخليفة عثمان بن عفان جلباباً يُخفي تحته أحقاداً قديمة وأطماعاً في الخلافة عتيدة، استنجزها بعد هدنته مع الامام الحسن (عليه السلام)، واستيلائه على السلطة، وتحكمه في رقاب المسلمين، حتى كان هذا حاله معهم طوال أيام حكمه وسلطانه، وصولاً الى أوان رحيله ودنوِّ أجله، حيث عمد الى اختيار ولي عهده، والحاكم من بعده، ولده الذميم يزيد صاحب الملاهي والقرود، الذي أجَّجت بيعته غضب الناس واستنكارهم، لمّا كانوا يعلمونه من أحوال فسقه، ومجونه، وعدم كفاءته لمثل هذا الأمر.

ولمّا كان عزم معاوية إشهار تلك البيعة والدعوة اليها في الأمصار

المختلفة ، لذا لم يكن ليتغافل صعوبة ذلك الأمر في المدينة المنورة مدينة النبي الأكرم (صَلَّىٰاللهُ عَلَيْهِوَآلِهِ)، وموطن أهل بيته العظام عليهم السلام، وصحابته الكرام ، الذين ما كان ليغيب عنهم غَيّ معاوية وزيغ ولده يزيد ، ولهذا فقد لَجَأَ وكما هو معروف عنه الى سياسة الترغيب والترهيب في فرض تلك البيعة عليهم، وإلزامها أعناقهم، مبتدئاً ذلك بمحاولة ارغام أشد المعارضين على قبولها أمثال أبي الأحرار الإمام الحسين(عليه السلام)، وحبر الأمة عبد الله بن عباس ، وبعض وجوه قريش كعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر وغيرهم .

ويحدّثنا المؤرخون إنّ أول من أَبرَق هذه الفكرة المشؤومة في رأس معاوية وأوحى إليه فعلها هو المغيرة بن شعبة ، الذي حاول التقرب بها الى معاوية واسترضائه للحيلولة دون عزله عن ولاية الكوفة، واستبقائه بمنصب الإمارة . فمن ذلك ما رواه اليعقوبي قائلاً :

«وولّى (أي معاوية) المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادي سنة ٤٢هـ . فأقام عليها حيناً ، ثم بدا له وولىّ عبد الله بن عامر بن كريز الكوفة ، فلمّا بلغ أهل الكوفة الخبر خرج كثير من الناس الى عبد الله بن عامر ، فجعل المغيرة لا يسأل عن أحد الا قيل له قد خرج الى عبد الله بن عامر حتى سأل عن كاتبه ، فقيل له : قد لحق بعبد الله، فقال : يا غلام شُدَّ رحلي وقدِّم بغلي، فخرج حتى أتى دمشق ، فدخل على معاوية ، فلمّا رآه قال : ما أقدَمَك يا مغيرة ، تركت العمل وأخللت بالمِصر وأهل العراق ، وهم أسرع شيء الى الفتن؟ قال : يا أمير المؤمنين كَبُرت سنِّي وضعُفت قوَّتي

وعجـزتُ عـن العمـل ، وقـد بلغـت مـن الـدنيا حـاجتي ، والله مـا آس عـلى شيء منهـا إلا عـلى شيء واحـد قـدّرتُ بـه قضـاء حقِّـك ، ووددت أنـه لا يفـوتني أجـلي وأنَّ الله أحسـن عليـه معـونتي. قـال: ومـا هـو ؟ قـال : كنـت دعـوت أشراف الكوفـة الى البيعـة ليزيـد ابـن أمـير المـؤمنين بولايـة العهـد بعـد أمـير المـؤمنين ، فأجـابوا الى ذلـك ، ووجـدتهم سراعـاً نحـوه ، فكرهـتُ أن أُحـدثَ أمـراً دون رأي أمـير المـؤمنين، فقـدمت لأشـافهه بـذلك، وأسـتعفيه مـن العمـل. فقـال : سـبحان الله يـا أبـا عبـد الـرحمن ! إنـما يزيـد ابـن أخيـك ، ومثلـك إذا شرع في أمـر لم يدعـه حتـى يحكمـه ، فنشـدتك الله إلاّ رجعـت فتممَّـت هـذا . فخـرج مـن عنـده ، فلَقِـي كاتبـه ، فقـال: ارجـع بنـا الى الكوفـة ، فـوالله لقـد وضـعتُ رِجْـل معاويـة في غَـرْزٍ لا يُخرجهـا منـه إلا سـفك الـدماء . وانصرَفَ الى الكوفة ».[1]

ولقـد روي عـن الحسـن البصرـي قولـه : «أفسـد أمـر النـاس اثنـان عمـرو بـن العـاص يـوم أشـار عـلى معاويـة برفـع المصـاحف فحُملـت ، ونـال مـن القـرّاء ، فحكـم الخـوارج فـلا يـزال هـذا التحكـيم الى يـوم القيامـة ، والمغـيرة بـن شـعبة فإنـه كـان عامـل معاويـة عـلى الكوفـة فكتـب إليـه معاويـة : إذا قـرأت كتـابي فأقبـل معـزولاً ؛ فأبطـأ عنـه ؛ فلـمّا ورد عليـه قـال : مـا أبطـأ بـك ؟ قـال : أمـرٌ كنـت أوطِّئـهُ وأهيِّئـهُ ، قـال : ومـا هـو ؟ قـال: البيعـة ليزيـد مـن بعـدك ! قـال: أوقـد فعلـت ؟ قـال : نعـم ؛ قـال: أرجـع الى عملـك ؛ فلـمّا خـرج قـال لـه أصـحابه : مـا وراءك ؟ قـال :

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٥٢

وضعت رجل معاوية في غرز غي ّلا يزال فيه الى يوم القيامة ، قال الحسن: فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم ، ولولا ذلك لكانت شورى الى يوم القيامة». [١]

ثم إنّ معاوية كتب الى زياد وهو بالبصرة ، أن المغيرة قد دعا أهل الكوفة الى البيعة ليزيد بولاية العهد بعدي وليس المغيرة بأحق بابن أخيك منك ، فإذا وصل إليك كتابي فادع الناس قِبَلك الى مثل ما دعاهم إليه المغيرة وخذ عليهم البيعة ليزيد . . . فلمّا بلغ زياداً وقرأ الكتاب دعا برجل من أصحابه يثق بفضله وفهمه، فقال : إني أريد أن ائتمنك على ما لم ائتمن عليه بطون الصحائف، إئت معاوية فقل له : يا أمير المؤمنين إنَّ كتابكَ ورد عليَّ بكذا ، فما يقول الناس إذا دعوناهم الى بيعة يزيد ، وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبس المصبَّغ ويدمن الشراب، ويمشي على الدفوف ، وبحضرتهم الحسين بن علي، وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، ولكن تأمرهُ ، ويَتخلَّق بأخلاق هؤلاء حَولًا و حولين ، فعسينا أن نموِّه على الناس. فلمّا صار الرسول الى معاوية وأدى اليه الرسالة قال : ويلي على ابن عبيد ! لقد بلغني أنَّ الحادي حدا له أنَّ الأمير بعدي زياد ، والله لأرُدّنَه الى أُمِّه سُميَّة والى أبيه عبيد». [٢]

والخبر يُظهر بوضوح عدم قناعة زياد بن أبيه وهو من خُلصَّ أتباع

---

(١) تاريخ الخلفاء : ٢٠٥

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٥٣

معاوية ببيعة يزيد أو خلافته، والتي لم يجده خليقا بها لمّا اشتهر من فسقه وتهتكه وعدم صلاحه ، حتى اجتهد بالنصيحة لمعاوية مشيراً عليه إرجاء تلك البيعة وتأخيرها الى ما بعد التظاهر بصلاح يزيد وتوبته ، والتمويه على فعاله المشينة ، إلا إن نصيحة زياد الأنفة لم تكن لتروق لمعاوية أو تثنيه عن عزمه في أخذ البيعة ليزيد وإعلانها في الأمصار المختلفة دون أدنى اعتناء بمن قد يعارض تلك البيعة أو يرفضها .

يقول المسعودي : «وفي سنة تسع وخمسين وفد على معاوية وفد الأمصار من العراق وغيرها ، فكان ممن وفد من أهل العراق الأحنف بن قيس في آخرين من وجوه الناس ، فقال معاوية للضحاك بن قيس: إني جالس من غدٍ للناس فأتكلم بما شاء الله ، فإذا فرغت من كلامي فقل في يزيد الذي يحق عليك ، وأدع الى بيعته ، فإني قد أمرت عبد الرحمن بن عثمان الثقفي ، وعبد الله بن عضاة الأشعري وثور بن معن السُلمَّي أن يُصدِّقوك في كلامك ، وأن يجيبوك الى الذي دعوتهم اليه ، فلمّا كان من الغد قعد معاوية فأعلم الناس بما رأى من حسن رعية يزيد ابنه وهديه ، وأن ذلك دعاه الى أن يوليه عهده ، ثم قام الضحاك بن قيس فأجابه الى ذلك وحضَّ الناس على البيعة ليزيد ، وقال لمعاوية : اعزم على ما اردت ، ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الله بن عضاة الأشعري وثور بن معن فصدَّقوا قوله ، ثم قال معاوية: أين الأحنف بن قيس ؟ فقام الأحنف فقال : إن الناس قد أمسوا في منكر زمان قد سلف ، ومعروف زمان يؤتنف ، ويزيد حبيب قريب ، فإن تُولِّه عهدك فعن

غير كِبَرٍ مُفنٍ أو مَرضٍ مُضنٍ وقد حلَبتَ الدهور وجرَّبتَ الأمور، فاعرف من تُسند إليه عَهدك ومن تولِّيه الأمر من بعدك، واعصِ رأي من يأمرك ولا يقدر لك، ويشير عليك ولا ينظر لك، فقام الضحاك بن قيس مُغضباً فذكر أهل العراق بالشقاق والنفاق، وقال: اردد رأيهم في نحورهم، وقام عبد الرحمن بن عثمان فتكلم بنحو كلام الضحاك، ثم قام رجل من الأزد[1]، فأشار الى معاوية وقال: أنت أمير المؤمنين فإذا متَّ فأمير المؤمنين يزيد، فمن أبى هذا فهذا، وأخذ بقائم سيفه فسله، فقال له معاوية أقعد فانت من أخطب الناس»[2]، «فكان معاوية أول من بايع ليزيد ابنه بولاية العهد، وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن همام السلولي:

فإن تأتوا برملة أو بهند	نبايعها أميرة مؤمنينا
إذا ما مات كسرى، قام كسرى	نعدُّ ثلاثة متناسقينا
فيا لهفاً لو أنَّ لنا أنوفاً	ولكن لا نعود كما عنينا
إذاً لضُربتُم حتى تعودوا	بمكة تلعقون بها السَّخينا
خشينا الغيظ حتى لو شربنا	دماء بني أمية ما روينا
لقد ضاعت رعيّتكم وأنتم	تصيدون الأرانب غافلينا[3]

---

(١) القائل هو يزيد بن المقنع الكندي، ينظر: الفتوح ٤/ ٣٣٣، عيون الأخبار ٢/ ٢١٠

(٢) مروج الذهب: ٣/ ٣٥، الفتوح: ٤/ ٣٣٢ – ٣٣٤ ولكن سنة خمس وخمسين فلاحظ.

(٣) الفتوح: ٤/ ٣٣٠ ـ ٣٣١ باختلاف بعض الألفاظ، وبزيادة ستة أبيات أخرى.

«وأُنفِـذتْ الكتـب ببيعـة يزيـد الى الأمصـار ، وكتـب معاويـة الى مـروان بـن الحكـم ـ وكـان عامله على المدينـة ـ يعلمـه باختيـاره يزيـد ، ومبايعتـه إيـاه بولايـة العهـد ، ويـأمره بمبايعتـه ، وأخـذ البيعـة لـه عـلى مـن قِبلـه فلـمّا قـرأ مـروان ذلـك خـرج مُغضبـاً في أهـل بيتـه وأخوالـه مـن بني كنانـة حتى أتـى دمشـق فنزلهـا ، ودخـل عـلى معاويـة يمشـي بـين السِّـماطين ، حتـى إذا كـان منـه بقـدر مـا يُسـمعه صـوته سـلَّمْ ، وتكلـم بكـلام كثـير يـوبخ بـه معاويـة ، منـه : أقـم الأمـور يـا ابـن أبي سفيان ، وأعـدل عـن تـأميرك الصبيان ، وأعلـم أن لـك مـن قومـك نُظـراء ، وأن لـك عـلى منـا وأتهـم وزراء ، فقـال لـه معاويـة : أنـت نظـير أمـير المـؤمنين ، وعدَّتـه في كـل شـديدة ، وعضـده ، والثـاني بعـد ولي عهـده ، وجعلـه ولي عهـد يزيـد ، وردَّه الى المدينـة ، ثـم أنـه عزلـه عنهـا ، وولّاهـا الوليـد بـن عتبـة بـن أبي سـفيان ، ولم يـفِ لمـروان بـما جعـل لـه مـن ولاية عهد يزيد بن معاوية». [1]

نعـم هكـذا كـان معاويـة في تعامله مـع بيعـة يزيـد، وسـعيه الحثيـث لإتمامهـا ومحاولـة بثِّهـا في الآفـاق المختلفـة ، رغـم معارضـة بعـض أعوانـه، والمقـربين اليـه مـن وجـوه أصـحابه، أمثـال زيـاد بـن أبيـه، ومـروان بـن الحكـم، وغـيرهم ممـن لم يـروا الصـواب في مبايعـة يزيـد او اسـتخلافه وعـدم اكتراثـه لنصـائحهم، وتحذيراتهم .

ولقـد حـاول معاويـة جاهـداً فـرض تلـك البيعـة وإمضـائها في المدينـة، أهـم أمصـار الإسـلام وأشـدَّها عليـه وأثقلهـا عـلى قلبـه، حيـث مُقـام

---

(١) مروج الذهب: ٣ / ٣٦ ، الإمامة والسياسة: ١/ ١٥١ باختلاف يسير

الأقطاب الرئيسة المعارضة ممثلة بالإمام الحسين (عليه السلام)، ومن ورائه عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وكذلك عبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، ممن كان وجودهم يُمِرَّ عيشه ويُسهر قلبه ، لذا فقد ثنّى عليهم أمره، وأطبق عليهم همَّته، محاولاً انتزاع تلك البيعة من أفواههم وإلزامها أعناقهم ، وكذلك باقي المدنيين.

ويحدثنا بعض المؤرخين كيف كان وقع خبر البيعة على أهل المدينة ، فيقول ابن أعثم الكوفي : «فكتب معاوية الى مروان بن الحكم وهو عامله على المدينة يأمره أن يدعوا الناس الى بيعة يزيد ويخبره في كتابه أن أهل مصر والشام والعراق قد بايعوا . .»[1].

ويبدو أنَّ كتاب معاوية هذا قد جاء بعد تهدئته مروان بن الحكم ووعده إياه ولاية العهد بعد يزيد ، أي هو كتابه الثاني لمروان ، والله العالم.

ولنرجع فنقول : « فأرسل مروان الى وجوه أهل المدينة فجمعهم في المسجد الأعظم ، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر الطاعة وحضَّ عليها وذكر الفتنة وحذَّر منها ، ثم قال في بعض كلامه : أيها الناس ، إن أمير المؤمنين قد كبُر سنه ، ورقَّ جلده وعظمه ، وخشي الفتنة من بعده ، وقد أراه الله رأيا حسنا ، وقد أراد أن يختار لكم ولي عهد يكون من بعده لكم مفزعا ، يجمع الله به الألفة ويحقن به الدماء ، وأراد أن يكون ذلك عن مشورة منكم وتراضٍ ، فماذا تقولون ؟ فقال الناس

(١) الفتوح: ٤ / ٣٣٤-٣٣٥.

من كل جانب : إنا لا نكره ذلك إذا كان لله فيه رضاً . فقال مروان : إنه قد اختار لكم الرضا الذي يسير فيكم بسيرة الخلفاء الراشدين المهديين وهو ابنه يزيد.

قال : فسكت الناس وتكلم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وقال : كذبت والله يا مروان وكذب من أمرك بهذا ، والله ما يزيد برضا ولكن يزيد ورأيه هرقلية ، فقال مروان : أيها الناس إن هذا المتكلم هو الذي أُنزل فيه ﴿**والذي قال لوالديه أف لكما**﴾[1] ، قال : فغضب عبد الرحمن بن أبي بكر ثم قال : يا بن الزرقاء أفينا تتأوَّل القرآن وأنت الطريد ابن الطريد ثم بادر إليه وأخذ برجله ثم قال : انزل يا عدو الله عن هذا المنبر ! فليس مثلك من يتكلم بهذا على أعواده .

قال : وضجَّت بنو أمية في المسجد ، وبلغ ذلك عائشة فخرجت من منزلها ملتفة بملاءة لها ومعها نسوة من نسوان قريش حتى دخلت المسجد ، فلمّا نظر إليها مروان كأنه فزع لذلك ، ثم قال : نشدتك الله يا أم المؤمنين إن قلت إلا حقاً ، قالت عائشة : لا قلت إلا حقاً . أشهد لقد لعن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أباك و لعنك ، وأنت الطريد ابن الطريد ، أنت تُكلم أخي عبد الرحمن بما تكلمه ، قال : فسكت مروان ولم يرد عليها شيئاً ، ورجعت عائشة الى منزلها وتفرق الناس . وكتب مروان الى معاوية يخبره بذلك وبما كان من عبد الرحمن بن أبي بكر ، فلمّا قرأ معاوية كتاب مروان أقبل على جلسائه فقال : عبد الرحمن شيخ قد خرف وقل

(١) الأحقاف: ١٧ .

عقله ، ويجب أن نكف عنه ونحتمل ما يكون منه ، فليس هذا من رأيه ولكن من رأي غيره ، قال : ثم تهيأ معاوية يريد الحج»[1].

وروى ابن قتيبة قائلا : «ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن(عليه السلام) إلا يسيراً حتى بايع ليزيد بالشام، وكتب ببيعته الى الآفاق وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم فكتب إليه يذكر الذي قضى الله به على لسانه من بيعة يزيد !!! ، ويأمره أن يجمع من قِبَلِهِ من قريش وغيرهم من أهل المدينة ، ثم يبايعوا ليزيد ، فلمّا قرأ مروان كتاب معاوية أبى من ذلك . وأبته قريش . فكتب لمعاوية : إن قومك قد أبوا إجابتك الى بيعتك ابنك ، فأري رأيك . فلمّا بلغ معاوية كتاب مروان عرف أن ذلك من قِبَلِهِ . فكتب إليه يأمره أن يعتزل عمله ، ويخبره أنه قد ولى المدينة سعيد بن العاص »[2].

«ثم إنَّ معاوية كتب الى سعيد بن العاص وهو على المدينة ، يأمره أن يدعوا أهل المدينة الى البيعة ويكتب إليه بمن سارع ممن لم يسارع . فلمّا أتى سعيد بن العاص الكتاب ، دعا الناس الى البيعة ليزيد ، وأظهر الغلظة وأخذهم بالعزم والشدة ، وسطا بكل من أبطأ عن ذلك ، فأبطأ الناس عنها إلا اليسير ، لاسيّما بني هاشم ، فإنه لم يُجبه منهم أحد ، وكان ابن الزبير من أشد الناس إنكاراً لذلك ، ورَدَّاً له .

---

(١) الفتوح: ٤/ ٣٣٥

(٢) الإمامة و السياسة: ١/ ١٥١

فكتب سعيد بن العاص الى معاوية : أما بعد ، فإنك أمرتني أن أدعوا الناس لبيعة يزيد بن أمير المؤمنين وأن أكتب إليك بمن سارع ممن أبطأ ، وإني أخبرك أن الناس عن ذلك بطاء ، لاسيما أهل البيت من بني هاشم ، فإنه لم يجبني منهم أحد وبلغني عنهم ما أكره وأما الذي جاهر بعداوته وإبائه لهذا الأمر فعبد الله بن الزبير ، ولست أقوى عليهم إلا بالخيل والرجال أو تقدم بنفسك فترى رأيك في ذلك ، والسلام» .[1]

ويذكر ابن قتيبة : «أن معاوية كتب الى عبد الله بن عباس والى عبد الله بن الزبير والى عبد الله بن جعفر والى الحسين بن علي(عليه السلام)». . الى قوله: «وكتب الى سعيد بن العاص ، أما بعد فقد أتاني كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه من إبطاء الناس عن البيعة ولاسيما بني هاشم ، وما ذكر ابن الزبير وقد كتبت الى رؤسائهم كتباً فسلِّمها إليهم وتنجَّز جواباتها ، وابعث بها إليّ ، حتى أرى في ذلك رأيي ، ولتشتد عزيمتك ، ولتصلب شكيمتك وتحسن نيتك وعليك بالرفق وإياك والخرق فإن الرفق رُشد ، والخرق نكد ، وانظر حُسينا خاصة فلا يناله منك مكروه فإن له قرابة وحقاً عظيماً لا ينكره مسلم ولا مسلمة وهو ليث عرين ، ولست آمنك إن شاورته أن لا تقوى عليه ، فأما من يرد مع السباع إذا وردت ، ويكنس إذا كنست فذلك عبد الله بن الزبير ، فاحذره اشد الحذر ، ولا قوة إلا بالله ، وأنا قادم عليك إن شاء الله والسلام».[2]

وجاء عن ابن قتيبة أيضا، قوله: «وذكروا أنه لمّا جاوب القوم معاوية

(١) الإمامة و السياسة: ١/ ١٥٣

(٢) الإمامة و السياسة: ١/ ١٥٣

بما جاوبوه من الخلاف لأمره والكراهية لبيعته ليزيد ، كتب الى سعيد بن العاص ، يأمره أن يأخذ أهل المدينة بالبيعة ليزيد ، أخذاً بغلظة وشدَّة ، ولا يدع أحداً من المهاجرين والأنصار وأبنائهم حتى يبايعوا ، وأمره أن لا يحرك هؤلاء النفر ولا يهيجهم ، فلمّا قدم عليه كتاب معاوية أخذهم بالبيعة أعنف ما يكون من الأخذ وأغلظه ، فلم يبايعه أحد منهم فكتب اليه الى معاوية : أنه لم يبايعني أحد ، وإنما الناس تبع لهؤلاء النفر ، فلو بايعوك بايعك الناس جميعاً ،ولم يتخلف عنك أحد . فكتب اليه معاوية يأمره أن لا يحركهم الى أن يقدم ، فقدم معاوية المدينة حاجاً ،فلمّا أن دنا من المدينة خرج إليه الناس يتلقونه ما بين راكب وماش وخرج النساء والصبيان فلقيه الناس على حال طاقتهم وما تسارعوا به في الفوت والقرب ، فَلانَ لمن كافحه وفاوض العامة بمحادثته وتألفهم جهده ، مقاربة ومصانعة ليستميلهم الى ما دخل فيه الناس ، حتى قال في بعض ما يجتلبهم به :

يا أهل المدينة ما زلت أطوي الحزن من وعثاء السفر بالحب لمطالعتكم ، حتى انطوى البعيد ولانَ الخشن وحقٌّ لجار رسول الله أن يُتاق إليه .

فردّ عليه القوم : بنفسك ودارك ومهاجرك ، أما إن لك منهم كإشفاق الحميم البرّ والحفيّ المتعاهد »[1].

ثم استمرت بعد ذلك محاولات معاوية اجتذاب أهل المدينة

---

(١) الإمامة و السياسة: ١/ ١٥٧

واستمالتهم لبيعة يزيد وبشتى الوسائل والطرق، ولمّا لم يجد بُدًّا من ذلك حاولَ إرغامهم، ورؤوس المعارضة على البيعة ، فجرت بينهم وبينه مراسلات ولقاءات منفردة وجماعية لم تتمخض عن أي تغيير في مواقفهم إزاء تلك البيعة ، فمن ذلك ما رواه ابن أعثم مشيراً الى لقاء معاوية بالإمام الحسين (عليه السلام): «وأقام معاوية بمكة (أي بعد قدومه من المدينة وقد أتاها كما زَعَم حاجاً)، لا يذكر شيئاً من أمر يزيد ، ثم أرسل الى الحسين فدعاه ، فلمّا جاءه ودخل إليه قرّب مجلسه ثم قال : أبا عبد الله اعلم إني ما تركت بلداً إلاّ وقد بعثتُ الى أهله فأخذت عليهم البيعة ليزيد ، وإنما أخرّتُ المدينة لأني قلت هم أصله وقومه وعشيرته ومن لا أخافهم عليه ، ثم أني بعثت الى المدينة بعد ذلك فأبى بيعته من لا أعلم أحد هو أشد بها منهم ، ولو علمت أن لأمة محمد (صلى الله عليه وآله) خير من ولدي يزيد لمّا بعثت له . فقال له الحسين : مهلاً يا معاوية ! لا تقل هكذا، فإنك قد تركت من هو خيرٌ منه أُمّاً وأباً ونفسًا، فقال معاوية: كأنك تريد بذلك نفسك أبا عبد الله. فقال الحسين: فإن أردت نفسي فكان ماذا ؟ ، فقال معاوية : إذاً أخبرك أبا عبد الله ! أمّا أمُك فخيرٌ من أم يزيد، وأما أبوك فله سابقةٌ وفضلٌ، وقرابته من الرسول(صلى الله عليه وآله) ليست لغيره من الناس، غير أنه قد حاكَمَ أبوه أباك فقَضى الله لأبيه على أبيك، وأمّا أنت وهو فهو والله خيرٌ لأمة محمد(صلى الله عليه وآله) منك. فقال الحسين : مَنْ خير لأمة محمد ! يزيد الخمور الفجور ! فقال معاوية: مهلاً أبا عبد الله ! فإنك لو ذكرت عنده لمّا ذكر منك إلا حسناً ، فقال الحسين : إن علم مني ما أعلمه منه أنا فليقل فيَّ ما أقول فيه ، فقال له

معاويـة : أبـا عبـد الله انصـرف الى أهلـك راشـداً واتَّـق الله في نفسـك واحـذر أهـل الشـام أن يسـمعوا منـك مـا قـد سـمعته فـإنهم أعـدائك وأعـداء أبيـك. قـال: فانصـرف الحسـين الى منزلـه ، وأرسـل معاويـة الى عبـد الـرحمن بـن أبي بكر.. إلخ» [1]

والمتأمـل في الخـبر يـرى بوضـوح مـدى اسـتبداد معاويـة وجرأتـه عـلى الله ورسـوله(ﷺ) حـين يقـوم بتفضـيل يزيـد صـاحب الملاهـي والخمـور وبكـل مثالبـه عـلى الإمـام الحسـين(عليه السلام)سـيد شـباب أهـل الجنـة، وسـليل المصطفى (ﷺ) الذي لا يُسامى شرفه ولا يُدانى فضله .

ولـو لا خـوف الإطالـة لكنّـا أدرجنـا في هـذا الفصـل مـا كـان قـد جـرى بـين معاويـة وبـاقي أطـراف المعارضـة الآخـرين مـن محادثـات ومخاطبـات، تناولهـا المؤرخـون بمزيـد العنايـة والتفصـيل، وأثبتوهـا في كتـبهم ومصـنفاتهم لّمـا لهـا مـن أهميـة بالغـة في كشـف غـوامض أحـداث تلـك الفـترة العصـيبة مـن تـاريخ الأمـة ، وعـلى الـرغم مـن حصـول تلـك اللقـاءات والمراسـلات بيـنهم إلا أنهـا لم تكـن لتسـعف معاويـة بتحقيـق رغبتـه أو بلـوغ بُغيتـه ، حتـى كـان ذلـك الأمـر غُصَّـةً في حلْقـه أقضَّـت مضـجعه، ومَنعتـهَ الراحـة والاطمئنـان، وجعلتـه أَسـير خوفـه وأطماعـه، ولّمـا أعيـاه امتنـاعهم وتقوضـت أمانيـه بمبـايعتهم ، اشـتدَّ فزعـه وازدادت حسـرته فعَمَـد عنـد دنـوِّ أجلـه واقـتراب موتـه الى إيصـاء ولـده يزيـد، وتحـذيره عواقـب هـذا الـرفض ونتائجـه وحثِّـه عـلى التعامـل مـع الرافضـين لبيعتـه وفـق أسـاليب معينـة رسـمها لـه في تلـك

(١) الفتوح: ٤/ ٣٣٩

الوصية تتلائم حسب اعتقاده مع أحوالهم ومراكزهم بين الناس، من أجل إرغامهم على مبايعته والتسليم لحكمه، وقطع طريق المواجهة عليهم، وفيما يلي نص تلك الوصية كما رواها الطبري وغيره من المؤرخين، إذ يقول:

«وكان عهده الذي عهد، ما ذكره هشام بن محمد عن أبي مخنف قال: حدثني عبد الملك بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة، أن معاوية لمّا مرض مرضته التي هلك فيها دعا يزيد ابنه، فقال: يا بُنيَّ، إني قد كفيتك الرحلة والترحال، ووطَّأتُ لك الأشياء، وذللت لك الأعداء، وأخضعتُ لك أعناق العرب، وجمعت لك من جمع واحد، وإني لا أتخوف أن ينازعك هذا الأمر الذي استتبَّ لك إلا أربعة نفر من قريش الحسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، فأما عبد الله بن عمر فرجلٌ قد وقذته العبادة وإذا لم يبق أحد غيره بايعك، وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه، فإن خرج عليك فظفرت به فاصفح عنه فإنَّ له رحماً ماسَّة وحقاً عظيما، وأما ابن أبي بكر فرجلٌ إن رأى أصحابه صنعوا شيئا صنع مثلهم، ليس له همة إلا في النساء واللهو، وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد ويراوغك مراوغة الثعلب، فإذا أمكنته فرصة وثب، فذاك ابن الزبير، فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إرباً إربا».[1]

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٥٣٤، الأخبار الطوال: ٢٢٦، الفتوح: ٤ / ٣٤٧ باختلاف يسير، البداية والنهاية: ٨/ ١٣٤-١٣٥، تاريخ ابن الوردي: ١/ ٢٢٧.

وروى الطبري خبرًا آخر لتلك الوصية قائلاً :

«قال هشام : قال عوانة : قد سمعنا في حديث آخر أنَّ، معاوية لّما حضره الموت وذلك في سنة ستين ـ وكان يزيد غائبا ـ فدعا الضحاك بن قيس الفهري وكان صاحب شرطته ومسلم بن عُقبة المُرِّي ، فأوصى إليهما فقال :

بَلِّغا يزيد وصيتي ، أنظر أهل الحجاز فإنهم أصلك ، فأكرم من قدم عليك منهم وتعاهد من غاب ، وانظر أهل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل ، فإنَّ عزل عامل أحب إلي من أن تشهر عليك مائة ألف سيف ، وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعَيْبتك ، فإن نابكَ شيء من عدوك فانتصر بهم ، فإذا أصبتهم فأردد أهل الشام الى بلادهم ، فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم ، وإني لست أخاف من قريش إلا ثلاثة [1]: حسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير ، فأما ابن عمر [2] فرجلٌ قد وقَذَه الدين فليس ملتمسا شيئا قبلك، وأما الحسين بن علي فإنه رجلٌ خفيف، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه وإن له رحماً ماسة ، وحقًّا عظيماً وقرابة من محمد (صلى الله عليه وآله) ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه ، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإني لو أني صاحبه عفوت عنه ، وأمّا ابن الزبير فإنه خَبٌّ ضَبٌّ ، فإذا

---

(١) وعن أبي حنيفة الدينوري : قال معاوية : لست أخاف عليه إلا أربعة وأضاف إليهم عبد الرحمن بن أبي بكر . الأخبار الطوال: ٢٢٦

(٢) أقول : لا نعرف الوجه في خوف معاوية وقلقه من عبد الله بن عمر، وإدراج اسمه في هذه الوصية وهو ممن تمسك ببيعة يزيد ودعا اليها جهاراً وما خبره يوم الحرَّة الآتي ذكره لاحقاً الاّ شاهدٌ على ذلك .

شخص لك فألبد له [١]، إلا أن يلتمس منك صُلحاً ، فإن فعل فاقبل واحقن دماء قومك ما استطعت ». [٢]

ولا يعدم من أراد التأمل في هذه الوصية والتدقيق في مضامينها ، أن يجد عدة أمور أراد معاوية تنبيه ولده يزيد إليها ، من أهمها :

١. حثه على اتخاذ سياسات مختلفة في تعامله مع بعض الامصار الاسلامية المهمة كالحجاز والعراق والشام وبما يجنبه انتقاضها عليه أو على حكمه المستبد .

٢. التأكيد على الاهتمام بأنصاره من أهل الشام وكسب طاعتهم له بالغالي والنفيس، وجعلهم أداة قمعه وجبروته وسلاحه الذي يضرب به اعدائه ، مع تأكيده على ابقائهم في غير بلادهم لمدة طويلة خوف انقلاب طباعهم وفساد اخلاقهم ، وهو في حقيقته ما يعكس مخاوف معاوية وخشيته من فقدان ولائهم وتبدل أحوالهم في حال مخالطتهم لمن يعارضه، أو يفضح مثالبه أمامهم.

٣. تحذيره الشديد من حركات المعارضين لبيعته الرافضين لحكمه أمثال الإمام الحسين(عليه السلام) وعبد الله بن الزبير، وغيرهم ممن لم يروا في استخلاف يزيد صلاحًا للأمة أو جمعًا لكلمتها، وحثه على رصدهم وتضييق الخناق عليهم، والتعامل معهم بما يضمن سلامة

---

(١) ألبد هو من لَبَد الشيء يلبد لبودا وتلبد أيضا إذا انضم بعضه إلى بعض، يقال ألبد فلان بالمكان فهو ملبد به إذا لزمه وأقام به. غريب الحديث: ١/ ٢٥٥

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٤ / ٥٣٤-٥٣٥.

ملكه وبقاء سلطانه ، مع الترفق بهم والتجاوز عنهم في حال ظفره بهم أو تغلبه عليهم، وهو ما لم يمتثل له يزيد أو يلتزم بتطبيقه.

ولّما رأى معاوية أنّ مَنِيَّته قد دنت وأنشبت أظفارها فيه ، دعا أقرب أعوانه إليه الضحاك بن قيس الفهري صاحب شرطته، ومسلم بن عقبة المري (سفاح يوم الحرَّة) وأوصاهما بتسليم تلك الوصية الى يزيد الذي كان غائبا عنه يومذاك[1] وبطاعته والتزام نصرته على أعدائه ، ولم تمض الّا أيام قلائل حتى أصبح معاوية أسير حفرته ورهين أعماله ، ولقد مات معاوية وعامله على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وذلك عام ستين للهجرة النبوية الشريفة[2].

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٥٣٩، البداية والنهاية: ٨/ ١٦٦ .

(٢) ينظر: تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٥٣٣، الأخبار الطوال : ٢٢٧ ، البداية والنهاية: ٨/ ١٦٨

المدينة بعد استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام)

وبعد وفاة معاوية نودي ليزيد بتولي الحكم وبويع له في الأمصار المختلفة وهو بعد لم يزل غائباً ، فلمّا قدم دمشق كتب الى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو عامل المدينة : «إذا أتاك كتابي هذا ، فأحضر الحسين بن علي ، وعبد الله بن الزبير فخذهما بالبيعة لي ، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما ، وابعث لي برؤوسهما وخذ الناس بالبيعة ، فمن امتنع فأنفذ فيه الحكم وفي الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير والسلام»[1].

وذكر الطبري قائلاً : «ولي يزيد في هلال رجب سنة ستين ، وأمير المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وأمير الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري، وأمير البصرة عبيد الله بن زياد، وأمير مكة عمرو بن سعيد بن العاص ، ولم يكن ليزيد همَّة حين وَلي إلا بيعة النفر الذين أبوا على معاوية الإجابة الى بيعة يزيد حين دعا الناس الى بيعته ، وأنه ولي عهده بعده ، والفراغ من أمرهم ، فكتب الى الوليد :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من يزيد أمير المؤمنين الى الوليد بن عتبة ، أما بعد ، فإن معاوية كان عبداً من عباد الله ، أكرمه الله واستخلفه ، وخوَّله ومكَّن به ، فعاش بقدر ومات بأجل ، فرحمه الله ، فقد عاش محموداً ومات برّاً تقياً ، والسلام .وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة : أما بعد ، فخذ حسينا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذا

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٦٨

شديدًا ليست فيه رخصة حتى يبايعوا ، والسلام »[١].

يقول الدينوري: «فلمّا ورد ذلك على الوليد قطع به وخاف الفتنة ، فبعث الى مروان ، وكان الذي بينهما متباعداً ، فأتاه ، فأقرأه الوليد الكتاب واستشاره فقال له مروان : أما عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر فلا تخافن ناحيتهما فليسا بطالبين شيئا من هذا الأمر ، ولكن عليك بالحسين بن علي وعبد الله بن الزبير فابعث إليهما الساعة ، فأن بايعا وإلا فاضرب أعناقهما قبل أن يعلن الخبر فيثب كل واحد منهما ناحية ، ويظهر الخلاف.

فقال الوليد لعبد الله بن عمرو بن عثمان ، وكان حاضرا ـ وهو حينئذ غلام حين راهق ـ : انطلق يا بني الى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ، فادعهما.

فانطلق الغلام حتى أتى المسجد ، فإذا هو بهما جالسين ، فقال : أجيبا الأمير ، فقالا للغلام : انطلق ، فإنّا صائران إليه على إثرك . فانطلق الغلام . فقال ابن الزبير للحسين (عليه السلام) : فيم تراه بعث إلينا في هذه الساعة ؟ فقال الحسين : أحسب معاوية قد مات ، فبعث إلينا للبيعة . قال ابن الزبير : ما أظن غيره، وانصرفا الى منازلهما »[٢].

قال ابو حنيفة الدينوري : «فأما الحسين فجمع نفراً من مواليه

---

(١) تاريخ الأمم و الملوك: ٤ / ٥٤٨

(٢) الأخبار الطوال : ٢٢٧

وغلمانه ، ثم مشى نحو دار الإمارة ، وأمر فتيانه أن يجلسوا بالباب ، فإن سمعوا صوته اقتحموا الدار ، ودخل الحسين على الوليد ، وعنده مروان ، فجلس الى جانب الوليد ، فأقرأه الوليد الكتاب ، فقال الحسين : إن مثلي لا يعطي بيعته سِرّاً ، وأنا طوع يديك ، فإذا جمعت الناس لذلك حضرت وكنت واحدا منهم ، وكان الوليد رجلا يحب العافية ، فقال للحسين : فانصرف إذاً حتى تأتينا مع الناس »[1].

وفي نص أورده الطبري أنَّ الحسين (عليه السلام) قال له : «أما ما سألتني من البيعة فإنّ مثلي لا يُعطي بيعته سِرّاً ، ولا أراك تجتزئ بها مني سِرّاً دون أن نُظهرها على رؤوس الناس علانية ، قال : أجل ، قال : فإذا خرجت الى الناس فدعوتهم الى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمرا واحدا ، فقال له الوليد ـ وكان يحب العافية - : فانصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس ، فقال له مروان : والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه ، احبس الرجل ، ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه ، فوثب عند ذلك الحسين ، فقال يا بن الزرقاء ، أنت تقتلني أم هو ! كذبت والله وأثمت ، ثم خرج فمرَّ بأصحابه ، فخرجوا معه حتى أتى منزله . فقال مروان للوليد : عصيتني ، لا والله لا يُمكِّنك من مثلها من نفسه أبداً ، قال الوليد : وُبِّخَ غيرك يا مروان ، إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني ،

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٢٧ ـ ٢٢٩ .

والله ما أُحِبّ أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا ومُلكِها ، وأني قتلتُ حسيناً ، سبحان الله ! أقتل حسيناً إن قال لا أبايع ! والله أني لا أظن امرأً يُحاسَب بدم حسين لخفيف الميزان عند الله يوم القيامة . فقال له مروان : فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت ، يقول هذا له وهو غير الحامد له على رأيه»[1] وتحرَّزَ ابن الزبير في منزله ، وراوغَ الوليد حتى إذا جنَّ عليه الليل سار نحو مكة ، وتنكَّب الطريق الأعظم فأخذ على طريق الفُرَع . ولمّا أصبح الوليد بلَغه خبره فوجَّه في إثره حبيب بن كُوين في ثلاثين فارسًا ، فلم يقعوا له على أثر ، وشُغلوا يومهم ذلك كله بطلب ابن الزبير . فلمّا أمسوا وأظلم الليل مضى الحسين (عليه السلام) أيضاً نحو مكة» ..الى قوله: «ومضى حتى وافى مكة ، فنزل شِعب عليّ ، واختلف الناس إليه ، فكانوا يجتمعون عنده حلقاً حلقاً ، وتركوا عبد الله بن الزبير ، وكانوا قبل ذلك يختلفون إليه ، فساء ذلك ابن الزبير ، وعلم أن الناس لا يحفلون به والحسين مقيم بالبلد ، فكان يختلف الى الحسين(عليه السلام) صباحاً ومساءاً ».[2]

وروى اليعقوبي قائلاً : «فخرج الحسين الى مكة ، فأقام بها أياماً وكتب أهل العراق إليه ، ووجَّهوا بالرُسل إثر الرُسل ، فكان آخر كتاب وردَ عليه منهم كتاب هانئ بن أبي هانئ وسعيد بن عبد الله الخثعمي :

---

(١) تاريخ الأمم و الملوك: ٤/ ٥٤٩ـ ٥٥٠

(٢) الأخبار الطوال : ٢٢٨ـ ٢٢٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم ، للحسين بن علي من شيعته المؤمنين والمسلمين ، أما بعد فحيّ هلّا ، فإنَّ الناس ينتظرونك ، لا إمام لهم غيرك فالعجل ثم العجل والسلام . فوجّه إليهم مسلم بن عقيل بن أبي طالب وكتب إليهم، وأعلمهم أنه إثر كتابه» .(١)

«وبلغ ابن الزبير أنه (أي الحسين(عليه السلام)) يريد الخروج الى الكوفة وهو أثقل الناس عليه ، قد غمَّهُ مكانه بمكة ، لأن الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين ، فلم يكن شيء يؤتاه أحبُّ إليه من شخوص الحسين عن مكة ، فأتاه فقال : أبا عبد الله ما عندك ، فوالله لقد خفت الله في ترك جهاد هؤلاء القوم على ظلمهم واستذلالهم الصالحين من عباد الله ، فقال حسين : قد عزمت على إتيان الكوفة ، فقال : وفّقك الله أما لو أن لي بها مثل أنصارك ما عدلت عنها ، ثم خاف أن يتهمه فقال : ولو أقمت بمكانك فدعوتنا وأهل الحجاز الى بيعتك أجبناك وكنّا إليك سِراعاً ، وكنت أحق بذلك من يزيد وأبي يزيد ».(٢)

وفي نص للطبري جاء فيه إنّ ابن الزبير أتى الحسين (عليه السلام) فحدَّثهُ ساعة ، ثم قال : «ما أدري ما ترْكنا هؤلاء القوم وكفّنا عنهم ، ونحن أبناء المهاجرين ، وولاة هذا الأمر دونهم ! خبِّرني ما تريد أن تصنع ؟ فقال الحسين : والله لقد حدثت نفسي بإتيان الكوفة ، ولقد كتب إلي شيعتي بها وأشراف أهلها ، واستخير الله ، فقال له ابن الزبير : أما لو

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٦٨ ـ ١٦٩ .

(٢) مروج الذهب: ٣/ ٦٢ .

كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها ؛ قال : ثم أنه خشي أن يتهَّمه فقال : أما أنك لو أقمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ها هنا ما خُولف عليك إن شاء الله، ثم قام فخرج من عنده ، فقال الحسين (عليه السلام) : إنَّ هذا ليس شيء يؤتاه من الدنيا أحبّ إليه من أنْ أخرجُ من الحجاز الى العراق ، وقد علم أنه ليس له من الأمر معي شيء ، وأنَّ الناس لم يعدلوه بي ، فودَّ أني خرجت منها لتخلوا له» (١).

والخبر في فضحه نوايا ابن الزبير ومخاتلته الإمام الحسين(عليه السلام) وغشِّه له في النصيحة، أوضح من الشمس في رابعة النهار ، وهو ما عكس حرصهُ الشديد على تحقيق مآربه الشخصية في الدعوة الى نفسه، وارتقاء مرتبة الخلافة دون أدنى اكتراث لمّا قد يؤول إليه أمر الإمام الحسين(عليه السلام) أو أمر الأمة جمعاء.

ثُمَّ ما إنْ عَلِم يزيد بتحرك الإمام الحسين (عليه السلام) نحو الكوفة حتى أضمر محاصرته والفتك به وبأصحابه، فكانت أولى خطواته لذلك أن ضمَّ الكوفة الى ولاية عامله على البصرة الطاغية عبيد الله بن زياد .

يقول الطبري : «فلمّا اجتمعت الكتب عند يزيد ليس بين كتبهم إلا يومان دعا يزيد بن معاوية سرجون مولى معاوية ، فقال : ما رأيك ؟ فإنَّ حُسيناً قد توجَّه نحو الكوفة ، ومسلم بن عقيل بالكوفة يبايع للحسين ، وقد بلغني عن النعمان ضَعف وقولُ سيئ، وأقرأهُ كتَبهم ـ فما ترى ، من

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٥٨٧

استعمل على الكوفة ؟ وكان يزيد عاتبا على عبيد الله بن زياد . فقال سرجون : أرأيت معاوية لو نُشِرَ لك ، أكنت آخذاً برأيه ؟ قال : نعم ، فأخرجَ عهد عبيد الله على الكوفة فقال : هذا رأي معاوية ، ومات وقد أمر بهذا الكتاب . فأَخذَ برأيه وضَمَّ المِصْرين الى عبيد الله ، وبعث إليه بعهده على الكوفة»[1].

«وأقبل الحسين من مكة يريد العراق وكان يزيد قد ولّى عبيد الله بن زياد العراق ، وكتب إليه : قد بلغني أن أهل الكوفة قد كتبوا الى الحسين في القدوم عليهم ، وأنَّه قد خرج من مكة متوجهاً نحوهم وقد بُلي به بلدك من بين البلدان ، وأيامك من بين الأيام ، فإن قتلته ، وإلاّ رجعت الى نسبك والى أبيك عُبيد ، فاحذر أن يفوتك»[2].

وما إنْ عَلِم يزيد بتهاون الوليد بن عتبة في أمر الحسين (عليه السلام) وعبد الله بن الزبير، عزَلَه عن ولاية المدينة وضمَّها الى عامله على مكة عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بـ(الأشدق)، وكان رُجلاً فظًّا غليظاً متعجرفًا شديد النصب والعداء لآل الرسول(عليهم السلام) وبني هاشم .

قال ابن كثير : «وفي هذه السنة (أي سنة ٦٠ للهجرة) في رمضان منها عزل يزيد بن معاوية الوليد بن عتبة عن إمرة المدينة لتفريطه، وأضافها الى عمرو بن سعيد بن العاص نائب مكة، فقدم المدينة في

---

(١) تاريخ الأمم والملوك : ٤/ ٥٦٤

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٦٩

رمضان وقيل في ذي القعدة وكان متألّهاً متكبراً ..» [١].

وروى ابن قتيبة قائلاً : «وقدم عمرو بن سعيد في رمضان أميراً على المدينة وعلى الموسم ، وعزل الوليد بن عتبة ، فلمّا استوى على المنبر رَعَف، فقال إعرابي مستقبلهُ : مه مه، جاءنا والله بالدم فتلقّاه رجل بعمامته ، فقال مه عَمَّ والله الناس ، ثم قام يخطب فناوله آخر عصا لها شعبتان . فقال مه ! شعب و الله الناس. ثم خرج الى مكة ، فقدمها يوم التروية ، فصلى الحسين ثم خرج ، فلمّا انصرف عمرو بلغه أن الحسين خرج ، فقال : اركبوا كل بعير بين السماء والأرض فاطلبوه ، قال : فكان الناس يعجبون من قوله هذا . قال : فطلبوه فلم يدركوه» [٢].

«ثم إنّه (أي عمرو بن سعيد بن العاص) رجع الى المدينة ، فأرسل الى ابن الزبير ، فأبى أن يأتيه، وامتنع برجال معه من قريش وغيرهم. قال : فبعث عمرو بن سعيد جيشاً من المدينة يقاتلون ابن الزبير ، قال : فضرب على أهل المدينة البعث الى مكة ، وهم كارهون للخروج ، فقال لهم : إمّا أن تأتوا ببدل ، وإمّا أن تخرجوا . قال : فجاء الحارث بن مالك بن البرصاء برجل استأجره بخمسمئة درهم الى عمرو بن سعيد ، فقال : قد جئت برجل بدلي ، فقال الحارث للرجل الذي استأجره : هل لك أن أزيدك خمس مئة أخرى وتنكح أمك ، فقال له : أما تستحي ؟ فقال : إنما

---

(١) البداية والنهاية: ٨/ ١٧٠ تاريخ الامم والملوك: ٤ / ٥٥٢ ، تذكرة الخواص: ٢٣٧ .

(٢) الامامة والسياسة: ٢/ ٣

حُرِّمت عليك أمك في مكان واحد ، وحُرِّمت عليك الكعبة في كذا وكذا مكان من القرآن . قال : فجاء به الى عمرو بن سعيد ، قال : قد جئتك برجل لو أمرته أن ينكح أمه لنكحها. فقال له عمرو : لعنك الله من شيخ . قال : فبعثهم الى مكة يقاتلون ابن الزبير»[١].

«وكان عمرو بن سعيد لّما قدم على المدينة ولّى شرطته عمرو بن الزبير ، لِما كان يعلم ما بينه وبين عبد الله بن الزبير من البغضاء»[٢]. ثم وجَّه به بعد ذلك لحرب عبد الله بن الزبير في مكة[٣]، فأفضت تلك الحرب الى أن انتصر عبد الله بن الزبير وهزم الجمع الذي مع أخيه وأمسك أخاه عمراً وحبسه حتى مات في حبسه[٤] وذلك بعد أن جرِّده من الثياب وجلده مائة سوط ولم يداوه فمات.[٥]

وذكر ابن كثير: «أن عمرو بن سعيد سلط عمرو بن الزبير -وكان عدواً لأخيه عبد الله- على حربه وجرّده له ، وجعل عمرو بن سعيد يبعث البعوث الى مكة لحرب ابن الزبير . وقد ثبت في الصحيحين أن أبا شريح الخزاعي قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث الى مكة : إئذن لي أيها الأمير أن أحدِّثك حديثاً قام به رسول الله (صلى الله عليه وآله) الغد من يوم الفتح ، سمعته أُذناي

(١) الإمامة والسياسة: ٢/ ٣ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٥٥٣

(٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٥٥٢

(٤) ينظر: المختصر في أخبار البشر: ١/ ١٨٩، مروج الذهب: ٣/ ٧٩

(٥) ينظر: الفتوح: ٥/ ١٥٤

ووعاهُ قلبي حين تكلّم به ، أنه حمد الله وأثنى عليه وقال : (إنِّ مكة حرَّمها الله ولم يُحرِّمها الناس ، وإنه لم يحل القتال فيها لأحد كان قبلي ، ولن تحلّ لأحد بعدي ولم تحلّ لي إلا ساعة من نهار ، ثم قد صارت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد الغائب). وفي رواية : (فإن أحد ترخَّص بقتال رسول الله(صَلَّىٰاللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فيها فقولوا : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم). فقيل لأبي شريح [1] : ما قال لك ؟ فقال : قال لي : نحن أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيذ عاصياً ولا فاراً بدم ولا فارا بخربة»[2].

ولا نعرف من اين استلهم عمرو بن سعيد هذا جواز استباحة مكة والقتال فيها ، حتى نراه يُعرض عن تلك النصيحة، ويستخفّ بقول الصحابي أبا شريح لمّا حاول صرفه عن فعله المذموم ، بقوله : (إنَّ الحرم لا يعيذ عاصيًا ولا فارًّا بدم ولا فارًّا بخربة). ثم هل عنى بقوله الآنف كل من ذكرهم حقاً ، أم أنه اختصَّ بمن كان عدواً لبني أمية أو معارضاً لهم ، ثم كيف استنبط حكمه هذا ؟ امِنْ وحي أتاه، أم نادته الملائكة!!.

وتابع ابن كثير قائلا : «وتفرَّق عن عمرو بن الزبير أصحابه وهرب عمرو الى دار ابن علقمة ، فأجاره أخوه عبيدة ابن الزبير ، فلامه أخوه عبد الله بن الزبير وقال : تُجير من في عنقه حقوق الناس ؟ ثم ضَرَبه بكل

---

(١) أبو شريح الخزاعي، صحابي اسمه كعب بن عمر، مات (سنة ٦٨).مشاهير علماء الأمصار : ٣٣.

(٢) البداية و النهاية: ٨/ ١٧٠.

من ضَرَبه بالمدينة إلا المنذر بن الزبير[١]، وابنه، فانهما أبيا أن يستقيدا من عمرو ، وسجنه ومعه عارم ، فسُمِّي سجن عارم ، وقد قيل أن عمرو بن الزبير مات تحت السياط..الخ» [٢].

ثم إنَّ يزيداً لَمّا أحسّ بما سادَ أجواء المدينة من التوتر والتذمر عقب خروج الإمام الحسين (عليه السلام)وعبد الله بن الزبير ، بعث إليهم بأحد أعوانه المخلصين وهو عبد الله بن مسعدة الفزاري يتهددهم ويتوعدهم ، فقال في خطبته : «أهل الشام جند الله الأعظم ، وأهل الشام خير الخلق فقال الحارث بن مالك : إئذن لي أن أتكلم . فقال : اجلس لا أجلسك الله من شيخ ، قال : فتشهَّد الحارث وقال : لعمر الله لنحن خيرٌ من أهل الشام ، ما نقمت من أهل المدينة إلا أنهم قتلوا أباك وهو يسرق لقاح النبي (صلى الله عليه وآله) أنسيت طعنة أبي قتادة أُست أبيك بالرمح فخرج منه جمعوص مثل هذا ، وأشار الى ساعده ، ثم جلس »[٣].

أمّا ما كان من أمر الحسين(عليه السلام) فإنه بعد أن سار يريد العراق وبلغ

---

(١) المنذر بن الزبير ابن العوام بن خويلد بن أسد ، أبو عثمان الأسدي ، وأمه أسماء بنت أبي بكر. ولد في أخر خلافة عمر، وغزا القسطنطينية مع يزيد، ولما استخلف يزيد وفد عليه، ثم انقلب عليه، وكان مع أخيه عبد الله. وقتل المنذر في حصار الحصين بن نمير ، وله أربعون سنة. (وستأتي بعض أخباره لاحقًا). ينظر: تاريخ الإسلام: ٥/ ٢٥٧

(٢) البداية والنهاية: ٨/ ١٧١ .

(٣) الإمامة والسياسة: ٢ / ٣ .

القطقطانة[١] أتاه الخبر بقتل مسلم بن عقيل ، ووجَّه عبيد الله بن زياد لمّا بلغه قربه من الكوفة بالحر بن يزيد فمنعهُ من أن يَعدل ، ثم بعث إليه بعمر بن سعد بن أبي وقاص في جيش ، فلقي الحسين بموضع على الفرات يقال له كربلاء ، وكان الحسين في اثنين وستين ، أو اثنين وسبعين رجلاً من أهل بيته وأصحابه وعمر بن سعد في أربعة آلاف[٢] ، فمنعوه المّاء ، وحالوا بينه وبين الفرات فناشدهم الله عز وجل ، فأبوا إلا قتاله أو يستسلم ، . . ، فلمّا كان من الغد خرج فكلم القوم ، وعظَّم عليهم حقَّهُ ، وذكرَّهم الله عز وجل ورسوله وسألهم أن يخلُّوا بينه وبين الرجوع ، فأبوا إلا قتاله ، أو أخذه حتى يأتوا به عبيد الله بن زياد ، فجعل يكلِّم القوم بعد القوم والرجل بعد الرجل ، فيقولون ؟: ما ندري ما تقول ، فأقبل على أصحابه فقال : أن القوم ليسوا يقصدون غيري ، وقد قضيتم ما عليكم فانصرفوا فأنتم في حِلّ . فقالوا: لا والله يا بن رسول الله ، حتى

---

(١) القطقطانة موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف به كان سجن النعمان بن المنذر. معجم البلدان: ٤/ ٣٧٤

(٢) اختلف في عدد المُخرَجين لقتال الإمام الحسين (عليه السلام) في عاشوراء، فذكر بعضهم أنهم كانوا عشرين ألف ، وقيل بل في اثنين وعشرين ألف، وقيل اكثر من ذلك على اختلاف في الروايات والمصادر، ولعل أدق الروايات ما جاء في حديث الإمام الحسن السبط (عليه السلام) ، وقوله:« لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل ، يدعون أنهم من أمة جدنا محمد(صلى الله عليه وآله) .. الخ.»، وللعلامة السيد حسن الصدر(قدس سره) رسالة في ضبط عددهم، فراجع. ينظر: اسعاف الراغبين: ١٨٨، الفتوح لابن أعثم: ٥/ ١٠١، الأمالي للصدوق: ١٧٨، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٣٨

تكون أنفسنا قبل نفسك فجزاهم الخير، . . ، ثم تقدموا رجُلاً رجُلاً ، حتى بقي وحده ما معه أحدٌ من أهله ولا ولده ولا أقاربه ، فإنَّه لواقف على فرسه إذ أُتيَ بمولود قد وُلدَ له في تلك الساعة ، فأذَّنَ في أُذنه وجعل يُحنِّكه إذ أتاه سهم فوقع في حلق الصبي فذبحه فنزع الحسين السهم من حلقه وجعل يُلطِّخهُ بدمه ويقول : والله لأنت أكرم على الله من الناقة ولمحمد أكرم على الله من صالح ، ثم أتى فوضعه مع ولده وبني أخيه ، ثم حمل عليهم ، فقتل منهم خلقاً عظيماً ، وأتاه سهم فوقع في لُبتَّه ، فخرج من قفاه ، فسقط وبادر القوم فاحتزوا رأسه ، وبعثوا به الى عبيد الله بن زياد ، وانتهبوا مضاربه وابتزُّوا حُرمه ، وحملُوهنَّ الى الكوفة ، فلمّا دخلن إليها خرجت نساء الكوفة يصرخن ويبكين ، فقال علي بن الحسين : هؤلاء يبكين علينا فمن قتلنا ؟

وأُخرج عيال الحسين وولده الى الشام ، ونُصب رأسه على رُمح وكان مقتله (عليه السلام) لعشر ليالٍ خلون من المحرم سنة ٦١هـ ». [1]

وإني إذ أخذت من مقتل الإمام الحسين(عليه السلام) هذا التلخيص، ولم أتعرض لذكره كاملاً بغية الحفاظ على أهداف بحثنا هذا وإبعاده عن الإطالة والتشتت .

ولقد روى الطبري قائلاً : «قال هشام : فحدثني عبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجُذامي عن أبيه عن الغاز بن ربيعة الجرشي من حمير ،

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٦٩-١٧١ .

قال : والله إنّا لعند يزيد بن معاوية بدمشق إذ أقبل زحر بن قيس حتى دخل على يزيد بن معاوية ، فقال له يزيد: ويلك ! ما وراءك ؟ وما عندك ؟ فقال : أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ،ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته فسرنا إليهم ، فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال ، فاختاروا القتال على الاستسلام ، فعَدَونا عليهم مع شروق الشمس فأحَطنا بهم من كل ناحية ، حتى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام القوم ، يهربون إلى غير وَزرَ ويلوذون منا بالآكام والحُفر ، لو اذاً كما لاذ الحمائم من صقر[1] ، فو الله يا أمير المؤمنين ما كان إلا جزر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم ، فهاتيك أجسادهم مُجرَّدة وثيابهم مُرمَّلة وخدودهم معفرَّة ، تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الريح ، زوّارهم العقبان والرَّخم بِقيّ سبسب»[2]..الى قوله :

«لمّا وضعت الرؤوس بين يدي يزيد _ رأس الحسين وأهل بيته وأصحابه _ قال يزيد :

يُفلِّقن هاما من رجالٍ أعزةٍ ... علينا وهُم كانوا أَعقَّ وأظلمّا

أما والله يا حسين لو أنا صاحبك ما قتلتك . وقال يحيى بن الحكم

---

(١) انظر أخي القارئ الكريم إلى كذب هذا الفاسق المنافق كيف صوَّر ليزيد أخبار المعركة محاولا تغييب ما سطّره المعسكر الحسيني(عليهم السلام) في تلك الملحمة من شجاعة وبسالة وبطولات، صدح بها تاريخ الانسانية جمعاء على مر الأزمنة والدهور، أنشودة للثوار والأحرار في كل زمان ومكان.

(٢) تاريخ الامم والملوك ٤/ ٦٥٣ ، البداية والنهاية ٨/ ٢١٦ ، تذكرة الخواص:٢٦٠

أخو مروان بن الحكم :

هـامٌ بجنـب الطَّـفَّ أدنـى قرابـةً | من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سُميَّةُ أمسى نسلها عـدد الحـصى | وبنـتُ رسـول الله لـيس لهـا نسـل

قـال : فضـرب يزيـد بـن معاويـة في صـدر يحيـى بـن الحكـم وقـال : أسكت». [1]

ثـم أن يزيـداً أمـر بنسـاء الحسـين وبناتـه فـأقمن بدرجـة المسـجد حيـث توقـف الأسـارى لينظـر النـاس إلـيهنَّ ووضـع رأسـه (أي رأس الحسين(عليه السلام)) بين يديه وجعل ينكت بالقضيب في وجهه وهو يقول :

ليـت أشـياخي ببـدر شـهدوا | جـزع الخـزرج مـن وقـع الأسـل
لأهـلُّوا وأستـهلوا فـرحا | ولقـالوا يـا يزيد لا تـسل[2]

وفي نص آخر :

ثـم دعـا بقضـيب خيـزران فجعـل ينكـت بـه ثنايـا الحسـين (عليه السلام) وهـو يقـول : لقـد كـان ابـو عبـد الله حسـن المنطـق ! فأقبـل إليـه أبـو بـرزة الأسـلمي أو غـيره ، فقـال لـه : يـا يزيـد ويحـك أتنكـت بقضـيبك ثنايـا الحسـين وثغـره ! أشـهد لقـد رأيـت رسـول الله (صلى الله عليه وآله) يرشـف ثنايـاه وثنايـا أخيـه ويقـول : (أنـتما سـيدا شـباب أهـل الجنـة ، فقتـل الله قـاتلكما ولعنـه وأعـد لـه نـار جهـنم وسـاءت مصـيراً) . أمـا

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٦٥٤

(٢) ينظر: البدء والتاريخ : ٦/ ١٢-١٣

إنك يا يزيد لتجيء يوم القيامة وعبيد الله بن زياد شفيعك ويجيء هذا محمد(صلى الله عليه وآله) شفيعه .قال : فغضب يزيد وأمر بإخراجه فأُخرج سحباً [1]. وجعل يزيد يتمثل بأبيات عبد الله بن الزبعري وهو يقول :ـ

ليت أشياخي ببدر شهدوا	وقعة الخزرج من وقع الأسل
لأهلُّوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا يا يزيد لا تسل
حين القت بقناة بركها	واستحرّ القتل في عبد الأشل
فجزيناهم ببدر مثلها	وأقمنا ميل بدر فاعتدل

ثم زاد فيها هذا البيت من نفسه فقال :

لست من عتبة إن لم أنتقم	من بني احمد ما كان فعل [2]

وما أن استُشهد الحسين(عليه السلام) حتى ظهرت باستشهاده آيات وعلامات دلَّت على عظيم سُخط الله وغضبه على من قتله وشَرك في دمه ، أفزعت قلوب أعدائه من الطغاة الظالمين وأبكت عيون أوليائه من المؤمنين الصالحين ، وقد وافق يوم استشهاده (عليه السلام)اضطراب المدينة وغليانها لّما ظهر فيها من تلك الآيات البيّنات ، فكانت أول صارخة صرخت بتلك الفاجعة وعلمت بوقوعها وخبر مقتله(عليه السلام) لم يصل المدينة بعد ، أم سلمة أم المؤمنين زوج رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وكان رسول الله(صلى الله عليه وآله) قد دفع إليها قارورة فيها تربة، وقال لها : إن جبريل أعلمني

---

(١) ينظر: الفتوح: ٥/ ١٢٩ ، تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٦٥٩ باختلاف يسير، البداية والنهاية: ٨/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣ بإيجاز .

(٢) البداية والنهاية: ٨/ ٢١٧ باختلاف بعض الألفاظ .

أن أمتي تقتل الحسين ، وأعطاني هذه التربة ، وقال لي : إذ صارت دماً عبيطاً فاعلمي أن الحسين قد قتل ، وكانت عندها ، فلمّا حضر ذلك الوقت جعلت تنظر الى القارورة في كل ساعة فلمّا رأتها قد صارت دماً صاحت: وا حسيناه وا ابن رسول الله ! وتصارخت النساء من كل ناحية ، حتى ارتفعت المدينة بالرّجة التي ما سمع بمثلها قط[1].

وروى شهر بن حوشب ، قائلاً : «إنّا لعند أم سلمة زوج النبي(صلى الله عليه وآله) فسمعنا صرخة فأقبَلتُ حتى انتهيت الى أم سلمة ، فقالت : قُتل الحسين. فقالت : قد فعلوها ، مَلأَ الله قبورهم -أو بيوتهم -عليهم نارا ووقَعت مغشيًّا عليها، وقمنا»[2].

وحكى الزهري عن أم سلمة رضي الله عنه أنها قالت : «ما سمعت نواح الجن إلا في الليلة التي قتل فيها الحسين ، سمعت قائلاً يقول :

ألا يا عين فاختلفي بجهد ومن يبكي على الشهداء بعدي
على رهط تقودهم المنايا الى مُتَجَبِّرٍ في ثوب عبد

قالت : فعلمت أنه قد قتل الحسين»[3].

وروي أنَّ عبد الله بن عباس رضي الله عنه استيقظ من نومه فاسترجع، وقال : «قُتل الحسين والله ، فقال له أصحابه لِمَ يا ابن عباس ؟ فقال : رأيت رسول الله

(١) ينظر: تاريخ اليعقوبي: ٢ / ١٧١

(٢) البداية والنهاية: ٨/ ٢٢٦

(٣) تذكرة الخواص: ٢٦٩.

(صلى الله عليه وآله) ومعه زجاجة من دم فقال : (أتعلم ما صنعت أمتي من بعدي ؟ قتلوا الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعهما الى الله) . فكُتب ذلك اليوم الذي قال فيه وتلك الساعة، فما لبثوا إلّا أربعة وعشرين يوماً حتى جاءهم الخبر بالمدينة أنه قُتل في ذلك اليوم وتلك الساعة»[1].

وجاء عن ابن عباس أيضا، قوله : «رأيت رسول الله(صلى الله عليه وآله) في المنام نصف النهار اشعث اغبر ، معه قارورة فيها دم ، فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ما هذا ؟ قال : (هذا دم الحسين وأصحابه لم ازل التقطه منذ اليوم)»[2].

وروي عن عمرو بن عكرمة أنه قال : «أصبحنا صبيحة قُتل الحسين بالمدينة ، فاذا مولى لنا يحدثنا ، قال : سمعت البارحة مناديا ينادي وهو يقول :

ايها القاتلون جهلا حسينا ... ابشروا بالعذاب والتنكيل

كل اهل السماء يدعوا عليكم ... من نبي وملاك وقبيل

قد لعنتم على لسان ابن داود ... وموسى وحامل الانجيل[3]

وذكر عامر بن سعد البجلي : لمّا قتل الحسين بن علي (عليه السلام) رأيت

(١) البداية والنهاية: ٨/ ٢٢٦

(٢) البداية والنهاية: ٨/ ٢٢٦ ، تذكرة الخواص : ٢٦٨ -٢٦٩ ، نور الابصار : ١٣٣ باختلاف يسير .

(٣) تاريخ الامم والملوك: ٤/ ٦٦٠ ، البداية والنهاية: ٨/ ٢٣٣ الا أنَّ المتحدث مولاة وليس مولى فلاحظ.

النبـي (صلى الله عليه وآله) في المنـام فقـال لي : اذا رأيـت الـبراء بـن عـازب فـأقراه السـلام واخـبره انّ قتلـه الحسـين في النـار وان كـاد ان يعـذب الله اهـل الارض بعـذاب الـيم ، فـأخبرت الـبراء ، فقـال : صـدق الله ورسـوله، قـال رسـول الله (صلى الله عليه وآله): «**مـن رآني في المنـام فقـد رآني فـان الشـيطان لا يتصور في صورتي**»[1].

نعـم هـذا جانـب مـن العلائـم والآثـار التـي ظهـرت للنـاس في المدينـة، وفي غيرهـا مـن مـدن الاسـلام ، قبيـل ورود خـبره (عليه السلام)منبئـة بقتلـه ناعيـة لاستشهاده، دالة على فجيع مصابه وشديد كربته.

وذكـروا انّـه لّمـا قَتـل عبيـد الله بـن زيـاد الحسـين بـن عـلي (عليه السلام) وجيـئ برأسـه اليـه ، «دعـا عبـد الملـك بـن أبي الحـارث السـلَّمي فقـال : انطلـق حتـى تقـدم المدينـة عـلى عمـرو بـن سـعيد بـن العـاص فبشر-ه بقتـل الحسـين – وكـان عمـرو بـن سـعيد بـن العـاص امـير المدينـة يومئـذ – قـال : فـذهب ليعتـلّ لـه ، فزجـره – وكـان عبيـد الله لا يُصـطلى بنـاره – فقـال : انطلـق حتـى تـأتي المدينـة ، ولا يسـبقك الخـبر ، وأعطـاه دنـانير، وقـال : لا تعتـلّ وإن قامـت بـك راحلتـك فاشـتر راحلـة ، قـال عبـد الملـك : فقـدمت المدينـة ، فلقينـي رجـل مـن قـريش ، فقـال مـا الخـبر ؟ ، فقلـت : الخـبر عنـد الأمـير ، فقـال : إنـا لله وانـا اليـه راجعـون قتـل الحسـين بـن عـلي ، فـدخلت عـلى عمـرو بـن سـعيد فقـال : مـا وراءك ؟ فقلـت : مـا سرَّ الامـير ، قتـل الحسـين بـن عـلي ، فقـال : نـادِ بقتلـه ، فناديـت بقتلـه

---

(١) ينابيع المودة: ٣/ ٤٤ –٤٥

، فلم أسمع والله واعية قط مثل واعية نساء بني هاشم في دورهّن على الحسين ، فقال عمرو بن سعيد وضحك :

عجّت نساء بني زياد عجّه   كعجيج نسوتنا غداة الارنب

ثم قال عمرو : هذه واعية بواعية عثمان بن عفان ، ثم صعد المنبر فاعلم الناس قتله»[1].

و لا نجد الغرابة في فعل عمرو بن سعيد هذا واظهاره كل ذلك الفرح والتشفي بمقتل سيد الشهداء(عليه السلام)، لما كان يكتمه من العداء السافر لآل محمد(عليهم السلام)، ولِما اضطّمت عليه جوانحه اللئيمة من تلك الضغائن والاحقاد القديمة ، رواسب الجاهلية الاولى .

يقول ابن كثير: «ولّما بلغ أهل المدينة مقتل الحسين(عليه السلام) بكى عليه نساء بني هاشم ونحن عليه».[2]

وذكر السيد رضي الدين ابن طاووس قدس سره أنَّ الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري وجماعة من بني هاشم خرجوا الى ارض كربلاء لزيارة قبره (عليه السلام)، فوافى ذلك وصول ركب السبايا عائدًا من الشام فاجتمعوا جميعا عند قبره الشريف، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم على ذلك أياما، ثم توجهوا الى المدينة[3].

(١) تاريخ الامم والملوك: ٤/ ٦٥٩

(٢) البداية والنهاية: ٨/ ٢٢١

(٣) ينظر: الملهوف: ٢٢٥، ينابيع المودة ٣/ ٩٢

أقول: ولا يخلو هذا الخبر من نظر، إذ إنّ مسير ركب السبايا إلى الشام، ومن ثم رجوعه من الشام إلى كربلاء كان يتطلب حسب ما كان معروفا من مراحل السفر مدة أطول لبلوغ أرض كربلاء في يوم أربعين الإمام(عليه السلام).

يؤيده ما جاء عن السيد ابن طاووس نفسه في كتابه الإقبال، عند تعرّضه لهذا الخبر، قائلا ما لفظه:« ووجدت في المصباح ان حرم الحسين (عليه السلام)وصلوا المدينة مع مولانا علي بن الحسين (عليه السلام)يوم العشرين من صفر، وفي غير المصباح انهم وصلوا كربلاء أيضا في عودهم من الشام يوم العشرين من صفر ، وكلاهما مستبعد لان عبيد الله بن زياد لعنه الله كتب إلى يزيد يعرفه ما جرى ويستأذنه في حملهم ولم يحملهم حتى عاد الجواب إليه ، وهذا يحتاج إلى نحو عشرين يوما أو أكثر منها ، ولأنه لما حملهم إلى الشام روي أنهم أقاموا فيها شهرا في موضع لا يكنهم من حر ولا برد ، وصورة الحال يقتضي أنهم تأخروا أكثر من أربعين يوما من يوم قتل (عليه السلام)إلى أن وصلوا العراق أو المدينة .

قال السيد ابن طاووس متابعا: وأما جوازهم في عودهم على كربلاء فيمكن ذلك ، ولكنه ما يكون وصولهم إليها يوم العشرين من صفر ، لأنهم اجتمعوا على ما روى جابر بن عبد الله الأنصاري ، فإن كان جابر وصل زائرا من الحجاز فيحتاج وصول الخبر إليه ومجيئه أكثر من أربعين يوما، وعلى أن يكون جابر وصل من غير

الحجاز من الكوفة أو غيرها »[١].

ومِمَّن تتبَّع هذا الخبر بمزيد العناية والتحقيق، وتعرَّض لتوضيح اشكالاته بشكل دقيق، في عدم دقة ما ذكروه من مدَّة الأربعين، العلامة الثبت المحقق الميرزا حسين النوري (قُدِّسَ سِرُّهُ) في كتابه اللؤلؤ والمرجان[٢]، ولولا خوف الإطالة لأدرجنا كلامه هنا بتمامه، فمن أراد الاستزادة فليراجع.

وعودًا على بدء، نقول: فلمّا وصلوها لم يبق بالمدينة أحد وخرجوا يضجون بالبكاء وخرجت زينب بنت عقيل بن ابي طالب كاشفةً وجهها ناشرة شعرها تصيح واحسيناه واخوتاه واهلاه وامحمداه ، ثم قالت :

ماذا تقولون اذ قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وانتم اخر الأمم

باهل بيتي واولادي اما لكم ... عهد اما انتم توفون بالذمم

ذريتي وبنو عمي بمضيعة ... منهم اسارى وقتلى ضرّجوا بدم[٣]

ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم ... ان تخلفوني بسوء في ذوي رحمي[٤]

---

(١) إقبال الأعمال: ٣/ ١٠٠– ١٠١

(٢) ينظر: اللؤلؤ والمرجان: ١٨٢– ١٩٣

(٣) تذكرة الخواص: ٢٦٧

(٤) تاريخ الامم والملوك: ٤/ ٦٦٠ ، البداية والنهاية: ٨/ ٢٢٣ ، عيون الاخبار: ١/ ٢١٢ ، الفصول المهمة : ١٨٥ ، ينابيع المودة: ٣/ ٤٧ ، نور الابصار : ١٣٢

وانشدت فاطمة بنت عقيل بن أبي طالب:

عينــي ابكــي بعــبرة وعويــل ... وانــدبي إن ندبــت آل الرســول

تســعة كلهّــم لصــلب عــلي ... قــد أصــيبوا وخمســة لعقيــل[١]

وروي عـن بشـير بـن حـذلم أنـه قـال : «لمّـا وصـلنا قريبـا مـن المدينـة أمـرني الامـام زيـن العابـدين (عليه السلام) أن أُخـبر أهـل المدينـة ، فـدخلت المدينـة فقلـت : أيهـا المسـلمون إنَّ عـلي بـن الحسـين عليه السلام قـد قَـدِم اليكم مع عماتـه وأخواتـه. فـما بقيـت مخـدَّرة الّا بَـرَزن مـن خـدورهن ، مخمّشـة وجـوههن ، لاطـمات خـدودهن ، يـدعون بالويـل والثبـور قـال : فلـم أَرَ باكيـا وباكيـة أكثـر مـن ذلـك اليـوم ، فخـرج الامـام مـن الخيمـة وبيـده منـديل يمسـح بـه دموعـه ، فجلس على كرسي .. »[٢]

وفي نـص أورده ابـن طـاووس : «قـال بشـير بـن حـذلم : فلـمّا قربنـا منهـا نــزل عــلي بــن الحســين (عليه السلام) ، فحّــط رحلــه وضرب فســطاطه وأنــزل نســاءه. وقــال يــا بشــر ، رحــمَ الله أبــاك لقــد كــان شــاعرًا ، فهــل تقــدر عــلى شيء منه ؟.

قلت : بلى يا بن رسول الله إني لشاعر

قال : فادخل المدينة وانع أبا عبد الله(عليه السلام).

---

(١) ينابيع المودة: ٣/ ٤٧ – ٤٨

١ ينابيع المودة: ٣/ ٩٣

قال بشر : فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة فلـمّا بلغت مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول :

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها   قُتل الحسين فأدمعي مدرار

الجسم منه بكربلاء مضرّج   والرأس منه على القناة يُدار

قال : ثم قلت : هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم ، وأنا رسوله إليكم أعرَّفكم مكانه .

قال : فما بقيت في المدينة مخدّرة ولا محجبة إلا بَرزن من خدورهنّ مكشوفة شعورهن مخمَّشة وجوههن ، ضاربات خدودهُّن ، يدعون بالويل والثبور ، فلم أَرَ باكيا ولا باكية أكثر من ذلك اليوم ، ولا يوما أَمرُّ على المسلمين منه بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) » . . الى قوله : «قال : فتركوني مكاني وبادروا ، فضربتُ فرسي حتى رجعت إليهم ، فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع ، فنزلت عن فرسي وتخطيت رقاب الناس ، حتى قربت من باب الفسطاط ، وكان علي بن الحسين(عليه السلام) داخلًا ، فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه ، وخلفه خادم معه كرسي ، فوضعه له وجلس عليه وهو لا يتمالك من العبرة ، فارتفعت أصوات الناس بالبكاء وحنين الجواري والنساء ، والناس من كل ناحية يعزُّونه فضجَّت تلك البقعة ضجة شديدة ، فأومأ بيده أن اسكتوا فسكنت فورتهم ، فقال(عليه السلام):

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين بارئ

الخلائـق أجمعـين ، الـذي بَعُـدَ فـارتفع في السماوات العـلى ، وقـرب فشـهد النجـوى ، نحمـده عـلى عظـائم الأمـور ، وفجـائع الـدهور ، وألم الفواجـع ومضاضـة اللـواذع ، وجليـل الـرزء وعظـيم المصـائب الفاظعـة الكاظَّـة الفادحـة الجائحـة. أيها القـوم إنَّ الله تعـالى ولـه الحمـد ابتلانـا بمصـائب جليلـة وثلمـة في الإسـلام عظيمـة ، قُتـل أبـو عبـد الله (عليه السلام) وعترتـه ، وسُـبي نسـاؤه وصـبيته ، وداروا برأسـه في البلـدان مـن فـوق عامـل السـنان ، وهـذه الرزيّـة التـي لا مثلهـا رزيّـة ، أيها النـاس فـأيّ رجـالات مـنكم يُسـرَّون بعـد قتلـه أم أيَّـة عـين مـنكم تحبس دمعهـا وتضـنَّ عـن انهمالهـا ؟ فلقـد بكـت السـبع الشـداد لقتلـه ، وبكـت البحـار بأمواجهـا ، والسـموات بأركانهـا ، والأرض بأرجائهـا ، والأشـجار بأغصـانها ، والحيتـان في لجـج البحـار والملائكـة المقرَّبـون وأهـل السماوات أجمعـون . أيهـا النـاس ، أصـبحنا مطـرودين مشـرَّدين مـذودين شاسـعين عـن الأمصـار ، كأننـا أولاد تـرك أو كابـل، مـن غـير جـرم اجترمنـاه ، ولا مكـروه ارتكبنـاه، ولا ثلمـة في الإسـلام ثلمناهـا مـا سـمعنا بهـذا في آبائنـا الأولـين . إنَّ هـذا إلا اخـتلاق ، والله لـو أنَّ النبـي (صلى الله عليـه والـه وسـلم) تقـدَّم إلـيهم في قتالنـا كما تقـدَّم إلـيهم في الوصـاية بنـا لّمـا زادوا عـلى مـا فعلـوا بنـا ، فإنـا لله وإنـا إليـه راجعـون ، مـن مصـيبة مـا أعظمهـا وأوجعهـا وأفجعهـا وأكظَّهـا وأفظعهـا وأمرَّهـا وأفـدحها ، فعند الله نحتسب فيما أصابنا وأبلغ بنا ، إنه عزيزٌ ذو انتقام»[1].

(١) الملهوف على قتلى الطفوف : ٢٢٦ - ٢٣٠

وهكذا تُسفر الأخبار المتقدمة عن مدى التوتر والاضطراب الذي ساد أجواء المدينة وخيّم على أرجائها، إبّان حركة الإمام الحسين(عليه السلام) ابتداءاً من وقت خروجه منها متوجها نحو العراق الى ورود الخبر بمقتله(عليه السلام)، وما كان قد ظهر في تلك الفترة لأهل المدينة خصوصاً وللمسلمين عموماً من دلائل وآيات نادت بقتله ونعت استشهاده أججّت مشاعر المسلمين، وأبكت عيونهم بما استهجنوه واستعظموه من قتل سيد شباب أهل الجنة، وسبي حُرمه وأطفاله، والطواف بهم أسارى في البلدان وهو ما أثار غضبهم ونقمتهم وإنكارهم على يزيد تلك الفجيعة المرمضة، ثم تجدد أحزان المدينة وهيجان آلامها برجوع الإمام السجاد (عليه السلام) وبنات الرسالة إليها، وما كان من خطبته العصماء بأهلها وقد انحدروا إليه يعزّونه بجلل المصاب وعظم الرزية، تلك الخطبة المؤلمة التي نعى فيها استشهاد أبيه(عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه على أيدي البرابرة العُتاة من أوباش الكوفة وطغّامهم، ممن باعوا آخرتهم بدنيا يزيد الذي كشف بفعلته تلك مدى استهانته واستخفافه بدين الله، وحرمة رسوله (صلى الله عليه وآله) من خبث السريرة وسوء الاعتقاد، وهو ما ألَّب عليه الخاص والعام، ومَقَته الناس واستوحشوا أيام حكمه الظالم.

أَضف الى ذلك ما قد يجده الباحث المتأمل في تلك الخطبة البليغة من المناداة بمظلومية الإمام الحسين وأهل بيته(عليهم السلام)، وفضح بشاعة ما تعرضوا له من قتل وسلب واستهانة، وما انطوت عليه أيضا من حثّ وتحريض لإيقاظ تلك النفوس الغافلة وبعث روح الجهاد فيها من جديد، ولمّا

كانت المدينة هي موطن آل الرسول(صلى الله عليه وآله)، ومسرحًا لأهم تلك الأحداث ، لذا فقد كان من فعل أهلها أن مَقَتوا على يزيد حَوْبته، وأنكروا عليه جُرأته، مع ما كان من سابق عهدهم به وبأبيه معاوية في جفائه لهم وحقده عليهم وتنصُّله من حقوقهم ، وهو ما زاد في تراكم بغضهم له ورفضهم حكمه، حتى أصبح ذلك الوضع أحد الأسباب المهمة لانتفاضتهم ضده وثورتهم عليه .

حركة عبد الله ابن الزبير

كنا قد اسلفنا القول فيما سبق ، أنَّ أحد أشدّ المعارضين لبيعة يزيد بن معاوية هو عبد الله بن الزبير الذي أنكر على معاوية تلك البيعة وسعى لتقويضها والفرار من الزام عنقه بها بالمكر والمراوغة ، والذي حين دُعي اليها بعد تولي يزيد تنصَّل منها وفرّ الى مكة هاربا متخفِّيا يرقب ما يؤول إليه أمر الإمام الحسين(عليه السلام)، وفي نفسه من ظهور الحسين(عليه السلام) شيء ، ثم إنه ما إن عَلِم بمقتله(عليه السلام) حتى عابَ يزيد وبني أمية وأظهر خلافهم ودعا متجاهرًا الى الرضا والشورى ، وأَسرَّ الدعوة الى نفسه ، وجعل يبايع سِرًّا مع إظهاره التنسك والعبادة وسمّى نفسه العائذ بالبيت (بيت الله الحرام) ، فكان ذلك أول شرر الفتنة .

وقد حدثنا الطبري عن بعض ذلك ، فقال :

«لمّا قتل الحسين (عليه السلام) قام ابن الزبير في أهل مكة وعظّم مقتله ، وعاب على أهل الكوفة خاصة ، ولام أهل العراق عامة ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد (صلى الله عليه وآله): إنَّ أهل العراق غُدُرٌ فُجر إلاّ قليلاً ، وإنَّ أهل الكوفة شرار أهل العراق ، وإنهم دعوا حسيناً لينصروه ويولوه عليهم ، فلمّا قدِم عليهم ثاروا إليه ، فقالوا له : إما أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد بن سمية سلمّا فيمضي فيك حكمه ، وأمّا أن تحارب ، فرأى والله أنه هو وأصحابه قليل في كثير وإن كان الله عز وجل لم يُطلع على الغيب أحداً أنه مقتول، ولكنه اختار الميتة

الكريمة على الحياة الذميمة ، فرحم الله حسينا وأخزى قاتل حسين ، لعمري لقد كان من خلافهم إياه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناهٍ عنهم ، ولكنه ما حمّ نازل ، وإذا أراد الله أمرًا لن يُدفع ، أفبعدَ الحسين نطمئن الى هؤلاء القوم ونصدّق قولهم ونقبل لهم عهداً ! لا ، ولا نراهم لذلك أهلًا ، أما والله لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه ، كثيرًا في النهار صيامه ، أحقّ بما هم فيه منه وأولى به في الدين والفضل ، أما والله ما كان يبدل بالقرآن الغناء ولا بالبكاء من خشية الله الحُداء[1] ، ولا بالصيام شرب الحرام ، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تطلاب الصيد - يعرّض بيزيد - ﴿ فسون يلقون غيا[مريم : [٥٩] ﴾ »[2].

ويقول المقدسي : «وأما عبد الله بن الزبير فامتنع بمكة ولاذ بالكعبة ودعا الناس الى الشورى وجعل يلعن يزيد وسماه الفاسق المتكبر وقال : لا يرضى الله بعهد معاوية الى يزيد وإنما ذاك الى عامة المسلمين . فأجابه الناس الى ذلك ورأوا الحق فيه ، وأظهر ابن الزبير التأله والتنسك وجعل يصوم ويصلي حتى أثّر فيه ومال الناس إليه .. »[3].

«فثار إليه أصحابه فقالوا له : أيها الرجل أظهر بيعتك ، فإنه لم يبق أحد اذهلك حسين ينازعك هذا الأمر . وقد كان يبايع الناس سراً ، ويظهر أنه

---

(١) حدا الإبل حدوا وهو حادي الإبل وهم حداتها وحدا بها حداء إذا غنى لها. أساس البلاغة: ١٦٠

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٦٦٧-٦٦٨ ، الكامل في التاريخ ٣/ ٤٤٦ - ٤٤٧ .

(٣) البدء والتاريخ: ٦/ ١٣ .

عائذ بالبيت ، فقال لهم : لا تعجلوا ـ وعمرو بن سعيد بن العاص يومئذ عامل مكة ، وقد كان أشد شيء عليه وعلى أصحابه وكان مع شدَّته عليهم يُداري ويرفق ـ فلمّا أستقر عند يزيد بن معاوية ما قد جمع ابن الزبير من الجموع بمكة ، أعطى الله عهداً ليُوثِقنَّه في سلسلة ، فبعث بسلسلة من فضة..»[1].

ويقول خليفة بن خياط : «لمّا بلغ يزيد بن معاوية أن أهل مكة أرادوا ابن الزبير على البيعة فأبى ، أرسل النعمان بن بشير الأنصاري وهمام بن قبيصة النميري الى ابن الزبير يدعوانه الى البيعة ليزيد ، على أن يجعل له ولاية الحجاز وما شاء وما أحب لأهل بيته من الولاية ، فقدِما على ابن الزبير ، فعرضا عليه ما أمرهما به يزيد فقال ابن الزبير : أتأمراني ببيعة رجل يشرب الخمر ويدع الصلاة ويتّبع الصيد ! فقال همام : أنت أولى بما قلت منه ، فلكمه رجل من قريش ، فرجعا الى يزيد ، فغضب فحلف لا يقبل بيعته إلا وفي يده جامعة »[2].

وقيل بل أنَّ ابن الزبير لمّا سار الى مكة وخرج الحسين عنها سائرًا الى الكوفة كان يقول : « إني في الطاعة ، غير أني لا أبايع أحداً ، وأنا مستجير بالبيت الحرام ، فبعث إليه يزيد بن معاوية رجلاً في عشرة نفر من حرسه ، وقال : انطلق ، فانظر ما عنده ، فإن كان في الطاعة فخذه

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٦٦٨ ، الكامل في التاريخ: ٣ / ٤٤٧ .

(٢) تاريخ خليفة بن خياط : ١٥٦ـ١٥٧ .

بالبيعة ، وإن أبى فضع في عنقه جامعة وائتني به . فلمّا قدم الحَرسيّ عليه ، وأخبره بما أتاه فيه ، تمثل ابن الزبير :

ما إن ألين لغير الحقّ أسأله   حتى يلين لضرس المّاضغ الحجر

وقال للحرسيّ : انصرف الى صاحبك ، فأعلمه أنني لا أجيبه الى شيء مما يسألني . قال الحرسي : ألست في الطاعة ؟ ، قال : بلى ، غير أني لا أمكنّك من نفسي ، ولا أكاد ، فانصرف الحرسيّ الى يزيد ، فأخبره بذلك». [١]

ثم أن ابن الزبير شَمَّر للأمر الذي أراده ولبس المعافري وشبَرَ بطنه، وقال : إنما بطني شبر ، وما عسى أن يسع الشبر ! وجعل يُظهر عيب بني أمية ويدعوا الى خلافهم [٢]. «فأمهله يزيد سنة ، ثم بعث إليه عشرة من أهل الشام عليهم النعمان بن بشير . وكان أهل الشام يسمون أولئك العشرة النفّر الرّكب ، منهم عبد الله بن عضاه الأشعري وروح بن زنباع الجُذامي وسعد بن حمزة الهمداني ومالك بن هبيرة السكوني وأبو كبشة السكسكي وزمل بن عمرو العُذري وعبد الله بن مسعود وقيل ابن مسعدة ، ابن مسعدة الفزاري وأخوه عبد الرحمن وشريك بن عبد الله الكناني وعبد الله بن عامر الهمداني وجعل عليهم النعمان بن بشير ، فاقبلوا حتى قدموا مكة على عبد الله بن الزبير وكان النعمان يخلوا به في

---

(١) الأخبار الطوال : ٢٦٢ .

(٢) ينظر: الأغاني: ١/ ٣٦-٣٧ .

الحجر كثيرا ، فقال له عبد الله بن عضاه يوما : يا ابن الزبير ، إنّ هذا الأنصاري والله ما أمر بشيء إلاّ وقد أمرنا بمثله إلا أنه قد أمّر علينا ، إني والله ما أدري ما بين المهاجرين والأنصار . فقال ابن الزبير : يا ابن عضاه ، ما لي ولك ! إنما أنا بمنزلة حمامة من حمام مكة ، أفكنت قاتلاً حماما من حمام مكة ؟ قال : نعم ، وما حرمة حمام مكة ؟ يا غلام ، إئتني بقوسي وأسهمي ، فأتاه بقوسه وأسهمه فأخذ سهما فوضعه في كبد القوس ثم سدّده نحو حمامة من حمام المسجد وقال : يا حمامة ، أيشرب يزيد بن معاوية الخمر ؟ قولي نعم ، فوالله لئن فعلت لأرمينّك . يا حمامة ، أتخلعين يزيد بن معاوية وتفارقين أمة محمد(صلى الله عليه وآله) وتقيمين في الحرم حتى يُستحلّ بك ؟ والله لئن فعلت لأرمينك . فقال ابن الزبير : ويحك! أو يتكلم الطائر ؟ قال : لا لكنك يا ابن الزبير تتكلم . أُقسم بالله لتبايعنّ طائعا أو مكرها أو لتتعرّفنَّ راية الأشعريين في هذه البطحاء ، ثم لا أعظّم من حقها ما تعظم . فقال ابن الزبير : أو تستحل الحرم ! قال : إنما يستحلهُّ من ألحد فيه . فحبسهم شهرا ثم ردهم الى يزيد بن معاوية ولم يجبه الى شيء» [1].

وفي خبر: «أنَّ ابن الزبير خلا بالنعمان بن بشير دون أولئك النفر وقال له : أنشدك الله ، أنا أفضل عندك أم يزيد ؟ فقال : بل أنت . فقال : فوالدي خير أم والده ؟ قال : بل والدك . قال : فأمي خير أم أمّه ؟ قال :

---

(١) الفتوح لابن اعثم: ٥/ ١٥٠ ـ ١٥٢ باختلاف بعض الألفاظ ، الاخبار الطوال: ٢٦٣ بإيجاز .

بـل أمُّـك . قـال : فخـالتي خـير أم خالتـه ؟ قـال : بـل خالتـك . قـال : فعمتـي خـير أم عمتـه ؟ قـال : بـل عمتَّـك ، أبـوك الـزبير ، وأمـك أسـماء بنـت أبي بكـر ، وخالتك عائشة ، وعمَّتك خديجة بنت خويلد .

قـال : أفتُشـير عـلي بمبايعـة يزيـد ؟ قـال الـنعمان : أمّـا إذا استشـرتني فـلا أرى لـك ذلـك ، ولسـت بعائـد إليـك بعـد هـذا أبـداً . ثـم إن القـوم انصـرفوا الى الشام ، فأعلموا يزيد أن ابن الزبير لم يجب الى شيء ».[1]

ثـم إن الوليـد بـن عتبـة وناسـاً معـه مـن بنـي أميـة قـالوا ليزيـد بـن معاويـة : «لـو شـاء عمـرو بـن سـعيد لأخـذ ابـن الـزبير وبعـث بـه إليـك ، فسرِّـح الوليـد بـن عتبـة عـلى الحجـاز أمـيراً وعـزل عمـرا . وكـان عـزل يزيـد عمـرو بـن سـعيد عـــن الحجـــاز وتـــأميره عليهـــا الوليـــد بـــن عتبـــة في ســـنة إحـــدى وســـتين للهجرة».[2]

وهكـذا تـم لابـن الـزبير مـا أراد مـن اسـتقطاب النـاس واجتـذابهم إليـه بـــما أظهـــر لهـــم مـــن التألـــه والعبـــادة وكثـــرة الصـــيام والقيـــام والتمويـــه، والاحتيـال علـيهم بلـبس الخشـن وأكـل الجشـب ، والإكثـار مـن قولـه (إنـما بطنـــي شـــبر ومـــا عســـى أن يســـع الشـــبر) تظـــاهرًا منـــه بالزهـــد والتعفـــف والاعـراض عـن مظـاهر الـدنيا الزائلـة ، الى غـير ذلـك مـن أسـاليبه المـّاكرة

(١) الأخبار الطوال: ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٦٦٩ ، تاريخ خليفة بن خياط : ١٤٦، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٤٨ ، البداية والنهاية: ٨/ ٢٣٨.

ومظـاهر تقـواه الخدّاعـة التـي حـاول الاسـتحواذ بهـا عـلى قلـوب العامـة وكسب تأييدهم في الدعوة الى نفسه وخلع يزيد بن معاوية.

التقاء وفد المدينة يزيد بن معاوية

بعد تولية الوليد ولاية الحجاز أقام يريد غَّرة ابن الزبير فلا يجده إلا محترزاً ممتنعاً ، وثار نجدة بن عامر النخعي باليمامة حين قتل الحسين وثار ابن الزبير بالحجاز وكان الوليد يُفيض من المعرَّف ويفيض معه سائر الناس وابن الزبير واقف في أصحابه ونجده واقف في اصحابه ، ثم يفيض ابن الزبير بأصحابه، ونجدة بأصحابه . وكان نجدة يلقى ابن الزبير فيُكثر حتى ظنَّ أكثر الناس أنه سيبايعه، ثم أنَّ ابن الزبير عمِلَ بالمكر في أمر الوليد ، فكتب الى يزيد : إنك بعثت إلينا رجُلاً أخرق لا ينجد لرشد ولا يرعوي لعظة الحكيم ، فلو بعثت رجُلاً سهل الخلق رجوت أن يسهِّل من الأمور ما استوعر منها وأن يجتمع ما تفرق ، فعزل يزيد الوليد وولى عثمان بن محمد بن أبي سفيان وهو فتى غر حَدَث لم يجرب الأمور ولم يحنكّه السِّن ، لا يكاد ينظر في شيء من سلطانه ولا عمله.[1]

وفي نص عن ابن كثير: «أن الذي عمِل بالمكر في أمر الوليد وكاتَبَ يزيد في عزله هو نجدة بن عامر الحنفي (النخعي)».[2]

ثم لا يستبعد أن يكون الأمر قد صدر عن كليهما لاتفاق مسبق كان بينهما، غايته التغرير بيزيد ودفعه الى عزل الوليد بن عتبة وتولية غيره وهو ما حصل بعد ذلك بالفعل والله سبحانه أعلم .

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٦٧١ ، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٤٩

(٢) البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٢

وهناك من روى سببا آخر لعزل الوليد بن عتبة وهو تحريض عمرو بن سعيد وتعريضه به أمام يزيد حين ورد عليه معزولاً، وأصل ذلك: «أن يزيد لمّا عزل عمرو بن سعيد، وولى الوليد بن عتبة، قدم الوليد المدينة، فأخذ غلمّاناً لعمرو، نحوا من ثلاثمائة فحبسهم، فكلّمه فيهم عمرو فأبى أن يخلّيهم، فخرج عمرو من المدينة وكتب الى غلمّانه: إني باعث الى كل رجل منكم جملاً وأداته، تناخ لكم بالسوق، فإذا أتاكم رسولي فاكسروا باب السجن، ثم ليقم كل رجل منكم الى جمله فليركبه، ثم اقبلوا عليَّ. ففعل ذلك، فقدم على يزيد، فرحَّب به وعاتبه على تقصيره في أشياء يأمره بها في ابن الزبير، فقال: يا أمير المؤمنين الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وأنَّ جلّ أهل الحجاز مالوا إليه، ولم يكن معي جند أقوى عليه لو ناهضته، فكنت أداريه لأتمكن منه، مع أني قد ضيقت عليه، فجعلت على مكة وطرقها رجالا لا يدعون أحدا يدخلها حتى يكتبوا لي اسمه واسم أبيه، وما جاء به، فإن كان ممن اری أنه يريده رددته صاغرا وقد بعثت الوليد وسيأتيك من عمله ما تعرف به فضل مبايعتي ومناصحتي فعزل يزيد الوليد، وبعث عثمان بن محمد بن أبي سفيان وهو حدث لم يحكنّه السن، وكان لا يكاد ينظر في شيء من عمله ..»[1].

وذكر بعضهم: «أن ابن عضاه وأصحابه الوافدين معه على ابن الزبير كانوا قد عرّفوا يزيد ميل أهل المدينة الى ابن الزبير وأتاه خبر عمرو بن

---

(١) المنتظم: ٦/ ٦-٧.

الزبير وما أعلن عبد الله من الأمر بعد ذلك ، وأن أهل المدينة قد كاشفوا بعداوته فكتب يزيد الى عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامله أن يوجِّه إليه وفدا ليستمع مقالتهم ويستميل قلوبهم فأوفد إليه المنذر بن الزبير بن العوام وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي وعبد الله بن حنظلة الغسيل بن ابي عامر الأنصاري في آخرين من الأشراف فلمّا قدموا عليه أكرمهم ووصل كلّاً منهم بخمسين ألف درهم ووصل المنذر بمائة ألف درهم ..» [1]

وذكرت جملة من المصادر أنه: أعطى عبد الله بن حنظلة ــ وكان شريفاً فاضلاً عابداً سيداً ــ مائة ألف درهم ، وكان معه ثمانية بنين فأعطى كل ولد عشرة آلاف ، فلمّا رجعوا قدموا المدينة كلهم إلا المنذر بن الزبير فإنه قدم العراق على ابن زياد.

ثم إنَّ أولئك النفر الوفد لمّا قدموا المدينة قاموا فيها فأظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا : قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان ، ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الخرّاب ـ وهم اللصوص ـ وإنا نشهدكم إنا قد خلعناه ، وقام عبد الله بن حنظلة الغسيل فقال : جئتكم من عند رجل لو لم أجد إلا بَنيَّ هؤلاء لجاهدتهُ بهم، وقد أعطاني وأكرمني وما قبلتُ منه عطاءه إلاّ لأتقوّى به عليه ، فخَلَعه الناس وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد

(١) أنساب الأشراف ٤ ق ٢ / ٣١

وولّوه عليهم[1] .

والخبر لا ارتياب فيه يفصح عن محاولة يزيد استرضاء أهل المدينة وامتصاص نقمتهم عليه، بعد أن شَملهم جوره وجور عماله وما كان من قتله الإمام الحسين (عليه السلام) ، إلا أن ذلك لم يكن لينفع معهم أو يردع إصرارهم، وقاموا وكما مرَّ ذكره سلفاً بخلعه بعد أن أظهروا شتمه وعيبه.

أما المنذر بن الزبير فإنه قَدِم على ابن زياد فأكرمه وأحسن إليه وكان صديق زياد ، فأتاه كتاب يزيد حيث بَلَغه أمر المدينة يأمره بحبس المنذر ، فكره ذلك لأنه ضيفه وصديق أبيه، فدعاه وأخبره بالكتاب، فقال له إذا اجتمع الناس عندي فقم وقل ائذن لي لأنصرف الى بلادي ، فإذا قلت: بل تُقم عندي فلك الكرامة والمواساة، فقل :إنَّ لي ضيعة وشُغلاً ولا أجد بدًّا لي من الانصراف، فإني آذن لك في الانصراف فتلحق بأهلك فلـمّا اجتمع الناس على ابن زياد فعل المنذر ذلك فأذن له في الانصراف فقدم المدينة فكان ممن يُحرِّض الناس على يزيد ، وقال : إنه قد أجازني بمائة ألف ولا يمنعني ما صنع بي أن أخبركم خبره وأصدقكم عنه والله إنه ليشرب الخمر والله إنه ليسكر حتى يدع الصلاة وعابه بمثل ما عابه به أصحابه وأشد ..[2].

---

(١) أقول : والخبر مما أجمع عليه أكثر المؤرخين باختلاف يسير فيما بينهم ، ينظر تاريخ خليفة بن خياط : ١٤٧-١٤٨ ، تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٦٧١، العقد الفريد: ٤/ ٣٨٨ ، تاريخ مدينة دمشق:١١/ ٤٣٦، ٢٧/ ٤٢٧، ٥٨/ ١٠٥،المنتظم: ٦/ ٧ ، الكامل في التاريخ ٣/ ٤٤٩ – ٤٥٠، تاريخ الإسلام: ٥/ ٢٣ - ٢٤، البداية والنهاية: ٨ / ٢٤٢ ، الإصابة: ٤/ ٥٨، وغيرها كثير.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٠

ولا يخفى على المتفحص النبيه حقيقة المنذر بن الزبير هذا، وإنه كان أحد عيون أخيه عبد الله بن الزبير وتَبَع لأمره في موقفه من يزيد، وتحريض أهل المدينة عليه، أما علاقته الحميمة بابن زياد فلها قصة يخبرنا بها المصعب الزبيري ، فيقول :

«وكان المنذر بن الزبير يتلو عبد الله في السن وكان منقطعا الى معاوية بن أبي سفيان وأوصى معاوية أن يحضر المنذر غسله، وأمر له بمال ، فكتب يزيد بن معاوية الى عبيد الله بن زياد، فدفعه إليه ، فأقطعه الدار التي تُنسب الى الزبير بكلاء البصرة ، وأقطعه منزلاً بالبصرة .

والمنذر بن الزبير هو الذي شهد على قول علي بن أبي طالب في زياد ، قال : سمعت أبا سفيان بن حرب مقدم زياد من تستر من عند أبي موسى حين قدم على عمر ، وأمره أن يتكلم يُخبِّر الناس بفتح تستر ، فقام زياد فتكلم فأبلغ فعجب الناس من بيانه ، وقالوا إن ابن عُبيد لخطيب قال علي : فسمع ذلك أبو سفيان بن حرب فأقبل عليّ ، فقال : ليس بابن عبيد ، وأنا والله أبوه ، ما أقرَّه في رحم أمه غيري ، قلت : فما يمنعك منه ، قال : خوف هذا ، يعني عمر بن الخطاب . فكان آل زياد يشكرون ذلك للمنذر بن الزبير . ثم بدا ليزيد فكتب الى عبيد الله بن زياد يأمره بحبس ذلك المّال عن المنذر وألا يدع المنذر يخرج من البصرة وذلك حين خالفه عبد الله بن الزبير ، فخاف أن يلحق بأخيه ، فيكون ذلك المّال عوناً له ، فأرسل إليه ابن زياد ، فأخبره الخبر وقال : قد أجلتك ثلاثاً ، وخذ من وراء أجلي ما شئت ، فانطلقَ المنذر قِبَل مكة وسار سيرا شديداً ..»[1].

---

(١) نسب قريش: ٢٤٤ ـ ٢٤٥ ، مروج الذهب: ٣/ ١٩ .

أقـول : والخـبر فيـه مـا فيـه مـن وضـاعة آل زيـاد وافتخـارهم بزنـا أمهـم ، ومـا قـد صرخ بـه ذلـك القـول المشـين مـن القـذف والشـتم لأعراضـهم ، ثـم العجـب مـن شـكرهم المنـذر بـن الـزبير وهـو مـن فضـح ذلـك الخـزي وأشاعه، فكان له به عندهم المنزلة والزلفى ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولنرجع فنقول : «ثم إنَّ عبد الله بـن الـزبير أقـام عـلى خلـع يزيـد ومـالَأه عـلى ذلك أكثر الناس فدخل عليه عبد الله بن مطيع وعبد الله بن حنظلة وأهـل المدينـة المسجد، وأتوا المنبر فخلعوا يزيـد ، فقـال عبـد الله بـن أبي عمـرو بـن حفـص بـن المغيرة المخزومي : خلعت يزيد كما خلعت عمامتي ونَزعها عن رأسـه وقـال : إني لأقول هذا وقد وصَلني وأحسـن جـائزتي ، ولكـن عـدو الله سـكيرٌ خمـيرٌ ، وقـال آخر : خَلعته كما خلعت نعلي . وقال آخر : خَلعته كما خلعت ثوبي ، وقال آخـر : قد خلعته كما خلعت خُفِّي ، حتى كثـرت العمائـم والنعّـال والخفـاف ، وأظهـروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك ..» [1].

وفي خبر : «ثم أعلن عبد الله بن الزبير ما هو فيه ، وأرسل الى سعد مـولى عتبـة بن أبي سفيان وهو متحصن بالطائف ، فأرسل إليه بقوم فحاصروه حتى استنزلوه في خمسين رجلا من اصحابه من شيعة يزيد بن معاوية فأتوا بهم إليه فأمر بحبسـهم ، ويقال أنه قتلهم عن آخرهم . . . ثم أقبل حتى نزل دار البلاط بمكة فجعلهـا دار إمارته ، قال : وتفرقّ كل من كان بمكة من شيعة بني أمية خوفـاً عـلى أنفسـهم ، فصاروا الى الشام ، وأنشأ بعض أهل مكة يقول:

---

(١) الأغاني: ١/ ٣٨ ، المنتظم : ٦/ ١٢ ، البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٤ .

بلى أم حمدٍ ما تحمّد أهله فكيف بذي وجد من القوم آلف
من أجل أبي بكر جلت عن بلادها أمية والأيام دار تعارف
وقد حلَّ في دار البلاط مطوّع قبول على الأرحام ليس بعاطف
وعما قليل سوف يأتي بيثرب عليها من الأبطال ذات زواحف

قال : «وبلغ أهل المدينة أن عبد الله بن الزبير بايعه أهل مكة والطائف وسائر الحجاز فوثبوا على عاملهم فأخرجوه من المدينة، وأخرجوا من كان معه من بني أمية فطردوهم بأجمعهم وبايعوا عبد الله بن الزبير، قال: وبلغ ذلك ابن الزبير فأرسل الى عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الغسيل ـ غسيل الملائكة ـ فولاّه المدينة، قال: فخلت مكة والمدينة من بني أمية» .[1]

وروى بعض المؤرخين أيضا أنَّ من أسباب هيجان أهل المدينة وإقدامهم على خلع يزيد ما كان من فِعل عامله معهم ، وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومنعه إياهم استرداد بعض ما أغتصب من حقوقهم أيام معاوية بن أبي سفيان ، وهذا ابن قتيبة يحدثنا عن ذلك، فيقول : «ثم قدم المدينة (أي عثمان بن محمد) ، فأقبل بن مينا (بن ميثا) بسراحٍ له من الحرَّة، يريد الأموال التي كانت لمعاوية ، فمُنِع منها ، وأزاحه أهل المدينة عنها ، وكانت أموالاً اكتسبها معاوية ، ونخيلا يجد منها مئة ألف وسق وستين ألفا ، ودخل نفر من قريش والأنصار على عثمان ، فكلموه فيها فقالوا : قد علمت أن هذه الأموال كلها لنا ، وأن معاوية آثر علينا في عطائنا ، ولم يُعطنا قطّ درهما فما

(١) الفتوح: ٥ / ١٥٦ ـ ١٥٧

فوقـه ، حتـى مضـنا الزمـان ونالتنـا المجاعـة ، فاشـتراها منـا بجـزء مـن مئـة مـن ثمنهـا ، فـأغلظ لهـم عـثمان في القـول ، وأغلظـوا لـه ، فقـال لهـم : لأكتـبنَّ الى أمـير المـؤمنين بسـوء رأيكـم ، ومـا أنـتم عليـه مـن كمـون الأضـغان القديمـة والأحقـاد التـي لم تـزل في صـدوركم ، فـافترقوا عـلى موجـدة ، ثـم اجتمـع رأيهـم عـلى منـع ابـن ميثـاء القـيِّم عليهـا ، فكـفّ عـثمان بـن محمـد عـنهم ، وكتـب بـأمرهم الى يزيـد بن معاوية»[1].

ولّمـا نـما الى يزيـد فعـل أهـل المدينـة ومـا أجمعـوا عليـه مـن الخـلاف كتـب إلـيهم كتابـاً يتهـددهم فيـه ويتوعـدهم، وأرسـله الى المدينـة وأمـر عـثمان بـن محمـد بقراءتـه علـيهم[2] ، فقـدِم الكتـاب المدينـة وعـثمان خـائف ، فقـرأه عليهم ، فإذا فيه :

بسـم الله الـرحمن الـرحيم ، أمـا بعـد ، فـإني قـد نفَّسـتكم حتـى أخلقـتكم ، ورفعـتكم حتـى أخـرقتكم ، ورفعـتكم عـلى رأسي ثـم وضـعتكم ، وأيـم الله ، لـئن آثـرتُ أن أضـعكم تحـت قـدميّ لأطـأنكم وطـأة أقـل منهـا عـددكم وأتـركُكم أحاديـث تتناسـخ كأحاديـث عـاد وثمـود ، وأيـم الله لا يـأتيكم مني أولى من عقوبتي ، فلا أفلح من ندم.[3]

---

(١) الامامة والسياسة: ١/ ١٧٦ ، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧٤

(٢) وقيل بل أرسل الكتاب مع النعمان بن بشير، وهو من قرأه عليهم. ينظر: أنساب الأشراف ٤/ ٣٢.

(٣) ينظر: الإمامة والسياسة: ١/ ١٧٧ ، عيون الأخبار ١/ ٢٠٢، العقد الفريد: ٤/ ٣٨٨ باختلاف بعض الألفاظ.

وفي خبر : أنه كتب إليهم قائلاً : «أما بعد ، فإني قد حَمَلتُكم على رأسي ، ثم على عيني ، ثم على فمي ، ثم على صدري ، والله لئن وضعتكم تحت قدمي لأطأنكم وطأةً أَقِلُّ منها عددكم ، وأتركَكم أحاديث تنسخ مع أحاديث عاد وثمود ، ثم تَمَثَّل هذا الشعر :

أظنُّ الحلم دلَّ عليَّ قومي ... وقد يستجهل الرجل الحليمِ

ومارست الرجال و مارسوني ... فمعوجٌّ علي ومستقيمِ

ولكنّي ألاقي منكرات ... فأنكرها وما أنا بالظلوم

والله ما أدري يأتيني بعد كتابي هذا ، إلا خلعكم ، ولا يأتينكم مني إلا نقمتكم ، فإذا شئتم ، فلا أفلح من ندم»[1].

ولا إشكال فيه أنَّ كتاب يزيد المتقدم إنما عكس ما ثوى في قلبه من إحن وآهات الجاهلية، وكمون تلك الأضغان القديمة التي أوجدت حزازة نفسه، وأوغرت صدره من أهل المدينة حين رفضوا بيعته، وكرهوا ولايته ، فجاء كتابه مُعبرًا بتلك اللهجة الشديدة عن مدى بغضه لهم، وسخطه عليهم منذرًا إياهم بما تضمنه من تهديد ووعيد .

وعودا على فنقول : وما إنْ قُرئ الكتاب حتى حَمي القوم ، فقَدمَّت الأنصار عبد الله بن حنظلة على أنفسهم، وقَدمت قريش عبد الله بن مطيع.[2]

(١) الأخبار الموفقيات : ١٩٧ ـ ١٩٨ ، أنساب الأشراف ٤ / ٣٢ باختصار البيت الثالث واختلاف بعض الألفاظ .

(٢) ينظر : العقد الفريد: ٤/ ٣٨٨ .

ثـم إنَّ يزيـدًا لمّـا رأى مـنهم ذلـك الإصرار وعـدم رجـوعهم عـمّا أجمعـوا عليـه ،بعـث الى الـنعمان بـن بشـير الأنصـاري وقـال لـه : «ائـت النـاس وقومـك فافثـأهم عـما يريـدون ، فـإنهم إن لم ينهضـوا في هـذا الأمـر لم يجـترئ النـاس عـلى خـلافي ، وبهـا مـن عشيرتي مـن لا أحـب أن يـنهض في هـذه الفتنـة فيهلـك ، فأقبـل الـنعمان بـن بشـير فـأتى قومـه ، ودعـا النـاس إليـه عامـة ، وأمـرهم بالطاعـة ولـزوم الجماعـة ، وخـوفهم الفتنـة ، وقـال لهـم : إنـه لا طاقـة لكـم بأهـل الشـام ، فقـال عبـد الله بـن مطيـع العـدوي : مـا يحملـك يـا نعـمان عـلى تفريـق جماعتنـا ، وفسـاد مـا أصـلح الله مـن أمرنـا ؟ فقـال الـنعمان : أمـا والله لكـأني بـك لـو قـد نزلـت تلـك التـي تـدعو إليهـا ، وقامـت الرجـال عـلى الركـب تضـرب مفـارق القـوم وجبـاههم بالسـيوف ودارت رحـى المـوت بـين الفـريقين ، قـد هربـت عـلى بغلتـك تضـرب جبينهـا الى مكـة وقـد خلفّـت هـؤلاء المسـاكين - يعنـي الأنصـار - يقتلـون في سـككهم ومسـاجدهم وعـلى أبـواب دورهـم ! فعصـاه النـاس ، فانصـرف . قـال راوي الخـبر : وكـان والله كما قال» [1].

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٦٧٢ - ٦٧٣ ، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٠

موقف أهل المدينة من عامل يزيد

وذكروا أن أهل المدينة لمّا بايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد بن معاوية ، وثبوا على عثمان بن محمد بن أبي سفيان ومن بالمدينة من بني أمية ومواليهم ومن رأى رأيهم من قريش فكانوا نحوا من ألف رجل ، فخرجوا بجماعتهم حتى نزلوا دار مروان بن الحكم ، فحاصرهم الناس فيها حصارا ضعيفا . قال : فدعت بنو أمية حبيب بن كرّة ، وكان الذي بعث إليه منهم مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان بن عفان ، وكان مروان هو يدبر أمرهم . فأما عثمان بن محمد بن أبي سفيان فإنما كان غلاما حدثا لم يكن له رأي .[1]

وقيل : «بل إن أهل المدينة لمّا اجتمعوا لإخراج بني أمية عنها ، أخذوا عليهم العهود ألا يعينوا عليهم الجيش وأن يردوهم عنهم ، فإن لم يقدروا على ردهم لا يرجعوا الى المدينة معهم ، فقال لهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان : أنشدكم الله في دمائكم وطاعتكم فإن الجنود تأتيكم وتطؤكم ، وأعذر لكم إلا تخرجوا أميركم ، إنكم إن ظفرتم وأنا مقيم بين أظهركم فما أيسر شأني وأقدركم على إخراجي ، وما أقول هذا إلا نظرا لكم أريد به حقن دمائكم . فشتموه وشتموا يزيد ، وقالوا لا نبدأ إلا بك ، ثم نخرجهم بعدك» [2].

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٥ ، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٥

(٢) الأغاني: ١/ ٣٨

ولا يخفى أنَّ في قول عثمان بن محمد (عامل يزيد) السابق الذكر ما يدل على الدهاء والتعقل وحسن السياسة، في تعامله مع الأحداث، وليس كما اتهمه به بعضهم من إنه كان فتى غِرّاً لا يكاد ينظر في شيء من أمره ، فتأمل.

ثم إنَّ: «أهل المدينة شرطوا على بني أمية وعامل يزيد لّما أخرجوهم أن يقيموا بذي خُشُب[1] عشرة أيام ، فخرجوا من المدينة ، وتبعهم الصبيان وسفهاء الناس يرمونهم بالحجارة ، حتى انتهوا الى ذي خُشُب»[2].

وفي إخراج بني أمية من المدينة يقول ابن قيس الرّقيات[3] متألّما لخروجهم :

ليبك البقيع ودور البلاط	رهط ابن عفان والمسجد
فمروة فالسنح تبكيهم	فعسفان فالحجر الأسود

ثم إن مروان بن الحكم وجماعة من بني أمية كتبوا الى يزيد كتابا جاء فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم : أمّا بعد ، فانه قد حصرنا في دار مروان بن الحكم

(١) خُشُب : وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة . معجم البلدان: ٣/ ٢٣٥ .

(٢) الإمامة والسياسة: ١/ ١٧٨ ، الأغاني: ١/ ٣٩ باختلاف بعض الألفاظ .

(٣) عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك ، من بني عامر بن لؤي : شاعر قريش في العصر الأموي. كان مقيما في المدينة . وقد ينزل الرقة . وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان . ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير. فأقام سنة . وقصد الشام فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فسأل عبد الملك في أمره ، فأمنه ، فأقام إلى أن توفي . ولقب بابن قيس الرقيات لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة ، اسم كل واحدة منهن رقية، له ديوان شعر. الأعلام: ٤/ ١٩٦ .

ومنعنا العذب ورمينا بالجبوب[١]، فيا غوثاه يا غوثاه، وقاموا بتسريح الكتاب الى يزيد بن معاوية مع احد مواليهم وهو حبيب بن كرة[٢].

وورد في نص آخر: «أن عثمان بن محمد أمير المدينة بعث الى يزيد بقميصه مشقوقا، وكتب إليه: واغوثاه! إن أهل المدينة اخرجوا قومنا من المدينة قال أبو معشر: فخرج يزيد بعد العتمة، ومعه شمعتان شمعة عن يمينه، وشمعة عن يساره، وعليه معصفرتان، وقد نقش جبهته كأنها ترس فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد يا أهل الشام، فانه كتب إلي عثمان بن محمد أن أهل المدينة اخرجوا قومنا من المدينة ووالله لان تقع الخضراء على الغبراء أحب إلي من هذا الخبر»[٣].

والخبر يدل على أمرين: الأول منهما: إرسال بني أمية لأكثر من كتاب يسألون به يزيد نصرتهم وإغاثتهم ،وحضّه على غزو المدينة لاستنقاذهم من حصار أهلها.

والثاني: هو ما يكشفه ذلك الكتاب من مكر وخبث عثمان بن محمد حين يبعث الى يزيد بقميصه مشقوقا مستصرخا إياه تخليصه وبني أمية من أيدي المدنيين، مع ما كان يرمي إليه من تذكيره بموقف أهل المدينة من مقتل ابن عمهم الخليفة عثمان بن عفان محرضا إياه على الانتقام منهم والبطش بهم.

---

(١) الجبوب: الحزن والارض الغليظة.

(٢) ينظر: تاريخ الطبري: ٤/ ٣٧٠

(٣) الامامة والسياسة: ٢/ ٧

ولنرجع الحديث الى خبر حبيب بن كرة الذي روى قائلا :«فأخذت الكتاب ومضيت به حتى قدمت على يزيد وهو جالس على كرسي واضع قدميه في ماء طست من وجع كان يجده فيهما ، ويقال : كان به النقرس، فقرأه ثم قال، فيما بَلَغنا متمثلا :

لقد بدّلوا الحلم الذي من سجيتّي فبدِّلت قومي غلظة بليان

ثم قال : أما يكون بنو أمية ومواليها ألف رجل بالمدينة ؟ قال : قلت : بلى ، والله وأكثر ، قال : فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار ! قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، اجمع الناس كلهم عليهم ، فلم يكن لهم بجمع الناس طاقة ، قال : فبعث الى عمرو بن .سعيد فاقرأه الكتاب واخبره الخبر ، وأمره أن يسير إليهم في الناس ، فقال له : قد كنت ضبطت لك البلاد ، وأحكمت لك الأمور ، فأما الآن إذ صارت إنما هي دماء قريش تهراق بالصّعيد ، فلا أحب أن أكون أنا أتولى ذلك ، يتولاها منهم من هو أبعد منهم مني ..»[1].

وفي نص أورده ابن أعثم: «أن يزيد دعا بالضحاك بن قيس الفهري وأمره أن يسير الى المدينة ومكة فيتولى حرب عبد الله بن الزبير ، فقال الضحاك : لا والله يا أمير المؤمنين لا أحبَّ أن أكون أول من أراق دم قريش ، فادع لهذا الأمر غيري . قال : فتركه»[2] .

---

(١) تاريخ الامم والملوك: ٥/ ٦ ، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٥

(٢) الفتوح: ٥/ ١٥٨

ثم إنه بعث الى عبيد الله بن زياد يأمره بالمسير الى المدينة ومحاصرة ابن الزبير بمكة ، فقال : «والله لا جمعتهما للفاسق : قتل ابن رسول الله ، وغزو الكعبة ، ثم أرسل إليه يعتذر»[1].

والغريب العجيب في الأمر اعتذار ابن زياد عن غزو مكة والمدينة وإظهاره التورع عن فعل ذلك ، وهو من لا تردعه حرمة أو ينهاه مقام ، فهل كان حقا يعبأ بذلك أو يكترث له ، أم إنَّ اعتذاره هذا جاء عن كراهيته الاصطدام بابن الزبير أو ببعض أعوانه ممن كانت تربطه بهم علاقة حميمة لم يرغب في قطعها كالمنذر بن الزبير وغيره ، وقد مرت الإشارة الى ذلك مسبقا. ثم العجب كل العجب من إقراره بموضع الإمام الحسين (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبأنَّ قتله له (عليه السلام) كان من أعظم المصائب، وأجلَّها، وهو من سفك دمه، واستباح حرمته. وقد لا يخفى على اللبيب الفطن ما في الخبر أيضا من الدلالة الواضحة على احتفاظ ابن زياد بحظوته، ومنزلته عند يزيد حين نراه يعهد إليه بغزو مكة والمدينة، ويجعله أداة بطشه وانتقامه ، يقمع به حركات الثائرين على حكمة المناهضين لسلطته ، وهو ما يتنافى وقول بعضهم من أنَّ مكانته لدى يزيد قد تراجعت بعد قتله الحسين(عليه السلام)[2].

ولنرجع فنقول : وزعم بعضهم أن يزيد لمّا ندب أهل الشام للخروج أَمَّر عليهم رجلاً اسمه صخر بن أبي الجهم القينيّ ، فمات قبل أن يخرج

(١) تاريخ الطبري: ٥/ ٧ ، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٥ ، البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٦

(٢) ينظر: البداية والنهاية: ٨/ ٢٦٥ .

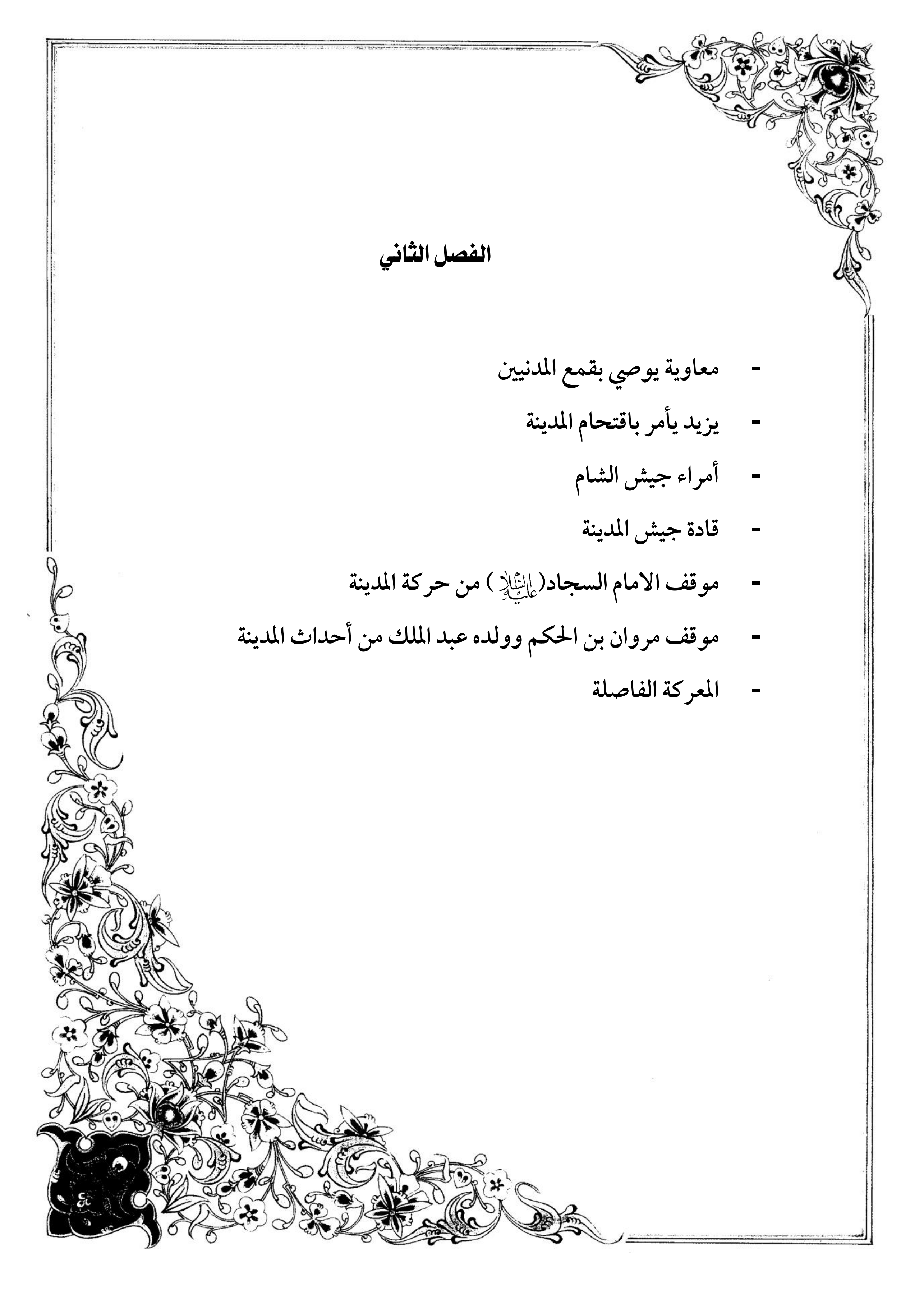
الجيش ، فأمّر مسلم بن عقبة الذي سمي مسرفاً فيما بعد .. الخ [١].

وهكذا تظهر لنا نصوص الأخبار المتقدمة مدى التمنُّع والإحجام الذي أظهره العُتاة من أزلام يزيد وألفافه ، وتخوّفهم من الإقدام على غزو مكة أو المدينة، وسفك دماء أهلها ، حتى كان من يزيد أَنْ عَهد بالأمر الى الغاشم الظالم مسلم بن عقبة المُريّ، الذي سُمِّي فيما بعد بـ (مسرف) لكثرة ما سفك من الدماء ، وسيأتي تفصيل أحواله وما كان من فعله بأهل المدينة في الفصول اللاحقة.

ويصدح للمتأمل في تلك الأخبار إنَّ إقدام أهل المدينة على طرد بني أمية وعامل يزيد وإخراجهم منها بتلك الطريقة السيِّئة قد زاد في تأجيج غضب يزيد، وتعجيله بعث الجيوش نحوهم، مما تكون خطوتهم غير المحسوبة تلك أحد الأسباب المهمة لإيقاد تلك الحرب المُتلفة .

---

(١) ينظر: الأغاني: ١/ ٣٩، مشاهير علماء الأمصار: ١٩ (ترجمة عبد الله بن زيد بن عاصم) ، التحفة اللطيفة:٢ / ٣٢٥ .



الفصل الثاني

- معاوية يوصي بقمع المدنيين
- يزيد يأمر باقتحام المدينة
- أمراء جيش الشام
- قادة جيش المدينة
- موقف الامام السجاد(عليه السلام) من حركة المدينة
- موقف مروان بن الحكم وولده عبد الملك من أحداث المدينة
- المعركة الفاصلة

معاوية يوصي بقمع المدنيين

قد لا يستغرب المرء إذا ما علم إنَّ من وصايا معاوية بن أبي سفيان التي أثبتها له المؤرخون وأصحاب السير، وأكَّدوا صدورها عنه، وصيته المشؤومة لولده يزيد بقتال أهل المدينة، مدينة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في حال رفضهم حكمه، أو انتفاضتهم ضده، وإيصائه بانتداب أقسى أتباعه وأشرسهم لقمع حركتهم، وإخماد ثورتهم، ألا وهو مسلم بن عقبة المُرِّي المعروف بـ (مسرف) أحد أشدّ أوغاده إجرامًا، وأكثرهم بطشاً وخبثًا، والاعتماد عليه في سحق تمردهم، وسفح جمعهم دون أدنى التفات لشرف المدينة، وقدسيَّتها.

فمن ذلك ما رواه ابن قتيبة قائلا: «وكان معاوية أوصى يزيد فقال له: إن رابَكَ من قومك ريب، أو تنقَّص عليك منهم أحد، فعليك بأعور بني مُرَّة، فأستشره، يعني مسلم بن عقبة ..»[1].

وروى الطبري في تاريخه بسنده عن جويرية بن أسماء، قائلا: «سمعت أشياخ أهل المدينة يُحدّثون أنَّ معاوية لّما حضرته الوفاة دعا يزيد، فقال له: إنَّ لك من أهل المدينة يوماً، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة، فإنه رجل قد عرفت نصيحته».[2]

وللمرء أن يتساءل لّماذا عمد معاوية الى إيصاء ولده يزيد بتلك

---

(١) الإمامة والسياسة: ٢/ ٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٥/ ١٦، وينظر أيضا: تاريخ خليفة: ١٤٨، العقد الفريد: ٤/ ٣٨٧،الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٥، البداية والنهاية: ٨/ ٥٩٣.

الوصية وتحذيره حركة المدنيين وتمردهم، وهو يعلم جيدًا أنها دار هجرة الرسول الأعظم (صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ)، ومعقل صحابته الكرام، ومرسى التابعين من أهل العلم والتقى ، وأنَّ حرمتها عظيمة لدى أهل الإسلام أجمعين ؟

وللإجابة عن مثل هكذا تساؤل ، لا بد لنا بدايةً من استعراض بعض أخباره وسيرته معهم إبّان أيام ولايته على الشام، والى ما بعد تسنّمه مقاليد الحكم وقبضه زمام السلطة ، ولعل للباحث المتبصر إذا ما تفحص تلك الأخبار ونظر إليها بعين التدبر والاعتبار ، أن لا يرى الغرابة في تخوّف معاوية وإطلاقه مثل ذلك التحذير ، نظرا لّما كان عليه من سوء السيرة بأهلها ، مع سابق اتهامه لهم (اختلاقا عليهم) بقتل الخليفة عثمان بن عفان وتخاذلهم عنه ، متخذا من ذلك مسلكًا لإذلالهم، وتضييق الخناق عليهم، ومحاولة التقليل من شأنهم ما وجد الى ذلك سبيلا ، وفيما يلي عرض لبعض مواقفه معهم كما يرويها لنا المؤرخون :

١. قيامه بإرسال أحد أتباعه الغشمة وهو بسر بن أبي أرطأة[1]

---

(١) بسر بن عمير بن عويمر بن عمران، من بني عامر بن لؤي، قبض رسول الله (صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ)، وهو صغير. تحول فنزل الشام، وكان قد صحب معاوية وكان عثمانيا وبقي إلى خلافة عبد الملك بن مروان، مات بالمدينة وقد خرف. وكان من عتاة أتباع معاوية ، ظلوما غشوما، متجبرا، قتل عبد الرحمن وقثم ابني عبيد الله ابن عباس، ونكّل بخيار المسلمين، وروَّعهم فدعا عليه أمير المؤمنين(عَلَيْهِالسَّلَامُ)، فذهب عقله، ووسوس له. ينظر: الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٠٩، طبقات خليفة: ٥٥٠، الغارات: ٢/ ٦٤٠

للإغارة على المدينة وإخافة أهلها وذلك أيام خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)، وقتله كل من يعارضه أو يقاوم جرائمه البشعة غير آبه بحرمة المدينة أو حرمة ساكنيها، وترويعه النساء والأطفال بل وقتلهم أيضاً، من ذلك ما يخبرنا به ابن هلال الثقفي حيث يقول: «وبعث معاوية .. الى بسر بن أبي أرطأة من بني عامر بن لؤي فبعثه في ثلاثة آلاف، وقال: سر حتى تمر بالمدينة فاطرد الناس وأخِف من مررت به، وانهب أموال كل من أصبت له مالاً ممن لم يكن يدخل في طاعتنا، فإذا دخلت المدينة فأرهم أنك تريد أنفسهم وأخبرهم أنه لا براءة لهم عندك ولا عذر حتى إذا ظنوا أنك موقع بهم فأكفف عنهم ثم سر حتى تدخل مكة ولا تعرّض فيها لأحد، وأرهب الناس منك فيما بين المدينة ومكة، واجعلهم شُردات حتى تأتي صنعاء والجند فإن لنا بهما شيعة وقد جاءني كتابهم»[1].. الى قوله: «ودخل بسر المدينة فخطب الناس، وشتمهم، وتهددهم يومئذ وتوعدهم وقال: شاهت الوجوه، إن الله ضرب مثلاً ﴿ **قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا** ﴾[2]، وقد أوقع الله ذلك المَثل بكم وجعلكم أهله، كان بلدكم مُهاجر النبي(صلى الله عليه وآله) ومنزله، وفيه قبره، ومنازل الخلفاء من بعده، فلم تشكروا نعمة

---

(١) الغارات: ٤١٠-٤١١

(٢) النحل: ١١٢

ربكم ولم ترعوا حق أئمتكم وقُتِلَ خليفة الله بين أظهركم فكنتم بين قاتل وخاذل وشامت ومتربص إن كانت للمؤمنين قلتم ألم نكن معكم ، وإن كان للكافرين نصيب قلتم : ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين، ثم شتم الأنصار ، فقال : يا معشر اليهود ، وأبناء العبيد بني زُريق ، وبني النجار وبني سالم وبني عبد الأشهل أما والله لأوقعن بكم وقعة تشفي غليل صدور المؤمنين وآل عثمان ، أما والله لأدعنَّكم أحاديث كالأمم السالفة ، فتهددهم حتى خاف الناس أن يوقع بهم ففزعوا الى حويطب بن عبد العزى ويقال أنه زوج أمه فصعد إليه المنبر فناشده ، وقال : عشيرتك وأنصار رسول الله (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وليسوا بقتلة عثمان فلم يزل به حتى سَكَن ، فدعا الناس الى بيعة معاوية فبايعوا ، ونزل بسر فأحرق دوراً ، أحرق دار زرارة بن جرول أحد بني عمرو بن عوف، ودار رفاعة بن رافع الزرقي، ودار أبي أيوب الأنصاري، وفَقَد جابر بن عبد الله، فقال : مالي لا أرى جابراً يا بني سَلمة ؟ لا أمان لكم عندي أو تأتوني بجابر بن عبد الله الأنصاري، فعاذ جابر بأم سلمة رضي الله عنها ،فأرسلت الى بسر بن أبي أرطأة ، فقال : لا أومِّنه حتى يبايع، فقالت له أم سلمة اذهب فبايع ، وقالت لأبنها عمر : اذهب فبايع ، فذهبا فبايعا ».[1]

(١) الغارات : ٤١٣

وعـن وهـب بـن كيسـان قـال : «سـمعت جـابر بـن عبـد الله يقـول : بعـث معاويـة بسـر بـن أبي أرطـأة الى المدينـة ليبـايع أهلهـا عـلى رايـاتهم وقبـائلهم ، فجاءتـه بنـو سـلمة ، فقـال : أفـيهم جـابر ؟ قـالوا : لا ، قـال : فليرجعـوا فـإني لسـت مبـايعهم حتـى يحضـر جـابر ، قـال : فأتـاني قـومي فقـالوا : ننشـدك الله لمّـا انطلقـت معنـا ، فبايعـت ، فحقنـت دمـك ودمـاء قومـك ، فـإن لم تفعـل ذلـك قتلـت مقاتلينـا وسُـبيتْ ذريتنـا ، قـال : فاسـتنظرتهم الليـل فأتيـت أم سـلمة زوجـة النبـي (صلى الله عليه وآله) فأخبرتهـا الخـبر، فقالـت : يـا بنـي انطلـق فبـايع، احقـن دمـك ودمـاء قومـك فـإني قـد أمـرت ابـن أخـي أن يـذهب فيبـايع وإني لأعلـم إنهـا بيعـة ضـلالة . قـال : فأقـام بسر أيامـاً ثـم قـال لهـم : إني قـد عفـوت عـنكم وإن لم تكونـوا لـذلك بأهـل، مـا قـوم قتـل إمـامهم بـين ظهـرانيهم بأهـل أن يكـفَّ عـنهم العـذاب ، ولـئن نـالكم العفـو مني في الـدنيا ، فـإني لأرجـو أن لا تنـالكم رحمـة الله في الآخـرة ، وقـد اسـتخلفت علـيكم أبـا هريـرة فإيـاكم وخلافـه ، ثـم خـرج الى مكـة . وروى المؤرخـون أيضـاً عـن الوليـد بـن هشـام أنـه قـال : بُعـث بسـر بـن أبي أرطـأة أحـد بنـي عـامر بـن لـؤي لقتـل مـن كـان عـلى رأي عـلي بـن أبي طالـب (عليه السلام) فأقبـل مـن الشـام حتـى قـدم المدينـة فصـعد منـبر النبـي (صلى الله عليه وآله) فقـال : يـا أهـل المدينـة أخضـبتم لحـاكم ، وقتلـتم عـثمان مخضـوبا والله لا أدع في المسـجد مخضـوبا إلا قتلتـه ، ثـم قـال لأصـحابه : خـذوا بـأبواب المسـجد وهـو يريـد أن يستعرضـهم ، فقـام إليـه عبـد الله بـن الـزبير ، وأبـو قـيس رجـل مـن بنـي عـامر بـن لـؤي ، فطلبـا إليـه حتـى كـفّ عـنهم وخـرج مـن المدينـة فـأتى مكـة فلـمّا قـرب منهـا

هـرب قـثم بـن العبـاس، وكـان عامـل عـلي(عليه السلام)[1]، ودخـل بسـر مكـة فشـتمهم وأنـبَّهم ثـم خـرج مـن مكـة .[2] ، وجـاء عـن الطـبري بسـنده عـن عطـاء بـن أبي مـروان قولـه : «أقـام بسـر بـن أبي أرطـأة بالمدينـة شـهراً يستعرض الناس ليس أحد ممن يقال هذا أعان على عثمان إلا قتله».[3]

وبسـر بـن أبي أرطـأة هـذا مـن جبابرة العـرب وجـزّاريهم شـديد الصلف كثير السـرف متطـاول دنيء فاسـق بـذيء مـن أتبـاع معاويـة بـن أبي سـفيان القسـاة أرسـله بعـد وقعـة صـفين للإغـارة عـلى مكـة والمدينـة والـيمن مـن أجـل ضعضـعة دولـة الإمـام أمـير المـؤمنين عـلي بـن أبي طالـب(عليه السلام) وتفريـق الصـفوف مـن حولـه، فارتكـب في تلـك الأمصـار المجـازر المروعـة وقتـل الآلاف مـن النـاس لا لشـيء سـوى تمسـكهم ببيعـة أمـير المـؤمنين(عليه السلام)، ولم ينجـو مـن سـيفه أحـد حتـى الأطفـال الصـغار ، فكـان مـن بـين مـن قـتلهم ولـدان لعبيـد الله بـن العبـاس بـن عبـد المطلـب أخـذهما فـذبحهما لا لـذنب اقترفـاه بـل لقـرابتهما مـن عـلي(عليه السلام)، وقيـل قـد فعـل ذلـك أمـام عينـي أمِّهـما ، فتشـظى قلبهـا لقـتلهما وزاغ عقلهـا وجزعـت عليهما طويلا ثم أنشأت تقول :

---

(١) وقيل بل كان عامل علي (عليه السلام) أبا أيوب الأنصاري وهرب عنها. ينظر الفتوح : ٤/ ٢٣١ ، البداية والنهاية ٧/ ٣٤٩.

(٢) ينظر: الغارات: ٤١٦ ، تاريخ الطبري: ٤/ ٣٨٩ .

(٣) تاريخ الطبري: ٤/ ٤١٨ .

هـا مـن أحـس ّ بـابنيَّ اللـذين همـا ... قلبي وسـمعي فقلبي اليوم مختـطف

هـا مـن أحـس ّ بـابنيّ اللـذين همـا ... كالـدرتين تشـظى عـنهما الصـدف

مـن دلّ والهـة حـرّى مدلهـة ... عـلى جبينـين ضـلا إذ غـدا السـلف

هـا مـن أحـس ّ بـابنيّ اللـذين همـا ... مـخ العظـام فمخـي اليـوم مزدهـف

نبّئت بسرا ومـا صدقت مـا زعموا ... من إفكهم ومـن القول الـذي اقترفوا

أنحـى عـلى ودجـيّ ابنـيَّ مرهفـة ... مـن الشـفار كـذاك الإثـم يقـترف(١)

ولّما فعل ذلك مع ما ظهر من ضُرِّه وانتشر من بغيه، دعا عليه أمير المؤمنين(عليه السلام)، فقال: (اللهم إن بسراً باع دينه بدنياه، وانتهك محارمك وكانت طاعة مخلوق فاجر آثر عنده مما عندك، اللهم فلا تُمِته حتى تسلبه عقله)، فما لبث بعد استشهاد أمير المؤمنين(عليه السلام) إلا يسيراً حتى وسوس وذهب عقله.

والخبر مشهور في كتب التاريخ وفيه تفصيلات لمن أراد الاستزادة منه (٢).

ولنرجع فنقول: ومن مواقف معاوية مع أهل المدينة:

٢ـ منعه أعطيات المهاجرين والأنصار واستثقال رفدهم وحجبه حقوقهم من بيت المال، وذلك بعد توليه السلطة وتحكمه في الرقاب،

(١) الغارات: ٤٢٠، مروج الذهب: ٣/ ٣١، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٣٨، الفتوح لابن أعثم: ٤/ ٢٣٣، المختصر في أخبار البشر: ١/ ٢٥٠، تاريخ ابن الوردي: ١/ ١٥٤.

(٢) .ينظر الغارات: ٤١٠ ـ ٤٤٢، الفتوح: ٤/ ٢٣١ ـ ٢٣٧، تاريخ الطبري: ٤/ ٤١٨بإشارة موجزة، مروج الذهب: ٣/ ٣١، البداية والنهاية: ٧/ ٣٤٩.

وهـو مـا أثـار حفيظـتهم وأنـذر بحلـول محنـتهم فطفقـوا يجادلونـه أمـرهم مـا وجـدوا الى ذلـك سـبيلا ، وقـد حـدثنا عـن ذلـك بعـض المـؤرخين، قـائلا : «ولّمـا صـار (أي معاويـة) الى المدينـة أتـاه جماعـة مـن بنـي هاشـم ، وكلمـوه في أمـورهم ، فقـال : أمـا ترضـون يـا بنـي هاشـم أن نقـرّ علـيكم دمـاءكم ، وقـد قتلـتم عـثمان ، حتـى تقولـوا مـا تقولـون ؟ فـو الله لأنـتم أجـلّ دمـاً مـن كـذا وكـذا ، وأعظـم في القـول ، فقـال لـه ابـن عبـاس : كـل مـا قلـت لنـا يـا معاويـة مـن شرٍّ بـين دفتيـك ، أنـت والله أولى بـذلك منـا ، أنـت قتلـت عـثمان ، ثـم قمـت تغمِـص عـلى النـاس أنـك تطلـب بدمـه . فانكسـر معاويـة ، فقـال ابـن عبـاس : والله مـا رأيتـك صـدقت إلا فزعـت وانكسـرت قـال: فضـحك معاويـة ، وقـال : والله مـا أحِـبُّ أنكـم لم تكونـوا كلمتمـوني. ثـم كَلمَّـه الأنصـار، فـأغلظ لهـم في القـول، وقـال لهـم: مـا فعلـت نواضـحكم؟ قـالوا : أفنيناهـا يـوم بـدر لّمـا قتلنـا أخـاك وجـدك وخالـك، ولكنّـا نفعـل مـا أوصـانا بـه رسـول الله(صلى الله عليه وآله) . قـال : مـا أوصـاكم بـه؟ قـالوا : أوصـانا بالصـبر. قـال : فاصبروا ، ثم أدلج معاوية الى الشام ، ولم يقض لهم حاجة»[1].

ومـن ذلـك أيضـاً مـا رواه المسـعودي عنـد ذكـره لجـابر بـن عبـد الله الأنصـاري ، قـائلاً : «وقـد كـان قـدم (أي جـابر) الى معاويـة بدمشـق ، فلـم يـأذن لـه أيامـاً ، فلـمّا أذن لـه قـال : يـا معاويـة ، أمـا سـمعت رسـول الله(صلى الله عليه وآله)،

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٥٥

يقول : (من حجب ذا فاقة وحاجة حجبه الله يوم القيامة يوم فاقته و حاجته). فغضب معاوية ، وقال له : لقد سمعته يقول : (إنكم ستلقون بعدي إثرة ، فاصبروا حتى تردوا عليَّ الحوض) ، أفلا صبرت ؟ قال : ذكَّرتني ما نسيت ، وخرج فاستوى على راحلته ومضى ، فوجَّه إليه معاوية بستمائة دينار ، فردَّها وكتب إليه :

وإني لأختار القنوع على الغنى ... إذا اجتمعا والمّاء بالبارد المحض

وأقضي على نفسي إذا الأمر نابني ... وفي الناس من يُقضى عليه ولا يقضي

وألبس أثواب الحياء ، وقد أرى ... مكان الغنى أن لا أهين به عرضي

وقال لرسوله: قل له والله يا ابن آكلة الأكباد لا وُجِدت في صحيفتك حسنة أنا سببها أبداً »[1].

وروى الزبير بن بكار بسنده عن عبد الرحمن الهمداني قائلا : «دخل أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني على معاوية ، فقال له معاوية : أبو الطفيل ؟ قال : نعم . قال : ألست من قتلة عثمان ؟ قال: لا ، ولكني ممن حضره فلم ينصره . قال: وما منعك من نصره ؟ قال: لم ينصره المهاجرون و الأنصار . قال معاوية : أما لقد كان حقه واجبا ، وكان عليهم أن ينصروه . قال: فما منعك يا أمير المؤمنين من نصره ، ومعك أهل الشام ؟ فقال معاوية: أما طلبي بدمه نصرة له ؟ فضحك أبو الطفيل وقال : أنت وعثمان كما قال الشاعر :

---

(١) مروج الذهب: ٣/ ١١٣ .

لا ألفينك بعد الموت تندبني　　وفي حياتي ما زودتني زادي

فقال معاوية : يا أبا الطفيل ، ما أبقى الدهر من ثكلك علياً ؟ قال : ثكل العجوز المقلات والشيخ الرَّقود . قال: فكيف حبك له ؟ قال : حب أم موسى لموسى والى الله أشكو التقصير»[1].

وروى السيوطي، قائلاً : «قدم معاوية المدينة ، فلقيه أبو قتادة الأنصاري ، فقال معاوية : تلقّاني الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار ، قال : لم يكن لنا دواب ، فقال : فأين النواضح ؟ قال : عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر ، ثم قال أبو قتادة : إن النبي عليه الصلاة والسلام قال لنا : إنكم سترون بعدي إثرة ، فقال معاوية : فما أمركم ؟ قال : أمرنا أن نصبر ، قال : فاصبروا . فبلغ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، فقال :

ألا أبلغ معاوية بن حرب　　أمير المؤمنين نبا كلامي

فإنا صابرون ومُنظِروكم　　الى يوم التغابن والخصام[2]

وعن حال معاوية مع الأنصار يقول السيد محمد بن عقيل الشافعي معقبا بعد سرده لمثل هذه الأخبار وتحت عنوان (استخفاف معاوية بالأنصار) :

«يشُمّ من لم يُصبه زكام التعصب من كلام معاوية تهكُّمه

(١) الأخبار الموفقيات: ١٥٤ـ١٥٥ ، مروج الذهب: ٣/ ٢٧ ، تاريخ الخلفاء :٢٠٠ .

(٢) تاريخ الخلفاء: ٢٠١ ، النصائح الكافية :١٦٤ـ١٦٥ بزيادة ثلاثة أبيات أخرى .

بالنبي (صلى الله عليه وآله)، واستخفافه بوصاياه بالأنصار، نعوذ بالله من الخذلان ، وبغض معاوية للأنصار ومعاكسته لمصالحهم أمر مشهور ، تشهد به كتب السير والتاريخ، لا يحتاج الى تجشم الاستدلال عليه ، وقد قال عليه وآله الصلاة والسلام: (استوصوا بالأنصار خيراً)[1]، وقال أيضا: (حب الأنصار إيمان وبغضهم نفاق)[2] ، وفي صحيح البخاري : (لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق)» [3][4].

٣ـ قيامه (أي معاوية) بنقل السلطة ودعائم المُلك الى الشام ، بعد أن كانت المدينة هي عاصمة النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله)، وقطب رحى السلطة من بعده ، وما خلَّفه ذلك الانتقال من تأثيرات سلبية على حركة المدينة وأهميتها من الناحيتين السياسية والاقتصادية ، ثم تغاضيه عن مكانتها وسعيه طمس معالمها ودرس آثارها بعزمه على نقل منبر الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) منها الى الشام، وتجريدها من آثار النبوة، ورموزها المقدسة، حيث روى الطبري قائلاً : «وفي هذه السنة أمر معاوية بمنبر رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، أن يُحمل الى الشام ، فحُرِّك ، فكَسفت الشمس حتى رئيت النجوم بادية يومئذ ، فأَعظَم الناس ذلك ، فقال : لم أرد حَمْله ، إنّما خفتُ أن يكون قد أرِضْ[5] فنظرت إليه ، ثم كساه يومئذ».[1]

(١) مسند أحمد: ٣/ ٢٤١، مسند أبي يعلى: ٧/ ٧٣، شعب الإيمان: ٢/ ٢٠٦

(٢) مسند أحمد: ٣/ ٧٠، السنن الكبرى للبيهقي: ٧/ ٢٤١، الاستذكار: ٨/ ٤٤٦

(٣) صحيح البخاري: ٤/ ٢٢٣، صحيح مسلم: ١/ ٦٠، سنن الترمذي: ٥/ ٣٧١

(٤) النصائح الكافية:١٦٥

(٥) أَرِضْ : أي أصابته حشرة الإرضة .

ويذكر الطبري أيضاً: «قال معاوية: أني رأيت أنَّ منبر رسول الله(صلى الله عليه وآله) وعصاه لا يتركان بالمدينة، وهم قتلة أمير المؤمنين عثمان وأعداؤه، فلمّا قَدِمَ طَلَب العصا وهي عند سعد القرظ[2]، فجاءه أبو هريرة وجابر بن عبد الله، فقالا: يا أمير المؤمنين، نُذكّرك الله عز وجل أن تفعل هذا، فإن هذا لا يصلح، تخرج منبر رسول الله(صلى الله عليه وآله) من موضع وضعه، وتُخرج عصاه الى الشام فانقل المسجد، فأقصَرَ وزادَ فيه ست درجات، فهو اليوم ثمان درجات، واعتذر الى الناس مما صنع»[3].

وهكذا تبوح لنا الأخبار المتقدمة بما كان عليه معاوية من الصدود والانحراف عن أهل المدينة، وهم بقية الصحابة وأنصار الرسالة، وفيهم من شهد بدراً، وأُحداً، وقاتل مع الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) في أكثر غزواته ومواطنه، حتى استشعر قطيعتهم، وآثر عداوتهم، فأورثها ولده يزيد، الذي استخفَّ بحرمتهم وتجاهل فضلهم، فكانت وصيته المشؤومة بقتالهم أحد الأسباب المهمة لوقوع تلك الحرب، وسَطْع عجاجها. وأمسى معاوية في حياته وبعد مماته قد شملهم بجوره وأظلَّهم بظلمه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٤٦٦.

(٢) سعد بن عائذ القرظ المؤذن المديني له صحبة، وانما سُمّي القرظ لأنه كلما اتجر في شئ وضع فيه، فاتجر في القرظ فربح فلزم التجارة فيه، روى عنه ابنه عمار بن سعد وابن ابنه حفص بن عمر بن سعد، جعله رسول الله (صلى الله عليه وآله) مؤذنا بقباء، فلما مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) وترك بلال الأذان نقل أبو بكر سعد القرظ هذا إلى مسجد رسول (صلى الله عليه وآله)، فلم يزل يؤذّن فيه إلى أن مات. ينظر: الجرح والتعديل: ٤/ ٨٨، الاستيعاب: ٢/ ٥٩٤

(٣) تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٤٦٦، مروج الذهب: ٣/ ٣٤ بإيجاز.

يزيد يأمر باقتحام المدينة

ذكرت المصادر أن يزيداً لّما رأى إعراض بعض أعوانه، وتخوِّفهم من غزو المدينة ومكة، ومحاصرة ابن الزبير، عمل بوصية أبيه معاوية، وبعث الى مسلم بن عقبة المرّي يستدعيه وأرسل إليه بكتاب مروان مع حبيب بن كرّة الذي تحدَّث عن ذلك، قائلا : «فبعثني (أي يزيد) بذلك الكتاب الى مسلم بن عقبة المرّي - وهو شيخ كبير ضعيف مريض - فدفعتُ إليه الكتاب ، فقرأه ، وسألني عن الخبر فأخبرته ، فقال لي مثل مقالة يزيد : أما يكون بنو أمية ومواليهم وأنصارهم بالمدينة ألف رجل ! قال : قلت بلى يكونون ، قال : فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار ! ، ليس هؤلاء بأهل أن ينصروا حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوِّهم، وعزَّ سلطانهم، ثم جاء حتى دخل على يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تنصُر هؤلاء فإنهم الأذلاء ، أما استطاعوا أن يقاتلوا يوما واحداً أو شطره أو ساعة منه ! دعهم يا أمير المؤمنين حتى يجهدوا أنفسهم في جهاد عدوِّهم وعزَّ سلطانهم ، ويستبين لك من يقاتل منهم على طاعتك ويصبر عليها أو يستسلم، قال : ويحك لا خير في العيش بعدهم ، فاخرج فأنبئني نبأك ، وسِرْ بالناس، فخرجَ مناديه فنادى: أن سيروا الى الحجاز على أخذ أعطياتكم كُمَلاً، ومعونة مائة دينار توضع في يد الرجل من ساعته، فانتدب لذلك اثنا عشر ألف رجل»[1].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٦ ، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٥.

وروي عـن عبـد الله بـن جعفـر بـن أبي طالـب و كـان قـد قَـدِمَ عـلى يزيـد تلك الأيام، أنه قال :

«جـاء كتـاب عـثمان بـن محمـد بعـد هـدأةٍ مـن الليـل وقـد كنـت انصـرفت مـن عنـد يزيـد ، فلـم ألبـث أن جـاءني رسـوله ، فـدخلت عليـه والشـمعة بـين يديـه ، وهـو مغضـب قـد حَسَـرَ عـن ذراعيـه ، والكتـاب بـين يديـه ، فقـال : دونـك يـا أبـا جعفـر هـذا الكتـاب ، فـاقرأه ، فرأيـت كتابـاً قبيحـاً ، فيـه تعـريض بأهـل المدينـة وتحـريش ثـم قـال : والله لأطـأنَّهم وطـأةً آتي منهـا عـلى أنفسـهم. قـال ابـن جعفـر : فقلـت لـه إن الله لم يـزل يعـرف أبـاك في الرفـق خـيراً ، فـإن رأيـت أن ترفـق بهـم وتتجـاوز عـنهم فعلـت ، فـإنما هـم أهلـك وعشـيرتك ، وإنـما تقتـل بهـم نفسـك إذا قتلـتهم. قـال : أقتـل وأشـفي نفسـي، فلـم أزل ألـحُّ عليـه فـيهم ، وأرقِّقـه علـيهم ، وكـان لي سـامعا ومطيعـاً ، فقـال لي إن ابـن الـزبير حيـث علمـت مـن مكـة ، وهـو زعـم أنـه قـد نصـب الحـرب ، فأنـا أبعـث إليـه الجيـوش ، وآمـر صـاحب أوّل جـيش أبعثـه أن يتخـذ المدينـة طريقـاً ، وأن لا يقاتـل ، فـإن أقُّـروا بالطاعـة ، ونزعـوا عـن غـيِّهم وضـلالهم ، فلهـم عـليَّ عهـد الله وميثاقـه ، أنّ لهـم عطـاءين في كـل عـام ، مـا لا أفعلـه بأحـد مـن النـاس طـول حيـاتي ، عطـاء في الشـتاء وعطـاء في الصـيف ، ولهـم عـليّ عهـد الله أن أجعـل الحنطـة عنـدهم كسـعر الحنطـة عنـدنا ، والحنطـة عنـدهم سـبعة أصـع بـدرهم ، والعطـاء الـذي يـذكرون إنـه احتـبُس عـنهم في زمـان معاويـة فهـو عـليّ أن أخرجـه لهـم وافـراً كـاملاً ، فـإن أنـابوا وقبلـوا ذلـك جـاوز الى ابـن الـزبير ، وإن أبـوا قـاتلهم ، ثـم إن ظفـر

بها أنهبها ثلاثاً ، هذا عهدي الى صاحب جيشي لمكانك ولطلبتك فيهم ، ولمّا زعمت أنهم قومي وعشيرتي. قال عبد الله بن جعفر : فرأيت هذا لهم فرجا ، فرجعت الى منزلي فكتبت إليهم من ليلتي كتابا الى أهل المدينة أعلمهم فيه قول يزيد ، وأحضُّهم على الطاعة والتسليم ، والرضا والقبول لمّا بذل لهم ، وأنهاهم أن يتعرَّضوا لجيوشه ، وقلت لرسولي : أجهد السير ، فدخلها في عشر ، فوالله ما أرادوا ذلك ولا قبلوه ، وقالوا : والله لا يدخلها عنوة أبداً »[1].

والخبر دون ارتياب يكشف عن سياسة التجاهل والحرمان التي انتهجها يزيد وأبوه معاوية في تعاملهما مع أهل المدينة على وجه الخصوص حتى مسّهم الضّرُ وألجأتهم الحاجة وفتك بهم العوز. وإنّ إصْر ذلك كان من محاولاتهما المتكررة سلب المدينة مواردها الاقتصادية، وشلِّ حركتها التجارية، وهو ما زاد في إملاق المدنيين وتدهور أوضاعهم المعيشية.

أضف الى ذلك ما في الخبر من غرابة إصغاء يزيد بن معاوية لقول عبد الله بن جعفر في الترفّق بأهل المدينة والتجاوز عنهم ، فهل كان حقاً يعبأ لقوله أو يهتم لطلبه ، وهو يعلم علم اليقين أنه ابن عم الإمام الحسين(عليه السلام)، وصهره على أخته السيدة زينب العقيلة(عليها السلام)، بطلة كربلاء التي فضحت يزيد وبيّنت مكتوم عداوته وأحقاده أبان أيام وقعة الطف الخالدة ، التي لم يكن قد مضى على وقوعها آنذاك أكثر من عامين ،

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ١٧٧ ، تاريخ الإسلام: ٥/ ٤ بإيجاز .

ثم هل كان قدوم ابن جعفر على يزيد وحضوره لديه محض اختياره أم كان مجبراً عليه، وإذ هذا ليس موضع بحثه فلا نتعرض لذكره خوف الإطالة.

وذكر ابن كثير قائلاً: «وجاء من غير وجه: أنّ النعمان بن بشير قال ليزيد: يا أمير المؤمنين ولّني عليهم أكفِكَ - وكان النعمان أخا عبد الله بن حنظلة لأمه عمرة بنت رواحة [1] - فقال يزيد: لا ليس لهم إلا هذا الغشمة، والله لأقتلنَّهم بعد إحساني إليهم، وعفوي عنهم مرة بعد مرة، فقال النعمان: يا أمير المؤمنين أنشدك الله في عشيرتك وأنصار رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)» [2].

ثم إنَّ يزيداً دعا مسلم بن عقبة، فقال له: «سر الى هذه المدينة بهذه الجيوش، وإن شئت أعفيتك، فإني أراك مدنفاً [3] منهوكاً. فقال: نشدتك الله، أن لا تحرمني أجراً ساقه الله اليّ أو تبعث غيري، فإني رأيت في النوم شجرة غرقد تصيح أغصانها: يا ثارات عثمان، فأقبلتُ إليها، وجعلت الشجرة تقول: إليّ يا مسلم بن عقبة فأتيت فأخذتها، فعبَّرت ذلك أن أكون أنا القائم بأمر عثمان، ووالله ما صنعوا الذي صنعوا إلا إنّ الله أراد بهم الهلاك» [4].

وفي خبر آخر أنه قال ليزيد: «ما كنت مُرسلاً الى المدينة أحداً إلا

---

(١) وقيل بل اسمها جميلة بنت عبد الله بن أبيّ بن سلول، وهو الأشهر فتبين.

(٢) البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٥، تاريخ الإسلام: ٥/ ٢٥، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٩٢.

(٣) الدنف: المرض المخامر الملازم، ورجل دنف، وفعله دنف وأدنف. وامرأة دنفة ورجل مدنف أيضا. كتاب العين: ٨/ ٤٨.

(٤) الإمامة والسياسة: ١/ ١٧٩.

قصّر ، وما صاحبهم غيري ..»[١].

«فقال يزيد : فسر على بركة الله ، فأنت صاحبهم ، فخرج مسلم فعسكر وعرض الأجناد ، فلم يُخرج معه أصغر من ابن عشرين ولا أكبر من ابن خمسين على خيل عراب وسلاح شاك وأداة كاملة ووجَّه معه عشرة آلاف بعير تحمل الزاد حتى خرج ، فخرج معه يزيد فودَّعه»[٢].

وقيل أن يزيداً لّما كانت تلك الليلة سأل عن مسلم بن عقبة فقال : أين مسلم بن عقبة ؟ فقام ، فقال : ها أنا ذا : قال : عبئ ثلاثين ألفاً من الخيل ..[٣].

ثم أنّ يزيداً لّما جرَّد تلك الجيوش وأكمل تجهيزها، خرج يستعرض الكتائب ويتفحص الخيل ، وهو متقلد سيفاً ، متنكب قوساً ، فأنشأ يقول :

أبلغ أبا بكر إذا الليل سرى ... وهبط القوم على وادي القرى

عشرون ألفاً بين كهل وفتى ... أجمع سكران من القوم ترى

أم جمع يقظان نُفي عنه الكرى ... يا عجبا من ملحد يا عجبا

مخادع في الدين يقفوا بالعُرى [٤]

---

(١) الأغاني: ١/ ٣٩ .

(٢) الإمامة والسياسة: ١/ ١٧٩ .

(٣) ينظر: الإمامة والسياسة: ٢/ ٧ .

(٤) الخبر رواه عدة من المؤرخين وبألفاظ متقاربة : ينظر الفتوح ٥/ ١٥٩ ، تاريخ خليفة بن خياط: ١٤٨، مروج الذهب: ٣/ ٧٣ ، الأخبار الطوال:٢٦٥ ، التنبيه والأشراف: ٢٦٣ ، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٦ ، البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٦ ، تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٧ .

وكتب الى ابن الزبير أيضاً :

اســـتعدِ ربَّـــك في الســـماء فـــإنني ... أدعـــوا إليـــك رجـــال عَـــكٍّ وأشـــعرِ

ورجـــال كَلْـــبٍ والسَـــكونِ ولخمهـــا ... وجُـــذام تقْـــدمها كتائـــب حمـــير

كيـــف النجـــاء أبـــا خُبيـــب مـــنهمُ ... فاحتـــل لنفســـك قبـــل أتيْ العســـكر[1]

ويلـوح للمتأمـل في الأبيـات الماضـية أنَّ المقصـود بـالحرب ومجابهـة تلـك الجيـوش هـو عبـد الله بـن الـزبير، الـذي كـان يكنّـى بـ(أبي بكـر) تـارة، وبـ(أبي خُبيب) تارة أخرى ، وهو من عرَّض بيزيد وسمّاه (السكران الخمّير).

ثـم إنَّ مسـلم بـن عقبـة مـرض قبـل خروجـه مـن الشـام ، فـأدنف فـدخل عليـه يزيـد بـن معاويـة يعـوده ، فقـال لـه : «قـد كنـت وجَّهتـك لهـذا البعـث ، وكـان أمـير المـؤمنين معاويـة قـد أوصـاني بـك ، وأراك مـدنفاً لـيس فيـك سـفر ، فقـال : يـا أمـير المـؤمنين أنشـدك الله ، أن لا تحرمنـي أجـراً سـاقه الله إليَّ ، إنـما أنـا امـرؤ وليس بي بأس»[2].

وفصـلَ ذلـك الجـيش مـن عنـد يزيـد وعلـيهم مسـلم بـن عقبـة، وقـال لـه (أي يزيـد) : إنْ حـدَثَ بـك حـدث فاسـتخلف عـلى الجـيش حُصـين بـن نمـير السـكوني ، وقـال لـه إدع القـوم ثلاثـاً ، فـإن هـم أجـابوك وإلا فقـاتلهم، فـإذا أُظهـرت علـيهم فأبحهـا ثلاثـاً ، فـما فيهـا مـن مـال أو رقـة أو سـلاح أو

---

(١) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٤ ، مروج الذهب ٣/ ٧٣ باختصار .

(٢) الإمامة والسياسة: ٢/ ٧ ـ ٨ .

طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فأكفف عن الناس، وأنظر علي بن الحسين ، فأكفف عنه، واستوص به خيراً ،وأدن مجلسه، فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه ، وقد أتاني كتابه»[1].

وروي أنه قال له : «إن حدث بك حدث فأمْر الجيوش الى حُصين بن نمير، فانهض بسم الله الى ابن الزبير ، واتخذ المدينة طريقاً إليه ، فإن صدُّوك أو قاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم ، وانهبها ثلاثاً ، فقال مسلم بن عقبة : أصلح الله الأمير ، لست بآخذ من كل ما عهدت به إلا بحرفين قال يزيد : وما هما ؟ ويحك . قال : أقبل من المقبل الطائع، وأقتل المدبر العاصي . فقال يزيد: حسبك ، ولكن البيان لا يضرُّك ، والتأكيد ينفعك ، فإذا قدِمت المدينة فمن عاقَك عن دخولها، أو نصب لك الحرب ، فالسيف السيف ، أجهز على جريحهم ، وأقبل على مُدبرهم ، وإياك أن تُبقي عليهم، وإن لم يتعرضوا لك ، فامض الى ابن الزبير»[2].

وفي خبر أنه حين أوصاه قال له :

«يا مسلم إذا دخلت المدينة ولم تُصَدّ عنها ، وسمعوا وأطاعوا فلا تعرضنّ لأحد ، وأمض الى الملحد ابن الزبير ، وإن صدُّوك عن المدينة فأدعهم ثلاثة أيام ، فإن لم يجيبوا فاستعن بالله وقاتلهم ، فستجدهم أول النهار مَرضى ، وآخره صُبرا ، سيوفهم أبطحية ، فإذا ظهرت عليهم ،

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٧– ٨ ، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٦ .

(٢) الإمامة و السياسة: ١/ ١٧٩.

فإن كان بنو أمية قد قتل منهم أحد فجرّد السيف واقتل المقبل والمدبر، واجهز على الجريح وانهبها ثلاثاً، واستوص بعلي بن الحسين، وشاور حُصين بن نُمير، وإن حدث بك حدث، فولِّه الجيش »[1].

ولمّا ودّعهم قال: «يا مسلم لا تردنّ أهل الشام عن شيء يُريدونه بعدوهم ..»[2].

«وأقبل مسلم بن عقبة بالجيش حتى إذا بلغ أهل المدينة إقباله وثبوا على من معهم من بني أمية، فحصروهم في دار مروان، وقالوا والله لا نكفّ عنكم حتى نستنزلكم ونضرب أعناقكم، أو تعطونا عهد الله وميثاقه لا تبغونا غائلة، ولا تدلُّوا لنا على عورة، ولا تظاهروا علينا عدواً، فنكفَّ عنكم ونخرجكم عنّا، فأعطوهم عهد الله وميثاقه لا نبغيكم غائلة ولا ندلُّ لكم على عورة، فأخرجوهم من المدينة، فخرجت بنو أمية بأثقالهم حتى لقوا مسلم بن عقبة بوادي القرى»[3][4].

وذكر ابن قتيبة: «أن أهل المدينة لّما استبان لهم مقدم جيوش الشام، اجتمع رأيهم على أن يُحلِّفوا كبراء بني أمية عند منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) لئن لقوا جيش يزيد ليردّونّهم عنهم إن استطاعوا، فإن لم يستطيعوا

---

(١) تاريخ الإسلام: ٥/ ٢٥، الإشراف والتنبيه: ٢٦٣.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٦٤، تاريخ الخميس: ٢/ ٣٠٢.

(٣) واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى، والنسبة إليه وادي. معجم البلدان: ٥/ ٣٤٥

(٤) تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٨، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٦، المنتظم: ٦/ ١٣.

مضوا الى الشام ولم يرجعوا معهم ، فحلفوا لهم على ذلك»[١].

وهكذا اسفرت وصية يزيد المشؤومة عن مكنون غلِّه، ودفين حقده على أهل المدينة ، حين نَدب إليهم ذلك السفاح اللئيم مسرف بن عقبة المعروف بحيفه وشدَّة عسفه ، الغاشم بنص قول يزيد نفسه، حين سأله النعمان بن بشير تولي أمر الجيش دونه، قائلاً له : (لا ليس لهم إلا هذا الغشمة)، ثم إيصائه بحصدهم وترويعهم واستئصال خضرائهم ، وهم أنصار رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وبقية الصحابة والتابعين، ما إن تعرضوا لجيشه أو أرجفوا ببعض أقاربه، وهو ما حسر عن عصبيته القبلية، وكوامن إحن الجاهلية ، متجاهلًا شرف المدينة وعظيم حرمتها .

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ١٧٨ .

أمراء جيش الشام

تولى قيادة جيش الشام رجال عرفوا بالبطش والشراسة ، وهم :

١. **مسلم بن عقبة المُرّي .**

وهو مسلم المشهور بـ (مسرف) بن عقبة بن رباح بن أسعد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن يربوع بن غيظ بن مُرة بن عوف المُرّي أبو عقبة . والمرّي نسبة الى مرة بن عوف .[1]

ذكره ابن حجر نقلاً عن ابن عساكر ، فقال : «أدرك النبي(ﷺ) وشهد صفين مع معاوية وكان على الرجّالة»، ثم عقب ابن حجر قائلاً : «وعمدة ابن عساكر في إدراك مسرف للنبي (ﷺ) أنه استند الى ما أخرجه محمد بن سعد في الطبقات عن الواقدي بأسانيده قال : لمّا بلغ يزيد بن معاوية أن أهل المدينة أخرجوا عامله من المدينة وخلعوه، وجّه إليهم عسكراً أمّر عليهم مسلم بن عقبة المُرّي وهو يومئذ شيخ ابن بضع وتسعين سنة فهذا يدل على أنه كان في العهد النبوي كهلاً »[2].

وما ذهب إليه ابن حجر وقبله ابن عساكر من إنَّ مسرف بن عقبة كان كهلاً في العهد النبوي والاستدلال بذلك على صحبته للنبي(ﷺ)، محل نظر ، لما ذكراه من أن عمره حين وجَّهه يزيد لغزو المدينة كان قد ناهز

---

(١) الإصابة: ٦/ ١٧٣-١٧٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٦/ ١٧٣-١٧٤ .

البضع وتسعين سنة، حيث أوقع بأهلها تلك المأساة المروّعة ، والتي هي باتفاق المؤرخين حدثت سنة (٦٣هـ) وبطرح هذا التاريخ من سني عمره المزعوم يتبين لنا أنه في السنة الأولى من الهجرة الشريفة كان بعمر الـ (٣٠) عاما وإنه قارب الـ (٤١) عاماً عند وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله وسلم)، أي أنه كان عند بعثة النبي الأعظم(صلى الله عليه وآله) ابن (١٨ سنة)، وبالرغم من إدراكه ومعاصرته للدعوة المحمدية الشريفة، لم يؤثر عنه قول أو فعل يدل على إسلامه أو إيمانه، فتأمل.

هذا وروى البلاذري عن الهيثم بن عدي أنه قال : «وجه رسول الله(صلى الله عليه وآله) أسامة بن زيد الى بني غطفان فسبى مسلم بن عقبة المري فيمن سبى، فاشترت مسلمًا امرأة من الأنصار وأعتقته فلمّا كان يوم الحرَّة بعث الأنصار الى مسلم: احفظ بلاءً عندك ، فقال : ما أحفظني له ولكنكم قتلتم عثمان»[١].

والخبر يصدح بأمور منها :

١. إنَّ مسلم بن عقبة هذا لم يعتنق الإسلام إلا أواخر العهد النبوي المقدس، لما هو ثابت من أنَّ أسامة بن زيد كان قد ولّاه رسول الله(صلى الله عليه وآله) قيادة الجيش قُبيل وفاته (صلى الله عليه وآله)، ولمّا كان أسامة قد سبى مسلم بن عقبة فهو برهان ناصع على أن مسلم هذا كان كافراً وعدواً للإسلام والمسلمين، وإن اعتناقه دين الإسلام (على فرض إسلامه) حصل بعد ذلك السبي، نهاية العهد النبوي الشريف .

---

(١) أنساب الأشراف: ٤/ ٤٠ .

٢. إنَّ في الخبر ما يشير الى غائلة مسلم وشدَّة حقده على الأنصار، حين يسألونه حفظ الجميل فيجيبهم متبجحاً أنّ حقده عليهم كان لقتلهم عثمان بن عفان (افتراءً منه عليهم) وليس فقط لاشتراكهم في وقعة الحرَّة».

ثم العجب من ابن حجر ومن وافقه على قوله كيف عدّ مسلم بن عقبة هذا من الصحابة، وأفرد له ترجمة في كتابه ، وهو من قتل الصحابة، وخاض في دمائهم وأباح المدينة، وفعل ما فعل بالإسلام والمسلمين، وكان على غير ملَّتهم حتى أواخر العهد المحمدي الشريف.

وعودا على بدء، نقول : ولقد كان صاحب الترجمة من خواص أصحاب معاوية بن أبي سفيان، ومن أقرب المقربين إليه يندبه لقيادة جيوشه في حروبه وغاراته، ويعتمد عليه في تنفيذ أهدافه ومخططاته ، إذ يروي لنا المؤرخون : أنه كان على رجّالة معاوية يوم صفين[١]، وأنه استخدمه بعد ذلك للإغارة على أهل دومة الجندل من بني كلب وغيرها، حتى كان لتفانيه وولائه أن استأثر بحب سيِّده وصحبته، وأصبح موضع سره وأمانته، فكان أحد الشاهدين على وصيته باستخلاف يزيد وتوطيد ملكه[٢].

---

(١) ينظر: وقعة صفين للمنقري:٢٠٦، ٢١٣ .

(٢) ينظر: الغارات: ٣١٨ .

يقول الطبري : «أن معاوية لمّا حضره الموت وذلك في سنة ستين ـ وكان يزيد غائباً ، دعا الضحاك بن قيس الفهري ـ وكان صاحب شرطته ومسلم بن عقبة المُرّي ، فأوصى إليهما فقال : بلغا يزيد وصيتي ..»[1].

ومن ذلك أيضا ما رواه ابن أعثم، قائلاً :«ثم اجتمع الناس الى الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة المري فقالوا : إنما أنتما صاحبا أمير المؤمنين، وقد حضره من الأمر ما قد علمتما ادخلا إليه ولقناه واسألاه أن يوصي الى ابنه يزيد فإنه لنا رضى. قال : فعندها بادر الضحاك ومسلم بن عقبة فسألاه عن نفسه ، فقال معاوية : أصبحت والله ثقيل الوزر ، عظيم الذنب ، أرجو رباً رحيماً ، وأخشى عذاباً أليماً ، فقال له الضحاك : يا أمير المؤمنين ، إن الناس قد اضطربوا وضجُّوا واختلفوا شرعة هذه وأنت حي ، فكيف وإن حدث بك أمراً فماذا ترى أن يكون حال الناس ؟ قال: ثم تكلم مسلم بن عقبة فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّا نرى الناس ونسمع كلامهم ، ونرى أن الأمر في يزيد وهو أهم له وهو لهم رضى ، فبادر الى بيعته من قبل أن يعتقل لسانك .فقال : صدقت يا مسلم ! إنه لم يزل رأيي من يزيد وهل تستقيم الناس لغير يزيد ، ليتها في ولدي وذريتي الى يوم الدين وأن لا تعلوا ذرية أبي تراب على ذرية آل أبي سفيان ، ولكن أخّروا لي هذا الأمر الى غد ..»[2].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٥٣٤ .

(٢) الفتوح: ٤/ ٣٤٦ .

ثم بعد هلاك معاوية لم يكن لينتقض أمره لدى يزيد ، بل بقي عنده بتلك الحظوة، وكان من المقربين إليه ، حتى انتدبه لذلك الإثم العظيم.

أما ما رواه أبو حنيفة في الأخبار الطوال من أن مسلم بن عقبة كان ضمن العشرة الذين أرسلهم يزيد لمفاوضة ابن الزبير وذلك قبيل الوقعة [1]، فخبر لا يخلو من ضعف لما كان يعتري مسرف الجزار آنذاك من الشيخوخة والمرض، وأنه حين خرج لغزو المدينة كان مريضا مدنفا لا يقوى على سفر، ومن ثمَّ كيف يصح ذهابه معهم الى مكة، وهو بتلك الحال ثم الرجوع منها الى الشام ، وزحفه مجددا نحو المدينة بذلك الجيش الجرار . أما قبائحه في تلك الحرب وصفة هلاكه فسيأتي تفصيلها لاحقاً .

٢ـ الحُصين بن نمير السَّكوني :

هو الحصين بن نمير بن ناتل بن لبيد بن جعشنة السكوني [2]، والسكوني نسبة الى السكون بفتح السين بطن من كندة غلب عليهم اسم أبيهم ، فقيل السكون. [3]

والمترجم له أحد عتاة العرب ومردتهم، ومن رؤوس قيادات الجيش الأموي ، ذكره ابن حجر ، فقال :

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

(٢) ينظر: أنساب الأشراف ٤/ ٤٠ .

(٣) ينظر: سبائك الذهب : ٢١٨ .

«حصين بن نمير الكندي ثم السكوني الحمصي. روى عن بلال مولى أبي بكر. وعنه ابنه يزيد، كان على الجيش الذين قاتلوا ابن الزبير بمكة ويقال أنه أحرق الكعبة» .. الى قوله: «كان أحد أمراء يزيد بن معاوية في وقعة الحرَّة، وكان الأمر الى مسلم بن عقبة المزني(المري) فلمّا ظعن عن المدينة أخذه الله فاستُخلف على الجيش حصينا هذا، فحاصر ابن الزبير ورموا البيت بالمنجنيق، ولم يلبثوا أن أخذ الله يزيد بن معاوية فجاءهم الخبر بموته، فأخذ حصين الأمان من ابن الزبير ودخلوا الحرم ثم رحلوا الى الشام».

ثم عقّب ابن حجر، قائلا: «وفرَّق البخاري بين حُصين بن نمير الراوي عن بلال وبين حصين بن نمير الأمير وهو الأظهر عندي..»[1].

وكان حصين هذا من زعماء كندة وأمير قومه من السَّكون، وكان يُعد أيضا من أشياع معاوية بن أبي سفيان وخواص بطانته، حيث روى المؤرخون أنه كان من المتحمسين لبيعة يزيد بن معاوية ومن الداعين إليها أمام الملأ، فمن ذلك ما رواه ابن أعثم قائلا: «ثم قام الحصين بن نمير السكوني فقال: يا معاوية! والله لئن لقيت الله ولم تبايع ليزيد لتكونن مُضيِّعا للأمة»[2].

وبعد هلاك معاوية زادت حظوته عند يزيد وترقّى، فكان من أمراء جيشه وقادة جنده الذين انتدبهم لقتال أهل المدينة، وإخماد

(١) تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٩٢.

(٢) الفتوح: ٤/ ٣٣٤.

ثورتهم والتنكيل بهم، ثم لجبروته وشدة بطشه، وتفانيه في طاعة يزيد، فقد جعله الأخير خليفة لمسلم بن عقبة على جيوش الشام إذا ما داهم الموت مسرف، وهو ما حدا به أنْ قاد تلك الجيوش نحو مكة وحاصر ابن الزبير، ورمى الكعبة بالمنجنيق حتى هدمها وأحرقها، وكما سيأتي ذكره لاحقاً .

أما هلاكه فقد كان في أيام المختار بن أبي عبيد الثقفي ، حيث قُتل مع عبيد الله بن زياد في معركة عين الخازر ، قتله شريك بن جدير التغلبي أحد فرسان جيش المختار الذي كان بقيادة إبراهيم بن مالك الأشتر وذلك سنة (٦٧هـ)[1].

والغريب في سيرة المترجم له أنه بالرغم مما عُرف به من القسوة وشدة البطش، والجرائم التي فاقت جرائم مسرف وبوائقه ، إلا إنَّ أحدًا ممن ترجم له أو تناول سيرته لم يتعرض لذم فعاله أو إنكارها عليه، كما تعرضوا لذم مسرف ولعنه واستعظام فعله مع أهل المدينة ، وهذا ما لا يخفى على كل باحث متأمل .

---

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٢٠٢ ، الفتوح: ٦/ ٢٨٠ .

قادة جيش المدينة

عُـرف أمـراء جـيش المدينـة عنـد جمهـور المسـلمين، بالاسـتقامة وروايـة الحديث ، وهم :

١ . الصحابي عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري

وهـو عبـد الله بـن حنظلـة بـن أبي عـامر ـ عبـد عمـرو ـ بـن صـيفي بـن الـنعمان أبـو عبـد الله وقيـل أبـو عبـد الـرحمن وقيـل أبـو بكـر الأنصـاري الأوسي المـدني وهـو ابـن الغسـيل ـ غسـيل الملائكـة يـوم أحـد ـ وابـن الراهـب لأن جـده يُعـرف بالراهـب ، وأمـه جميلـة ابنـة عبـد الله بـن أبي بـن سـلول ، ولدتـه بعـد مقتـل أبيـه .صحابي صغير [١].

كـان أبـوه حنظلـة الغسـيل قـد استشـهد يـوم أحـد وجـاء في استشـهاده مـا رواه أبـو نعـيم بسـنده قـائلاً : إنـه (أي حنظلـة) التقـى هـو وأبـو سـفيان بـن حـرب يـوم أحـد فلـمّا استعلاه حنظلـة رآه شـداد بـن الأسـود ـ وكـان يقـال لـه ابــن شَـعْوَبْ ـ قــد عــلا أبــا ســفيان فضرــبه شــداد فقتلــه . فقــال رســول الله(صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ): (إن صـاحبكم ـ يعنـي حنظلـة ـ لتغسـله الملائكـة فاسـألوا أهلـه مـا شـأنه). فسُـئلت صـاحبته ، فقالـت : خـرج وهـو جُنُـب حـين سـمع الهاتفة. فقال رسول الله (صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ): لذلك غسلته الملائكة .[٢]

وكـان حنظلـة والـد المـترجم لـه لمّـا أراد الخـروج الى أحـد وقـع عـلى امرأتـه

(١) التحفة اللطيفة: ٢/ ٣١٤ .

(٢) حلية الأولياء: ١/ ٣٥٧ .

جميلـة ، فعلقـت بعبـد الله في شـوال عـلى رأس اثنـين وثلاثـين شـهراً مـن الهجـرة ، وقُتـل حنظلـة يومئـذ شـهيداً فغسـلته الملائكـة ، فيقـال لولـده : بنـو غسـيل الملائكـة ، وولـدت جميلـة عبـد الله ، فقـبض رسـول الله (صلى الله عليه وآله) ولعبد الله سبع سنين.[1]

ومـا روي في ذلـك أيضـاً : أن حنظلـة بـن أبي عـامر تـزوج جميلـة بنـت عبـد الله بـن أبيّ بـن سـلول ، فأدخلـت في الليلـة التـي في صـبيحتها قتـال أحـد ، وكـان قـد اسـتأذن رسـول الله (صلى الله عليه وآله) أن يبيـت عنـدها فـأذن لـه، فلـمّا صـلى الصـبح غـدا يريـد النبـي (صلى الله عليه وآله)، ولزمتـه جميلـة فعـاد فكـان معهـا فأجنـب منهـا، ثـم أراد الخـروج وقـد أرسـلت قبـل ذلـك الى أربعـة مـن قومهـا فأشـهدتهم أنـه دخـل بهـا، فقيـل لهـا بعـد ذلـك، لِمَ أشـهدت عليـه ، قالـت : رأيـت السـماء فرجـت فـدخل فيهـا ثـم أطبقـت، فقلـت: هـذه الشـهادة، فأشـهدت عليـه أنـه قـد دخـل ، فعلقـت بعـد الله بـن حنظلـة. ثـم تزوجهـا ثابـت بـن قـيس ، وتـوفي رسـول الله (صلى الله عليه وآله) وعبـد الله ابـن سـبع سـنين وقـد رآه (أي رأى النبي(صلى الله عليه وآله))[2].

ولادته ووفاته :

بنـاءاً عـلى مـا اشـتهر بـين المـؤرخين وأربـاب المعـاجم مـن أن عبـد الله بـن حنظلـة كـان عمـره سـبع سـنين عنـد وفـاة الرسـول الأعظـم(صلى الله عليه وآله) عـام

(١) المنتظم: ٦/ ١٩ .

(٢) تهذيب تاريخ دمشق: ٧/ ٣٧٤ .

(١١هـ)، لذا فإن ولادته ستكون حدود سنة (٤هـ)، وأنه عند استشهاده في الوقعة سنة (٦٣هـ) كان قد ناهز الـ (٥٩سنة) والله سبحانه أعلم.

مشايخه والراوون عنه :

روى عن الرسول الأعظم(صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ)، وله رواية عن عمر بن الخطاب، وكعب الأحبار [١].

وروى عنه : عبد الله بن يزيد الخطمي، وابن أبي مليكة، وضمضم بن أوس، وأسماء ابنة زيد بن الخطاب [٢].

بعض أحواله :

رُوِيَ عن زيد بن أسلم: «أن عمر بن الخطاب لمّا فَرَضَ للناس، فَرَضَ لعبد الله بن حنظلة ألفي درهم، فأتاه طلحة بابن أخ له ففرض له دون ذلك ، فقال: يا أمير المؤمنين فضَّلت هذا الأنصاري على ابن أخي ؟ قال: نعم، لأني رأيت أباه يوم أحد يستتر بسيفه كما يستتر الجمل» [٣].

وكان عبد الله مريضا فتلا رجل قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [٤]، فبكى الى أن كادت نفسه أن تخرج، ثم قال : صاروا

---

(١) التحفة اللطيفة: ٢/ ٣١٤ ، تهذيب تاريخ دمشق: ٧/ ٣٧٣ .

(٢) التحفة اللطيفة: ٢/ ٣١٤ .

(٣) تهذيب تاريخ دمشق: ٧/ ٣٧٤ .

(٤) الأعراف: ٤١

بين أطباق النار ، ثم قام على رجليه فقال له قائل : أقعد ، فقال : منع مني ذكر جهنم القعود ، ولا أدري لعلي أحدهم .

ولم يكن له فراش ينام عليه، وإنما كان إذا أعيى من الصلاة توسَّد رداءه وذراعه ثم هجع شيئاً .

وما كان له ليالي الحرَّة مبيت إلا المسجد، وما كان يزيد على شربة من سويق يفطر عليها الى مثلها من الغد، يؤتى بها في المسجد، يصوم الدهر، وما رُئي رافعاً رأسه الى السماء إخباتاً[1] .

مروياته في الحديث :

روى عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أحاديث ذكرها له المحدثون، ونقلة الآثار، وليس ببعيد أن تكون مرسلة، لصغر سنّه عند وفاة النبي(صلى الله عليه وآله) منها:

- قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): (درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم ، أشد من ستة وثلاثين زنية في الخطيئة)[2] .
- قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (الرجل أحق بصدر دابته وبصدر فراشه وأن يؤُمَّ في رحله)[3] .
- قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): (لولا أن أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)[4] .

---

(١) الطبقات الكبرى: ٧/ ٧٠ ، تهذيب تاريخ دمشق: ٧/ ٣٧٦ .

(٢) مسند أحمد: ٥/ ٢٢٥، سنن الدار قطني: ٣/ ١٣

(٣) السنن الكبرى للبيهقي: ٣/ ١٢٦، الآحاد والمثاني: ٤/ ٢٤٣

(٤) تاريخ مدينة دمشق: ٢٧/ ٤٢٠

وروي عن المترجم له قوله: «رأيت النبي(ﷺ) يطوف بالبيت على ناقة ، لا ضَرب، ولا طَرد ولا إليك إليك، قال أبو اسماعيل الترمذي: ذكرت هذا الحديث لأحمد بن حنبل فقال: الحديث غريب والشيخ ثقة»[1].

أما جهاده وبلاؤه وصفة استشهاده فسيتم طرقها لاحقاً .

٢. معقل بن سنان الأشجعي :

أحد أقطاب جيش المدينة ومن زعمائهم ، ولاه المهاجرون أمرهم في تلك الحرب فكان أمير قبائلهم، وهو صحابي رأى النبي(ﷺ)، وسمع منه ، ذكره ابن حجر، فقال :

«معقل بن سنان بن مظهر بن عركي بن فتيان بن سبيع بن بكر بن أشجع بن ريث بن غطفان الأشجعي» ..الى قوله: «ذكر ابن الكلبي وأبو عبيد أنه وفد على النبي (ﷺ) فأقطعه قطيعة ، قال البغوي عن هارون الجمال: قُتل أبو سنان معقل بن سنان الأشجعي في ذي الحجة سنة ثلاث وستين، وأختُلف في كنيته فقيل أبو محمد أو أبو عبد الرحمن أو أبو يزيد أو أبو عيسى أو أبو سنان، وهو روى عن النبي(ﷺ) وروى عنه مسروق، وجماعة من التابعين منهم الشعبي، والحسن البصري، يقال أن روايتهم عنه مُرسلة ، وقال العسكري نزل الكوفة وكان موصوفا بالجمال وقدِم المدينة في خلافة عمر ، فقيل فيه وكان جميلاً :

أعوذ برب الناس من شرّ معقل   ما معقل راح البقيع مُرجلا

(١) تهذيب تاريخ دمشق: ٧/ ٣٧٣ ، التحفة اللطيفة: ٢/ ٣١٤ .

فبلغ ذلك عمر فنفاه الى البصرة ، وذكر المدائني بسنده أن عمر سمع إمرأة تنشد البيت ، وفي مغازي الواقدي أنه كان معه راية أشجع يوم حنين ومع نعيم بن مسعود راية أخرى» ..الى قوله : «كان معقل حامل لواء قومه يوم الفتح، وبقي الى أن بعثه الوليد بن عتبة ببيعة أهل المدينة ليزيد بن معاوية ، فلقي مسلم بن عقبة المُرّي فأنِسَ به وحادثه فقال له : إني قدِمت على هذا الرجل(فوجدته يشرب الخمر، وينكح الحرام) فلم يدع شيئاً حتى قال فيه ، ثم قال لمسلم إكتم عليَّ ، قال : أفعل لكن عليَّ عهد الله وميثاقه لا تمكنني يداي ولي عليك قدرة إلا ضربت الذي فيه عيناك، فلمّا قدِم مسلم في وقعة الحرَّة أتى به فأمره فضربت عنقه صبراً ، وفي ذلك يقول الشاعر:

ألا تلكم الأنصار تبكي سراتها وأشجع تبكي معقل بن سنان

ويقال إنَّ الذي باشر قتله نوفل بن مساحق بأمر مسلم بن عقبة»[1].

وفي المعارف لابن قتيبة : «شهد الفتح مع النبي (صلى الله عليه وآله) وبقي الى يوم الحرَّة، فقتله مسلم بن عقبة يومئذ ، وتولى قتله نوفل بن مساحق، لأنه سَمعه قديمًا يذكر يزيد بن معاوية بشرب الخمر ويطعن عليه ، فحقد ذلك عليه»[2]. وسوف نشير لقتله فيما بعد.

---

(١) الإصابة: ٦/ ١٢٥ .

(٢) المعارف: ٢٩٨ .

٣ . عبد الله بن مطيع العدوي :

أحد أركان جيش المدينة ومن رؤسائهم، كانت قريش قد ولَّته أمرها في تلك المعركة، وهو كما جاء عن ابن قتيبة :« من بني عويج بن عدي بن كعب، رهط عمر بن الخطاب، وكان أبوه مطيع بن الأسود يسمى(العاص)، فسماه النبي(صلى الله عليه وآله) مُطيعاً . وكان عبد الله على قريش يوم الحرَّة، ففرَّ ثم سار مع ابن الزبير بمكة ، فقاتل وهو يقول :

أنا الذي فررت يوم الحرَّة فاليوم أجزي كرّة بفرّة

وهل يفرّ الشيخ إلا مرَّة

فلم يزل يقاتل حتى قُتل ابن الزبير، فجُرح هو فمات من جراحته بمكة، فصلى عليه الحجاج ، وقال : «اللهم هذا عدو الله ابن مطيع، كان موالياً لأعدائك ومعادياً لأوليائك، فاملأ عليه قبره ناراً »[1].

وذكره ابن حجر، فقال: «عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي المدني، له رؤية وكان رأس قريش يوم الحرَّة، وأَمَّرهُ ابن الزبير على الكوفة، ثم قتل معه سنة ثلاث وسبعين للهجرة»[2].

أقول : وقد تولى صاحب الترجمة سنة (٦٥هـ) إمارة الكوفة من قبل عبد الله بن الزبير [3]، فلم تطل مدته فيها وأخرجه منها المختار بن أبي

(١) المعارف : ٣٩٥ .

(٢) تقريب التهذيب: ١/ ٤٥٢ .

(٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ١٢٦ .

عبيد الثقفي، فلحق بمكة وبقي برفقة ابن الزبير مسانداً له مستميتًا في نصرته، حتى قُتل معه أمام الحجاج بن يوسف الثقفي في حصار ابن الزبير الثاني سنة (٧٣هـ)[١]، ثم أُرسل رأسه الى الشام مع رأسي ابن الزبير وابن صفوان[٢].

(١) ينظر: تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٢٨٥ .

(٢) ينظر: تاريخ الكوفة:٢٤٩ .

موقف الإمام السجاد(عليه السلام) من حركة المدينة :

إنَّ توالي المحن والخطوب على آل الرسول(صلى الله عليه وآله) ، وما نزل بهم من المصائب والنوائب، خاصة بعد استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام) ، جَعَلت الإمام السجاد(عليه السلام) رهين ظرف عصيب أحاط به وبأهل بيته، عانى فيه المرارة والألم وكابد فيه الهموم والأحزان، حيث رزايا يوم الطف وفواجعه التي هدّت ركنه ، وأَدمت قلبه، ثم أذى الولاة وبغيهم وفائض غيِّهم، والذين ما فتئوا يرصدون حركاته، ويرقبون سكناته ويعدون عليه أنفاسه ، مع رقابة شديدة ما انفكَّت تتربص به وبمواليه الدوائر، وتتهالأ عليهم بالدسائس والمؤامرات، وهو ما يزال بعدُ يعيش في مدينة جده الأكرم(صلى الله عليه وآله) وبين أظهر الصحابة والتابعين .

وبالرغم من أنَّ استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام) كان قد أيقظ نفوس المدنيين من غفلتها، وأظهر لهم مدى جور يزيد وفسقه ، إلّا أنّ الإمام السجاد(عليه السلام)، لرشد رأيه رأى اعتزال تلك الحرب، وعدم الدخول في شيء من أمرها، واجتناب الفتنة بكل أبعادها، وقد تبعه على ذلك جُلُّ بني هاشم وبني عبد المطلب ، لذا فقد أقدم على الخروج من المدينة وأهل بيته الى أرض ينبع[1] ، كراهة أن يشهد تلك الحرب أو يشترك فيها ، وأيضاً للابتعاد

(١) يَنبُع : بالفتح ثم السكون والباء الموحدة المضمومة ، أرض عن يمين رضوى لمن كان منحدرا من المدينة الى البحر على ليلة من رضوى من المدينة على سبع مراحل وهي لبني حسن بن علي(عليهما السلام) - معجم البلدان: ٨/ ٥١٠-٥١١ .

عن فتنة عبد الله بن الزبير الذي جمح بأهل المدينة، وجرَّهم الى ويلات تلك الحرب العقام، والذي ما برح بعد قتل الإمام الحسين(عليه السلام) يدعوا الناس الى بيعته وخلع يزيد بن معاوية، مع ما كان يرومه من كسب تأييد الإمام السجاد(عليه السلام) وكبار رجالات بني هاشم كمحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس، سعيًا منه دعم حركته تلك وإكسابها الشرعية اللازمة، ولتيقُّنه من أنَّ بيعته لا تتم إلا بمبايعة آل البيت(عليهم السلام) وبني هاشم له ، وقد حدثنا عن ذلك بعض المؤرخين، فقال : «لمّا أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد من المدينة ، كلَّم مروان بن الحكم ابن عمر أن يغيِّب أهله عنده ، فأبى ابن عمر أن يفعل، وكلَّم علي بن الحسين وقال : يا أبا الحسن ، إنَّ لي رحمًا وحُرمي تكون مع حُرمك، فقال: أفعل ، فبعث بحُرَمه الى علي بن الحسين، فخرج بحُرمه وحُرم مروان حتى وضعهم بينبع، وكان مروان شاكراً لعلي بن الحسين» .. الى قوله: «وخرجت عائشة بنت عثمان بن عفان (وهي امرأة مروان بن الحكم) الى الطائف ، فتمُرُّ بعلي بن حسين وهو بمال له الى جنب المدينة قد اعتزلها كراهية أن يشهد شيئاً من أمرهم ، فقال لها : احملي ابني عبد الله معك الى الطائف ، فحملته الى الطائف حتى نُقضت أمور أهل المدينة»[1].

وجاء عن ابن الأثير، قوله: «وقد كان مروان بن الحكم كلَّم ابن عمر لمّا أخرج أهل المدينة عامل يزيد وبني أمية في أن يُغيِّب أهله عنده فلم

---

(١) تاريخ الأمم و الملوك : ٥/ ٨-٩ .

يفعل، فكلَّم علي بن الحسين فقال : إنَّ لي حُرَما وحرمي يكون مع حرمك. فقال : أفعل، فبعث بامرأته وهي عائشة ابنة عثمان بن عفان وحُرمه الى علي بن الحسين، فخرج علي بحُرمه وحُرم مروان الى ينبع، وقيل : بل أرسل حُرم مروان وأرسل معهم ابنه عبد الله بن علي الى الطائف» [1].

الى غيرها من الأخبار الصادحة بفضل الإمام السجاد(عليه السلام)، وغزارة نبله مع مروان بن الحكم ، ومع غيره، وما كان من نأيه عن المدينة وكرهه أمرهم.

أما مراودة ابن الزبير بعض رجال بني هاشم والتماسه مؤازرتهم في الدعوة الى نفسه وخلع يزيد فيحدِّثنا عن بعضها ابن أعثم الكوفي ، فيقول : «وتحرك عبد الله بن الزبير ودعا الى نفسه وجعل يبايع سراً ، ويزيد لا يعلم بشيء من ذلك، قال : وأقبل نفر من أصحاب عبد الله بن الزبير منهم عبد الله بن مُطيع العدوي والعباس بن سهل الأنصاري وجماعة من أولاد المهاجرين والأنصار حتى دخلوا على محمد بن علي(ابن الحنفية) رحمه الله فسلَّموا عليه، فردَّ عليهم السلام وأمرهم بالجلوس. فقال : ما حاجتكم ؟ فقالوا : يا أبا القاسم ! إنا قد عزمنا على قتال هذا اللعين يزيد بن معاوية، وهذا عبد الله بن الزبير قد بايعناه ونريد منك أن تكون يدك مع أيدينا ، فقال محمد بن علي : إذا لا نفعل،

(١) الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٦ .

قالوا : ولم ذلك ؟ قال: لأني قد بايعته وأخذت جائزته ولم أخلعه فأقاتله، فقالوا : ولم بايعته وأنت أنت ؟ قال : خوفاً منه على نفسي وولدي، وإبقاءً على من بَقي من أهل بيتي، لأني رأيت أخي الحسين(عليه السلام) قُتل، فلم آمن يزيد على نفسي، وقد رأيت أخي الحسن بايع معاوية من قبل وأخذ جائزته ، والحسن كان أفضل مني، فإن بايعت يزيد كان لي أسوة بأخي ، فقالوا : إن أخاك الحسن رأى رأيًا، فقال: وأنا رأيت ذلك الرأي الذي رآه أخي، فقالوا: يا هذا إنَّ يزيد رجل يشرب الخمر، ويلعب بالكلاب والقرود، وقد فسق وكفر، قال : فقال لهم محمد بن علي : إني قد كنت عنده بالشام مقيماً الى وقت الانصراف عنه فلم أطَّلع منه على كفر ولا فجور ، وأكثر ما ينتهي إليّ من خبره أنه كان يشرب الخمر وقد نهيته عن ذلك، وقضيت ما عليَّ ولم يؤاخذني ربي بذنبه ، فقالوا له : يا هذا إنه ليأتي من المنكر والفواحش أشياء ولكنه ما يطلعك على ذلك ، فقال لهم محمد بن علي(رضي الله عنه): فلقد أطّلعتم على ذلك منه، فوالله لئن كان أطلَعَكم على ما ذكرتم فأنتم شركاؤه في فعله، إذ رأيتم شيئاً من المنكر فلم تُغيِّروه ، وإن كان لم يُطلِعكم على شيء من ذلك فقد شهدتم بغير الحق، فاتقوا الله يا هؤلاء في أنفسكم وكفوا عما عزمتم عليه ، فإني خائف عليكم أن تسفكوا دمكم في غير حق . قال : فأطرق القوم ساعة ثم قالوا : يا أبا القاسم ! لعلك إنـّما تكره البيعة لابن الزبير لأنك ترى أنك أحق بالبيعة منه ، إن كنت إنـّما تكره ذلك لهذا الشأن فاخرج بنا حتى نبايعك ! قال محمد بن علي: لا أستحلّ القتال تابعا ولا متبوعا. فقالوا :

يا محمد أنت قاتلت مع أبيك يوم الجمل، ويوم صفِّين، ويوم النهروان ! قال : فتبسَّم محمد بن علي ثم قال : ويحكم وأين تجدون مثل أبي في دهركم هذا ، والله لا أقاتل أهل القبلة ولا أتبع مولِّيا ولا أجهز على جريح، ولا أدخل دارا إلا بإذن أهله. قال : فقالوا : والله لا نفارقك حتى تخرج معنا أو تبايع من بايعناه ، فقال : والله لا خلعت من بايعت ولا تابعت من لم يجعل الله له في عُنقي بيعة، فاتقوا الله ربكم واذكروا ما نزل بأخي الحسين بن علي رضي الله عنهما وولده وإخوته وبني عمه وشيعته رضوان الله عليهم فإني لكم منه نذير مبين ، يا قوم لا ترضوا أحدا بسخط الله عليكم ، فقد أنذرت إليكم، والسلام[1]. قال : فانصرف القوم الى عبد الله بن الزبير فخبروه بذلك ، قال : فسكت عنه ابن الزبير ولم يقل شيئا»[2].

قال أبو الفرج الأصفهاني : «وجرى بين محمد خاصة وبين أصحاب ابن الزبير فيه قول كثير، حتى أرادوا إكراهه على ذلك، فخرج الى مكة، وكان هذا أول ما هاج الشر بينه وبين ابن الزبير »[3].

وعن دعوة ابن الزبير لعبد الله بن عباس، وما كان من مراسلة يزيد له

(١) أقول : وظاهر الخبر يُشير الى تمسك ابن الحنفية ببيعة يزيد وعدم رضوخه لطلب ابن الزبير بخلعه، وهو ما لا يتفق وجلالة ابن الحنفية وعظيم شأنه، إلا إن اتخاذه لهذا الموقف ربما كان لما يعلمه من حقد ابن الزبير وسوء نواياه، فتأمل.

(٢) الفتوح: ٥/ ١٤٠ـ١٤٢ ، البداية والنهاية: ٨/ ٢٦٢ ، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٠ بإيجاز .

(٣) الأغاني: ١/ ٣٨ .

عند امتناعه عن بيعة ابن الزبير ، روى جملة من أهل السير والآثار، أنه: «لّما قتل الحسين(عليه السلام) ثار عبد الله بن الزبير فدعا ابن عباس الى بيعته فامتنع، وظنَّ يزيد أن امتناعه تمسُّك منه ببيعته فكتب إليه : أما بعد ، فقد بلغني أن الملحد ابن الزبير دعاك الى بيعته وانك اعتصمت ببيعتنا وفاءا منك لنا فجزاك الله من ذي رحم خير ما يجزي المواصلين لأرحامهم الموفين بعهودهم فما أنسى من الأشياء فلست بناس برِّك وتعجيل صلتك بالذي أنت له أهل ، فانظر من طلع عليك من الآفاق ممن سحرهم ابن الزبير بلسانه فأعلمهم بحاله فانهم منك اسمع الناس ولك أطوع منهم للمُحْلّ. فكتب إليه ابن عباس : أما بعد ، فقد جاءني كتابك ، فأما تركي بيعة ابن الزبير فوالله ما أرجوا بذلك برِّك ولا حمدك ، ولكن الله بالذي أنوي عليم . وزعمت أنك لست بناس برِّي فاحبس أيُّها الإنسان برِّك عني فاني حابس عنك برِّي. وسألت أن أحبِّبَ الناس إليك وابغِّضهم واخذِّلهم لابن الزبير فلا ولا سرور ولا كرامة كيف وقد قتلت حسينا وفتيان عبد المطلب مصابيح الهدى ونجوم الأعلام »[1].. الى آخر ذلك الخطاب الجريء الشجاع منه ليزيد بن معاوية. والذي نادى فيه بمظلومية آل البيت(عليهم السلام)، وفضح وحشية أعدائهم.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧٢ – ١٧٤ ، المعجم الكبير: ١٠/ ٢٤١، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٦٦ ، الخرسان : السيد محمد مهدي :موسوعة عبد الله بن عباس: ٥/ ٢٦١–٢٦٥، حيث عدَّ سماحته(دام ظله)عشرة مصادر لهذا الخطاب فراجع .

ولا ريب أن إعراض الإمام السجاد (عليه السلام) عن تلك الحرب، وعدم مخالطته أهل المدينة في فعلهم، إنّما جاء عن أسباب ، أهمها :

١- عدم إيجاد الإمام السجاد (عليه السلام) في أهل المدينة من يؤمن بأحقية أهل البيت(عليهم السلام) أو يتبنى نهضتهم المتمثلة بثورة الإمام الحسين (عليه السلام) ومبادئها الخالدة، في نشر الإصلاح والدِّين والقضاء على بدع الأمويين وفسادهم، ومواصلة الجهاد العلني ضدهم وفقده للأعوان المخلصين ممن يعينه على تحقيق ذلك، حتى نراه(عليه السلام) ينطق لما يعتصر له القلب أَلَمًا وحُزنًا، فيقول: (ما بمكة ولا بالمدينة عشرون رجلا يحبُّنا)[1]، ومن أنَّه لم يكن في زمنه(عليه السلام) في أول أمره الا خمسة أنفس سعيد بن جبير ، سعيد بن المسيب ، محمد بن جبير بن مطعم ، يحيى بن أمّ الطويل ، أبو خالد الكابلي واسمه وردان ولقبه كنكر[2].. الخ.

٢- سعيه الحفاظ على من بقي من أهل بيته وعشيرته بعد أن استشهد أكثرهم في واقعة كربلاء الأليمة، وقيامه برعاية الأيتام والأرامل وتجنيبهم مشاهد الحرب وويلاتها والابتعاد بهم الى ارض ينبع ، وكذلك للتحرر من عيون يزيد وجواسيسه المتربصين به وبآل الرسول(صلى الله عليه وآله) المبثوثين بين عوام الناس ، الذين ما فتئوا يرفدون يزيد بأخبار المدينة وأهلها ، حتى نراه يوصي مسرف بن عقبة بالإمام السجاد(عليه السلام)، قائلا له : «وانظر علي بن

(١) الغارات: ٣٩٣

(٢) ينظر: اختيار معرفة الرجال : ١٩٩

الحسين ، فاكفف عنه واستوص به خيرا وادن مجلسه فانه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه ..»[1].

٣- اطّلاعه الكامل ومعرفته التامة بخبايا ابن الزبير ونواياه وما كان يهدف إليه من تحريض أهل المدينة، ودفعهم الى مبايعته وخلع يزيد، وإظهاره التنسك والعبادة واستنفاره غاية العزم لنيل منصب الخلافة، واستنجاده بالمكر والمماطلة لتحقيق ذلك ، مع ما قد ثوى في قلبه من الكراهية والبغض الشديدين لآل رسول الله(صلى الله عليه وآله) والذي صرح بمكنونه في مواقف كثيرة، كقوله: « والله إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين عامًا »[2] وكقوله وقد قطع في خُطَبِه ذكر رسول الله(صلى الله عليه وآله) فاستعظم الناس منه ذلك، فقال متجرِّئا : « إني لا أرغب عن ذكره ، ولكن له أُهيل سوء إذا ذكرته أتلعوا أعناقهم، فأنا أحبُّ أن أكبتهم »[3] ، فانظر أخي القارئ إلى جسامة لفظه، وشدّة عداوته، وكرهه لأهل بيت النبي(عليهم السلام)، حين ينعتهم بـ(أهيل سوء)، الى غير ذلك من مواقفه الناطقة ببغضه لآل الرسول وبني هاشم .

ولقد روى أبو الفرج الأصفهاني قول عبد الله بن عمر لمّا سألته زوجته مبايعة ابن الزبير واثنت عليه وقالت : «ما يدعو الا الى طاعة الله

---

(١) تاريخ الامم والملوك: ٥/ ٨ ، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٦ المنتظم: ٦/ ١٣ وغيرها كثير .

(٢) مروج الذهب: ٣/ ٨٣

(٣) شرح نهج البلاغة: ٥/ ٨٢٠

جل وعز ، وأكثرت القول في ذلك ، فأجابها أبن عمر مخبرا عن أطماع ابن الزبير وغاياته : أما رأيت بغلات معاوية اللواتي كان يحجُّ عليهنَّ الشُّهب ، فان ابن الزبير ما يريد غيرهنّ»[١].

وعبد الله بن عمر بن الخطاب هذا كان ممن رفض بيعة ابن الزبير وتمسك ببيعة يزيد بن معاوية.

٤- علمه صلوات الله عليه بتشتت أهل المدينة وتشعب آرائهم وتوجهاتهم في تلك الحرب، وعدم انضوائهم تحت قيادة موحدة، مع ما كان من ضعف إمكانياتهم العسكرية، وقلة المؤونة، وانعدام المدد المسعف لهم في حال محاصرتهم ، ثم عدم التكافؤ بين الجيشين في العدة والعدد، حيث التفوق العسكري الواضح لجيوش الشام على جيش المدينة .

ولقد روى ابن قتيبة مقولة مروان بن الحكم لمسرف بن عقبة لّما سأله عن جيش المدينة: «فقال مروان : عددهم كثير ، أكثر مما جئت به من الجيوش ولكنَّ عامتَّهم ليس لهم نيات ولا بصائر ، وفيهم قوم قليل لهم نيَّة وبصيرة ولكن لا بقاء لهم مع السيف وليس لهم كراع ولا سلاح»[٢].

أضف الى ما سبق ما قد لمسه الإمام(عليه السلام) من تسرعٌ قادتهم في رفض مبادرات يزيد وعدم استغلالها بالشكل الصحيح، أو الاستفادة

(١) الاغاني: ١/ ٣٧-٣٨

(٢) الامامة والسياسة: ١/ ١٧٩

منهـا في عـرض مطـالبهم، ودرء خطـر الحـرب عـنهم ، وهـو مـا لم يحصـل ، ثـم إصرارهـم عـلى قتالـه منفـردين عـن بـاقي الأمصـار دون سـند أو مـدد، ودون النظر بعين الحكمة والتعقل لنتائج ذلك الإصرار الخاطئ .

يقـول الخضـري: «وانَّ الإنسـان ليعجـب مـن هـذا التهـور الغريـب، والمظهـر الـذي ظهـر بـه أهـل المدينـة في قيـامهم وحـدهم بخلـع خليفـة في إمكانـه أن يجرِّد عليهم مـن الجيـوش مـا لا يمكـنهم أن يقفـوا في وجهـه، ولا يُـدرى مـا الـذي كـانوا يريدونـه بعـد خلـع يزيـد أيكونـون مسـتقلِّين عـن بقيـة الأمصـار الإسـلامية، لهـم خليفـة مـنهم يـلي أمـرهم أم حَمْـل بقيـة الأمـة عـلى الـدخول في أمـرهم، وكيـف يكـون هـذا وهـم منقطعـون عـن بقيـة الأمصـار ولم يكن معهم في هذا الأمر أحد من الجنود الإسلامية»[1].

أمّـا مـا تناقلـه المؤرخـون مـن اشـتراك رجـال مـن آل عبـد المطلـب في تلـك الحـرب، وقيـادتهم بعـض كتائـب جـيش المدينـة، فقـول فيـه نظـر، ولا يخلـو مـن اشـتباه لمـا روي عـن الإمـام أبي جعفـر البـاقر(عليه السلام)، وقولـه وقـد سُـئل عـن مشـاركة بنـي عبـد المطلـب في تلـك الحـرب، فأجـاب قـائلاً: «مـا خـرج فيهـا أحـد مـن آل أبي طالـب، ولا خـرج فيهـا أحـد مـن بنـي عبـد المطلـب، لزموا بيوتهم ».[2]

---

(١) الدولة الاموية: ٣٥٥

(٢) الطبقات الكبرى: ٧/ ٢١٣ ، البداية والنهاية: ٨/ ٢٦٢ ، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٩٣ ، تاريخ الإسلام: ٥/ ٢٨ .

وبالرغم من ذلك فقد روى المؤرخون مقتل بعض رجال بني هاشم في تلك الوقعة، والظاهر أن قتلهم كان حشراً مع من أصيب من الناس ، وأنَّهم لم يثبوا مع جموع أهل المدينة أو يواطئوهم أمرهم ، وممن روى أسماءهم وذكر مقتلهم المسعودي في مروج الذهب ، قائلا: «فممن قُتل من آل أبي طالب اثنان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وجعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب، ومن بني هاشم من غير آل أبي طالب: الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وحمزة بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب والعباس ابن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب »[1].

ولا لبس في أنَّ الخبر يحمل بين طيّاته سهواً لا يمكن التغاضي عنه، وهو عدّ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من قتلى الحرَّة وهذا لا يصح ، لأن الصحيح الثابت لدى أهل التاريخ ومنهم المسعودي نفسه أنه توفي عام (٨٠) للهجرة وهو العام الذي عُرف بـ (عام سيل الجحاف)[2] عن عمر ناهز الـ ٦٧عاماً ، لذا فخبر المسعودي الآنف الذكر يحتمل أن يكون قد سقط منه عبارة (من ولد) فيكون الأصح في نص الخبر: (..اثنان من ولد عبد الله بن جعفر) وهو ما يتوافق وأخبار قتلى الحرَّة من آل أبي طالب، ثم الغريب في ذلك أني لم أعثر على من تنبَّه للخبر أو دقق فيه من

(١) مروج الذهب: ٣/ ٧٤، ١٥٦

(٢) مروج الذهب: ٣/ ١٥٦

قبل محققي الكتاب رغم تفتيشي لعدة طبعات منه سوى طبعة كانت بتنقيح وتصحيح شارل پلا ، وهي طبعة بربيه دي مينار وبا ڤيه دي كرتاي، وقد أعادت طبعها دار انتشارات الشريف الرضي حيث جاء في نص الخبر قوله (.. ابنان لعبد الله بن جعفر ..).

يؤيده ما جاء عن ابن قتيبة عند عدِّه لقتلى الحرَّة، قائلاً : «وقتل ابنان لعبد الله بن جعفر»[1].

وممن ذكر مقتلهم أيضاً وبتفصيل أكثر ، أبو الفرج الأصفهاني قائلاً : «قتل أبو بكر بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يوم الحرَّة في الواقعة بين مسرف بن عقبة وبين أهل المدينة»[2]. وقال في شأن أخيه عون بن عبد الله بن جعفر: «وقتل عون يوم الحرَّة، حرّة واقم قتله أصحاب مسرف بن عقبة»[3].

ومن قتلى بني هاشم أيضاً: «جعفر بن محمد ابن الحنفية ، ذكره ابن عنبة، فقال : «أما جعفر بن محمد بن الحنفية وقُتل يوم الحرَّة حين أَرسل يزيد بن معاوية مسرف بن عقبة المُرّي لقتل أهل المدينة المشرَّفة ونَهبِهم، وفي ولده العدد فعقبه من عبد الله وحده ..الخ»[4].

---

(١) الإمامة والسياسة: ٢/ ٨ .

(٢) مقاتل الطالبيين: ٨٢ .

(٣) مقاتل الطالبيين : ٨٣

(٤) عمدة الطالب: ٣٥٣ .

بقـي لنـا أن نقـول أمّـا مـا رواه الطـبري وبعـض المـؤرخين مـن اشـتراك الفضـل بـن العبـاس بـن ربيعـة، أحـد بني عبـد المطلـب بـن هاشـم في الحـرب وأنـه كـان أحـد فرسـان جـيش المدينـة في تلـك الوقعـة فخـبر تَفيَّـأ بظـلال الشـبهة، ولم يلتـئم وقـول الإمـام البـاقر (عليه السلام) السـابق الـذكر ، وعـلى فـرض صحة اشتراكه في المعركة، فلا يعدو تأويل الخبر أحد احتمالين:

ــ الأول مــنهما : وجــود تشــابه في الأســماء، وهــو أمــر وارد الحــدوث لشيوع مثـل تلـك الأسماء بـين النـاس آنـذاك، ممـا يكـون قـد أحـدث إلتباسـاً في اســم الفضــل هــذا ونَســبه ، وأنَّ المقصــود بــ (الفضــل بــن العبــاس) شخصاً آخر غير الفضل بن العباس الهاشمي .

ـ الثـاني : لـو صـحَّ اشـتراكه فعـلاً في تلـك الوقعـة فـلا يمكـن لمشـاركته إلّا أن تكـون دفاعـاً عـن أهلـه ومالـه وعرضـه ضـد مسـرف بـن عقبـة، وجنـده الطغـام الفسـقة ولـيس كـما أشـار إليـه بعـض أصـحاب التـواريخ، مـن أنـه كـان أحد رؤوس جيش المدينة في تلك الحرب، والله سبحانه أعلم .

موقف مروان بن الحكم وولده عبد الملك من أحداث المدينة

يخبرنا المؤرخون وأصحاب السير إنّ من أدلّاء جيش الشام وأعوانه الذين تواطأوا على غزو المدينة، وهلاك جيشها وقتل أهلها ذلك القتل الذريع، واستباحة حماهم وأعراضهم وانتهاب أموالهم، هو مروان بن الحكم الأموي وولده عبد الملك، اللذان كان لهما الدور الأكبر في وقوع تلك الكارثة وإحداث تلك الفجيعة الموجعة بما بذلاه متطوِّعَين من إسداء النصائح الحربية وإعداد الخطط العسكرية لإسعاف جيش الشام ومظاهَرته على أهل المدينة حتى كان ما كان من مآسي تلك الحرب وويلاتها، وقد يعزو بعض المؤرخين سبب ذلك الموقف من مروان وولده عبد الملك الى ما أقدم عليه أهل المدينة من إخراجهم وباقي بني أميّة ومحاصرتهم خارج المدينة، وقد حدثنا عن ذلك بعضهم فقال: «ثم ولىّ يزيد بعد الوليد بن عتبة المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان فلمّا وثب أهل المدينة أيام الحرَّة، أخرجوا عثمان بن محمد وبني أمية من المدينة فأجلوهم عنها الى الشام وفيهم مروان بن الحكم، وأخذوا عليهم الأَيمان ألّا يرجعوا إليهم، وإن قدروا أن يردّوا هذا الجيش الذي قد وجِّه إليهم مع مسلم بن عقبة المرّي أن يفعلوا، فلمّا استقبلوا مسلم بن عقبة سلَّموا عليه وجعل يسائلهم عن المدينة وأهلها فجعل مروان يخبره ويحرِّضه عليهم، فقال له مسلم ما ترون .؟ تمضون الى أمير المؤمنين أو ترجعون

معي ؟ فقالوا : بل نمضي الى أمير المؤمنين[١] . وقال مروان من بينهم : أمّا أنا فأرجع معك . فرجع معه مؤازراً له، معيناً له على أمره، حتى ظَفر بأهل المدينة وقُتلوا وأنتُهبت المدينة ثلاثاً. وكتب مسلم بن عقبة بذلك الى يزيد وكتب يشكر مروان بن الحكم ويذكر معونته إيّاه ومناصحته وقيامه معه»[٢].

وروى ابن قتيبة قائلاً : «وهرب عثمان بن محمد منهم ليلا فلحق بالشام ، ثم أخذوا مروان بن الحكم وكبراء بني أمية ، فأخرجوهم عن المدينة، فقالوا : الشُقَّة بعيدة ولا بد لنا مما يصلحنا، ولنا عيال وصبية ، ونحن نريد الشام، قال : فاستنظروا عشرة أيام ، فأُنظروا، ثم اجتمع رأي أهل المدينة أن يُحلِّفوا كبراء بني أمية عند منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) لئن لقوا جيش يزيد ليردُّونهم عنهم إن استطاعوا ، فان لم يستطيعوا مضوا الى الشام ولم يرجعوا معهم ، فحلفوا لهم على ذلك، وشرطوا عليهم أن يقيموا بذي خُشُبْ[٣] عشرة أيام فخرجوا من المدينة ، وتبعهم الصبيان، وسفهاء الناس يرمونهم بالحجارة، حتى انتهوا الى ذي خشب ، ولم يتحرك أحد من آل عثمان بن محمد ، ولم يخرج من المدينة فلمّا رأت بنو أمية ما صنع بهم أهل المدينة من إخراجهم منها، اجتمعوا الى مروان ،

(١) يعني به يزيد بن معاوية

(٢) الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٢ـ٤٣ .

(٣) خُشُبْ : بضم أوله وثانيه وآخره باء موحدة ، واد على مسيرة ليلة من المدينة له ذكر كثير في الحديث والمغازي. معجم البلدان ٣/ ٢٣٥ .

فقالوا : يا أبا عبد الملك ما الرأي ؟ قال : من قدر منكم أن يُغيِّب حريمه فليفعل، فإنما الخوف على الحرمة، فغيِّبوا حُرَمهم»[1]. . . الى قوله : «فمضت الجيوش (أي جيوش يزيد بن معاوية)، فلمّا نزلوا بوادي القرى ، لقيتهم بنو أمية خارجين من المدينة ، فرجعوا معهم ، واستخبَرَهم مسلم بن عقبة عمّا خلفهم وعمّا لقوا ، وعن عددهم. فقال مروان : عددهم كثير ، أكثر مما جئت به من الجيوش ، ولكن عامَّتهم ليس لهم نيات ولا بصائر ، وفيهم قوم قليل لهم نية وبصيرة ولكن لا بقاء لهم مع السيف ، وليس لهم كراع ولا سلاح، وقد خندقوا عليهم وحصَّنوا ، قال مسلم : هذه أشدُّها علينا ، ولكنّا نقطع عنهم مشربهم ، ونردم عليهم خندقهم ، فقال مروان : عليه رجال لا يسلِّمونه ، ولكن عندي فيه وجه سأخبرك به ، قال : هاته ، فقال : أطوه ودعه حتى يحضر ذلك . قال : فدعه إذا ، ثم قال لهم مسلم : تريدون أن تسيروا الى أمير المؤمنين أو تقيموا موضعكم هذا ، أو تسيروا معنا ؟ فقال بعضهم : نسير الى أمير المؤمنين ، ونُحدث به عهداً ، فقال مروان : أمّا أنا فراجع. فقال بعضهم لبعض قد حلفنا لهم عند المنبر لئن استطعنا أن نردّ الجيش عنهم لنردنَّه فكيف بالرجوع إليهم. فقال مروان : أمّا أنا فراجع إليهم ، فقال له قوم : ما نرى أن تفعل ، فإنّما تقتلون بهؤلاء أنفسكم ، والله لا أكثرنا عليهم لمسلم جمعاً أبداً. فقال مروان : أنا والله ماضٍ مع مسلم الى

---

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ١٧٨ .

المدينة فمدرك ثأري من عدوِّي، وممن أخرجني من بيتي ، وفرَّق بيني وبين أهلي، وإن قتلت بهم نفسي ، فلم يرجع مع مسلم من بني أمية غير مروان وابنه عبد الملك ، وكان مجدوراً فجعله بذي خشب»[1].

ثم يحدثنا ابن قتيبة بعد ذلك عن خطة مروان في اختراق المدينة، والتي أرجأ شرحها لمسلم بن عقبة بقوله له وكما مر في الخبر السابق: (أطوه ودعه حتى يحضر ذلك) وكيف استطاع بمكره وخبثه إغراء أحد بني حارثة وفتح الطريق لجيش الشام، ثم عدم اكتفائه بذلك الدور الخياني البشع حتى كان سبباً مباشراً لقطع رؤوس قتلى الحرَّة والتمثيل بهم[2]، وكما سيأتي تفصيله لاحقاً .

أما دور ولده عبد الملك في مساندة جيش الشام، ومشايعته مسرف على غزو المدينة ، فيحدثنا به بعض المؤرخين قائلاً : «عن حبيب بن كرَّة أنه قال : كنت مع مروان ، فكتب معي هو وجماعة من بني أمية كتاباً الى يزيد بن معاوية ، فأخذ الكتاب عبد الملك بن مروان حتى خرج معي الى ثنية الوداع[3] ، فدفع إليَّ الكتاب وقال : وقد أجَّلتُكَ اثنتي عشرة ليلة ذاهبا واثنتي عشرة ليلة مقبلا فوافني لأربع وعشرين ليلة في هذا المكان

---

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ١٧٩-١٨٠ .

(٢) ينظر: الإمامة و السياسة : ١/ ١٨٠ - ١٨١ .

(٣) ثنية الوداع : بفتح الواو ، وهو اسم من التوديع عند الرحيل : وهي ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة. معجم البلدان: ٢/ ٨٦

تجدني إن شاء الله في هذه الساعة جالساً انتظرك ،..الخ.[١] ، قال : فأخذت الكتاب ومضيت به حتى قدمت على يزيد وهو جالس على كرسي واضعاً قدميه في ماء طست من وجع كان يجده فيهما»[٢] .. الى قوله راجعاً لحديث حبيب بن كرة الذي تحدث عن رجوعه من عند يزيد الى المدينة : «قال: فأقبلت حتى أوافي عبد الملك بن مروان في ذلك المكان في تلك الساعة أو بعيدها شيئاً. قال: فوجدته جالساً متقنعاً تحت شجرة، فأخبرته بالذي كان، فسُـرَّ به، فانطلقنا حتى دخلنا دار مروان على جماعة بني أمية، فنبَّأتهم بالذي قدمت به، فحمدوا الله عز وجل»[٣].

ثم لّما قدمت بنو أمية على مسلم بن عقبة بوادي القرى، دعا بعمرو بن عثمان بن عفان أول الناس فقال له : «أخبرني خبر ما وراءك ، وأشر عليَّ ؛ قال : لا أستطيع أن أخبرك ، أُخذ علينا العهود والمواثيق ألا ندلّ على عورة ، ولا نظاهر عدواً ، فانتهره ثم قال : والله لولا أنك ابن عثمان لضربت عنقك، وأيم الله لا أقيلها قرشياً بعدك. فخرج بما لَقي من عنده الى أصحابه »[٤]، فقال مروان بن الحكم لابنه عبد الملك : «أدخل قبلي لعلّه يجتزئ بك عني ، فدخل عليه عبد الملك فقال: هات ما عندك ،

(١) أقول : الخبر قد مر ذكره سابقاً، فلا حاجة لتكراره .

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٥، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٧، أنساب الأشراف: ٤/ ٣٢ـ٣٣ ، المنتظم: ٦/ ١٤، البداية والنهاية: ٨/ ٥٩١ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٧ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ٩ .

أخبرني خبر الناس ، وكيف ترى ؟ فقال له : نعم أرى أن تسير بمن معك ، فتنكَّب هذا الطريق الى المدينة ، حتى إذا انتهيت الى أدنى نخل بها نزلت ، فاستظلَّ الناس في ظلّه ، وأكلوا من صقره [1]، حتى إذا كان الليل أذكيت الحرس الليل كلّه عقباً بين أهل العسكر ، حتى إذا أصبحت صلَّيت بالناس الغداة ، ثم مضيت بهم وتركت المدينة ذات اليسار ، ثم أدرت بالمدينة حتى تأتيهم من قبل الحرَّة مُشرِّقاً ، ثم تستقبل القوم، فإذا استقبلتهم وقد أَشرَقت عليهم وطلعت الشمس طلعت بين أكتاف أصحابك ، فلا تؤذيهم ، وتقع في وجوههم فيؤذيهم حرُّها ، ويصيبهم أذاها ، ويرون ما دمتم مشرِّقين من إئتلاق بيضكم وحرابكم ، وأسنَّة رماحكم وسيوفكم ودروعكم وسواعدكم ما لا ترونه أنتم لشيء من سلاحهم ما داموا مُغَرِّبين ، ثم قاتِلهم واستعن بالله عليهم ، فإنَّ الله ناصرك ، إذ خالفوا الإمام ، وخرجوا من الجماعة . فقال له مسلم : لله أبوك ! أيُّ امرئ وَلَد إذ وَلَدك لقد رأى بك خلفاً . ثم إنَّ مروان دخل عليه فقال له : إيه ! قال : أليس قد دخل عليك عبد الملك، قال : بلى ، وأيّ رجل عبد الملك ! قلّما كلّمْت من رجال قريش رجلاً به شبيهاً ، فقال له مروان : إذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني ، قال : أجل ، ثم ارتحل من مكانه ذلك ، وارتحل الناس معه حتى نزل المنزل الذي أمره به عبد الملك، فصنع فيه ما أمره به ، ثم مضى في الحرَّة حتى نزلها فأتاهم من

---

(١) الصَقَرْ : الدبس وهو عسل التمر . الصحاح: ٢/ ٧١٥

قبل المشرق» [١].

وروى ابن سعد بسنده عن المقبري قائلاً : «أن عبد الملك بن مروان لم يزل بالمدينة في حياة أبيه وولايته حتى كان أيام الحرَّة، فلمّا وثب أهل المدينة، فأخرجوا عامل يزيد بن معاوية وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان عن المدينة وأخرجوا بني أمية خرج عبد الملك مع أبيه فلقيهم مسلم بن عقبة بالطريق قد بعثه يزيد بن معاوية في جيش الى أهل المدينة ، فرجع معه مروان وعبد الملك بن مروان وكان مجدوراً ، فتخلَّف عبد الملك بذي خشب ، وأمر رسولاً أن ينزل مخيض - وهو موضع فيما بين المدينة وذي خشب على اثني عشر ميلا من المدينة ، وآخر يحضر الوقعة يأتيه بالخبر ، وهو يخاف أن تكون الدولة لأهل المدينة. فبينما عبد الملك جالس في قصر مروان بذي خشب يترقب ، إذا رسوله قد جاء يلوح بثوبه ، فقال عبد الملك : إنَّ هذا لبشير . فأتاه رسوله الذي كان بمخيض يخبره أن أهل المدينة قد قُتلوا ودخلها أهل الشام ، فسجد عبد الملك ودخل المدينة بعد أن برأ» [٢].

ولا إشكال في إنَّ الأخبار المتقدمة صدعت بالموقف العدائي المشين لمروان بن الحكم وولده عبد الملك ضد المدينة وساكنيها ، واتخاذ ذلك وسيلة لإدراك ثأرهما وبلوغ قصدهما في الانتقام من أهل المدينة،

---

(١) الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٢٢ -٢٢٣ بإيجاز .

(٢) الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٢٢ - ٢٢٣

والتنكيل بهم وبأبشع الصور وأقساها دون أدنى شفقة أو رحمة ، وما كل ذلك إلا لّما تذرَّعا به من أخذهما بثأر الخليفة عثمان أولاً ، ومن إخراجهم عن المدينة ثانياً ، وهي ذرائع افتقرت الى المصداقية وقوة البرهان وورات خلفها أحقاد قديمة تجذَّرت في نفسيهما ضد المدنيين من مهاجرين وأنصار، ومنذ أيام الإسلام الأولى مروراً بأيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان، حيث كان مروان من المقرّبين إليه ولعب دوراً هاماً في تأجيج الفتن وإشعالها ضده ، حتى بات مروان وقد التهبت منه الصدور بغضاً وكراهةً وأضحى وقد شحن جوفه بالغلّ وطبعت أحشاؤه بالإحن فكانت ثأراً كامناً في قلبه يتحيَّن الفرص تلو الفرص لبثِّه وإخراجه فكان موقفه من الحرَّة ترجمةً لذلك البغض القديم، وانعكاساً لمّا أُودع في نفسه من ضغائن وأهات الجاهلية .

يقول ابن العماد عند ترجمته لمروان : «وذكر ابن عبد البر، والذهبي، وغيرهما مخازي مروان بأنه أوَّل من شقّ عصا المسلمين بلا شبهة، وقتل النعمان بن بشير أول مولود من الأنصار في الإسلام، وخرج على ابن الزبير بعد أن بايعه على الطاعة، وقتل طلحة بن عبيد الله يوم الجمل، والى هؤلاء المذكورين، والوليد بن عقبة، والحكم بن أبي العاص، ونحوهم الإشارة بما ورد في حديث المحشر وفيه: (فأقول يا رب

أصحابي، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك[١])»[٢].

وما ذكره ابن العماد من مثالب مروان وآثامه ما هو إلا غيض من فيض، لمن تناول أخباره واطلع على سيرته البعيدة عن روح الإسلام ووصايا نبيه الأعظم(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

أما ولده عبد الملك فقد اقتفى أثر أبيه فيهم، ووافقه في عدائهم، والبغض لهم، حتى تربَّص فرصة الانتقام منهم بوقعة الحرَّة، فكان ظهيراً للظالمين عليهم، قد أظهر الفرح والسرور لقتلهم ، وسجد شكراً لهتك أعراضهم، وانتهاب أموالهم وكما مر ذكره سلفاً ، وهذا في حقيقته منتهى التشفي والتلذذ بما أصابهم من موت ودمار وهم بقية الصحابة والتابعين .

ثم العجب كل العجب ممن يدَّعي له العلم ويصفه بالورع وإنه كان فقيهاً عابداً من مشاهير فقهاء المدينة[٣] !! ، فهلا أخبرنا من نَسَب له ذلك أين كان علمه وورعه عندما نَصَرَ وآزرَ من أخاف المدينة وروَّع

---

(١) ينظر: المصنف للصنعاني: ١١/ ٤٠٦، المصنف لابن أبي شيبة: ٨/ ١٣٩، مسند أحمد: ١/ ٢٣٥، ٣٨٤، ٤٠٢، ٤٠٧، ٤٢٥، ٤٣٩، ٤٥٥، ٣/ ٢٨١، ٥/ ٤١٢، صحيح البخاري: ٥/ ٢٤٠، ٧/ ٢٠٦، ٢٠٨، صحيح مسلم: ٧/ ٦٨، ٨/ ١٥٧، سنن الترمذي: ٤/ ٣٨، مسند أبي يعلى: ٧/ ٣٥، ٩/ ١٢٦، وغير ذلك.

(٢) شذرات الذهب: ١/ ٦٩ .

(٣) أقول: ذكر ذلك أكثر من ترجم له، ينظر : الإمامة والسياسة ٢/ ١٤ ، الكامل في اللغة:٦١١ ، البداية والنهاية: ٩/ ٦٩ ، حياة الحيوان: ١/ ٨١ وغيرهم كثير .

أهلها، وهل جهل وهو العالم الفقيه كما يدَّعون قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): (المدينة حرم من كذا الى كذا لا يُقطع شجرها ولا يُحدَث فيها حدث، من أحدث حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) [1] وقوله (صلى الله عليه واله وسلم) : (لا يكيد أهل المدينة أحد إلا إنماع كما ينماع الملح في المّاء) [2].

الى غيرها من الأحاديث النبوية الشريفة الصادحة بفضل المدينة وقدسيتها ، فهل نَسيها عبد الملك أم تغافل عنها، حتى أقدم على ما أقدم عليه.

ثُمَّ ما كُلّ هذا الاستخفاف من مروان وولده عبد الملك بحرمة القسم بالله وبرسوله(صلى الله عليه وآله)، دون باقي بني أمية ومواليهم ممن كانوا معهم، ونقضهم لتلك الأيمان المُغلَّظة ونكثهم دون أدنى مبالاة للعهود والمواثيق التي قطعوها على أنفسهم، في عدم إرشاد العدو على عورات المدينة وثغراتها، فهل حقاً استحق أهل المدينة من مهاجرين وأنصار وعبَّاد وأخيار كل ذلك القتل والدمار، لا لشيء سوى إقدامهم على طرد مروان وكبراء بني أمية ورفضهم لظلم الولاة المتجبرين من عمال يزيد ، وهل أولدت هذه الأسباب كل تلك النقمة الجارفة، أم هي حفائظ الغِلّ وحسائك الحقد التي ثَوت في نفوسهم، وأوغَرت صدورهم فدفعت بهم لارتكاب تلك الآثام الموبقة، والجرائم المُغرقة .

(١) صحيح البخاري:٢/ ٢١١ .

(٢) صحيح البخاري:٢/ ٢١١ .

وهنـاك مـن يُحـدِّثنا عـن إظهـار بعضـهم لتلـك الضـغائن، فيقـول : «قـدم سـليمان بـن عبـد الملـك حاجـاً سـنة اثنتـين وثمانـين ، وهـو وليّ عهـد ، فمـرَّ بالمدينـة، فـدخل عليـه النـاس، فسـلَّموا عليـه ، وركـب الى مَشـاهد النبـي(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) التـي صـلَّى فيهـا ، وحيـث أصـيب أصـحابه بأُحـد، ومعـه أبـان بـن عـثمان ، وعمـرو بـن عـثمان، وأبـو بكـر بـن عبـد الله بـن أبي أحمـد، فـأتوا بـه قبـاء، ومسـجد الفضـيخ ، ومَشـربة أم إبـراهيم، وأحـد ، وكـل ذلـك يسـألهم ويخبرونـه عـمّا كـان . ثـم أمـر أبـان بـن عـثمان أن يكتـب لـه سـير النبـي(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، ومغازيـه ، فقـال أبـان : هـي عنـدي ، قـد أخـذتها مصـححة ممـن أثـق بـه . فـأمر بنسـخها وألقـى فيهـا الى عشـرةٍ مـن الكتّـاب فكتبوهـا في رقّ ، فلـمّا صـارت إليـه نظر فـإذا فيهـا ذكـر الأنصـار في العقبتـين ، وذكـر الأنصـار في بـدر ، فقـال : مـا كنـت أرى لهـؤلاء القـوم هـذا الفضـل . فإمّـا أن يكـون أهـل بيتـي غمصـوا علـيهم ، وإمّـا أن يكونـوا لـيس هكـذا . فقـال أبـان بـن عـثمان : أيهـا الأمـير لا يمنعنـا مـا صـنعوا بالشـهيد المظلـوم مـن خذلانـه ، إنَّ القـول بـالحق ، هـم عـلى مـا وصـفنا لـك في كتابنـا هـذا . قـال : مـا حـاجتي الى أن أنسـخ ذاك حتـى أذكـره لأمـير المـؤمنين ، لعلـه يخالفـه ، فـأمر بـذلك الكتـاب فحـرِّق وقـال أسـأل أمـير المـؤمنين إذا رجعـت ، فـإن يوافقـه ، فـما أيسـر نسـخه ، فرجـع سـليمان بـن عبـد الملـك فـأخبر أبـاه بالـذي كـان مـن قـول أبـان ، فقـال عبـد الملـك : ومـا حاجتـك أن تقـدم بكتـاب لـيس لنـا فيـه فضـل ، تُعـرِّف أهـل الشـام أمـوراً لا نريـد أن يعرفوهـا . قـال سـليمان : فلـذلك يـا أمـير المـؤمنين أمـرت بتحريـق مـا كنـت نسـخته حتـى اسـتطلع رأي أمـير المـؤمنين .

فصوَّب رأيه وكان عبد الملك يثقل عليه ذلك ، ثم إنَّ سليمان جلس مع قبيصة بن ذؤيب فأخبره خبر أبان بن عثمان ، وما نسخ من تلك الكتب ، وما خالف أمير المؤمنين فيها ، فقال قبيصة : لولا ما كرهه أمير المؤمنين لكان من الحظ أن تعلمها وتُعلِّمها ولدك وأعقابهم» .. الى قوله : «فقال سليمان : يا أبا إسحاق ، ألا تخبرني عن هذا البغض من أمير المؤمنين وأهل بيته لهذا الحيّ من الأنصار وحرمانهم إيّاهم لم كان ؟ فقال : يا ابن أخي ، أول من أحدث ذلك معاوية بن أبي سفيان ، ثم أحدثه أبو عبد الملك ، ثم أحدثه أبوك ، فقال : علام ذلك ؟ قال : فوالله ما أريد به إلا لأعلمه وأعرفه . فقال : لأنهم قتلوا قوماً من قومهم ، وما كان من خذلانهم عثمان (رضي الله عنه) فحقدوه عليهم ، وحنقوه وتوارثوه ، وكنت أحبُّ لأمير المؤمنين أن يكون على غير ذلك لهم ، وأن أخرج من مالي ، فكلِّمه ، فقال سليمان : أفعل والله . فكلَّمه وقبيصة حاضر ، فأخبره قبيصة بما كان من محاورتهم. فقال عبد الملك : والله ما أقدر على غير ذلك، فدعونا من ذكرهم ، فأسكت القوم»[1].

ومن ذلك أيضاً ما رواه المسعودي قائلاً : «حج عبد الملك في بعض أعوامه ، فأمر للناس بالعطاء ، فخرجت بدرة مكتوب عليها (من الصدقة) فأبى أهل المدينة من قبولها وقالوا : إنما كان عطاؤنا من الفيء ، فقال عبد الملك وهو على المنبر : يا معشر قريش مَثَلنا ومَثلكم أَنَّ أخوين

(١) الأخبار الموفقيات:٣٣١ـ ٣٣٤ .

في الجاهلية خرجا مسافرين ، فنزلا في ظلِّ شجرة تحت صفاة ... ثم سرد حكاية عقَّب بعدها بقوله : فيا معشر قريش ، وَلِيكم عمر بن الخطاب فكان فظاً غليظا مُضيِّقاً عليكم ، فسمعتم له وأطعتم ، ثم وَلِيكم عثمان فكان سهلًا ليِّناً كريماً فعدوتم عليه ، فقتلتموه ، وبَعَثنا عليكم مُسلماً يوم الحرَّة فقتلتموه ، فنحن نعلم يا معشر قريش أنكم لا تحبُّوننا أبداً وأنتم تذكرون يوم الحرَّة، ونحن لا نحبُّكم أبداً ونحن نذكر مقتل عثمان»[1].

الى غيرها من شواهد الحقد الأموي المتوغل في نفسي عبد الملك وأبيه مروان، ومزيد بغضهما لأهل المدينة على وجه الخصوص ، حتى أضحى ذلك الحقد إرثاً يتوارثه أبناؤهم وأحفادهم، وسنَّة في ملكهم ينشأ عليها صغيرهم، ويهرم عليها كبيرهم(سوى معاوية الثاني، وعمر بن عبد العزيز)، فيا عجباً لمن لا يبالي بسُنَّة عليه وزرها وإثمها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة، ثم لا نعرف كيف سوَّلت لهم أنفسهم الاستهانة بدماء سادات المسلمين من صحابة وتابعين، واجتثاث دوحتهم دون أدنى اكتراث لسخط الله وغضبه، وسخط رسوله (ﷺ)، حتى كان دعمهما جيش الطغّام المسرفين سبباً مباشراً لنزول تلك الفاجعة .

---

(١) مروج الذهب: ٣/ ١١٨ .

المعركة الفاصلة

ويحدثنا المؤرخون أن أهل المدينة لّما أيقنوا بقدوم الجيوش إليهم تشاوروا في الخندق، وقالوا قد خندق رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، فخندقوا المدينة من كل نواحيها[1].

وقيل بل اتخذوا خندقاً في جانب المدينة، ونزله جمع منهم عظيم، وكان عليهم عبد الرحمن بن زهير بن عبد عوف ابن عم عبد الرحمن بن عوف الزُهري ، وكان عبد الله بن مطيع على ربع آخر في جانب المدينة ، وكان معقل بن سنان الأشجعي[2] على ربع آخر في جانب المدينة ، وكان أمير جماعتهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الأنصاري ، في أعظم تلك الأرباع وأكثرها عدداً .[3]

وجاء في نص آخر : «أن كل قوم خندقوا على رُبْعهم وكان ابن الغسيل وابن مطيع في الأنصار ومعقل في المهاجرين ، وكان على الموالي يزيد بن هُرمُز ، فقال الشاعر وهو شهوات مولى بني تيم وذلك الثبت ، وقوم يقولون : مولى آل الزبير[4] :

---

(١) ينظر: الإمامة والسياسة: ١/ ١٨٠ .

(٢) معقل بن سنان الأشجعي أبو محمد (صحابي) ممن شهد فتح مكة قتل يوم الحرة سنة ثلاث وستين. مشاهير علماء الأمصار: ٧٨

(٣) ينظر: تاريخ الأمم والملوك ٥/ ١٠ .

(٤).وقيل بل قائل الشعر هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن زيد العدوي ، ينظر المعارف لابن قتيبة: ٢٤٦ .

إن في الخنــدق المُكلَّــل بالمجــد لضــربا ً يســوء ذا النشــوات
لســت منّــا ولــيس خالــك منّــا يــا مضــيِّع الصــلاة للشــهوات
بَرْقِــعْ الــدُبَّ واحمــل القــرد في بــلاد الوحــوش بــالفلوات
فــإذا مــا غلبتنــا فتنصــَّر وأتــرُكنَّ الصــلاة والجمعــات[1]

وروي أن: «يزيـداً لـمّا بعـث مسـلم بـن عقبـة الى المدينـة بعـث أهـل المدينـة الى كـل مـاء بيـنهم وبـين الشـام فصبوا فيـه زُقـا ً مـن قطـران ، وعُـوِّر ، فأرسـل الله السماء عليهم (أي على جيش مسـلم بـن عقبـة) فلـم يستقوا بـدلوٍ حتى وردوا المدينة»[2]

والخـبر ذو غرابـة شـديدة ولا يعـدوا أن يكـون موضـوعاً ، لمـا يرمـي إليـه مـن أنَّ مسـير مسـرف بـن عقبـة الى أهـل المدينـة كـان مؤيـداً مـن الله تعـالى، حيـث استغنائه بـالمطر المـدرار عـن ميـاه الآبـار والتـي كـما يـزعم راوي الخـبر قـد خرَّبهـا أهـل المدينـة، وإنَّ قـتلهم عـلى يـد مسـلم كـان قصاصـاً عـادلا ً منـه تعالى لخروجهم على يزيد بن معاوية . فهل بعد هذا من حديث .

ولنرجع فنقـول : ثـم إن ابـن حنظلـة الغسـيل جمـع أهـل المدينـة عنـد المنـبر ، فقـال : «تبـايعوني عـلى المـوت وإلا فـلا حاجـة في بيعـتكم ، فبـايعوه عـلى المـوت . ثـم صـعد المنـبر ، فحمـد الله وأثنـى عليـه ، ثـم قـال : أيهـا النـاس ، إنـما خـرجتم غضـباً لـدينكم ، فـأبلوا الى الله بـلاء حسـناً ليوجـب لكـم بـه الجنـة

(١) أنساب الأشراف: ٤/ ٣٥، التنبيه والإشراف: ٢٦٤، الأخبار الطوال: ٢٦٥ بإيجاز، المعارف:٢٤٦ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ١٧، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٦ـ٤٥٧ ، تاريخ خليفة بن خياط: ١٤٨ ، البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٩ ، وغيرها كثير .

ومغفرتـه ، ويحـل بكـم رضـوانه ، واسـتعدُّوا بأحسـن عـدَّتكم ، وتـأهبوا بأكمـل أهبـتكم ، فقـد أخـبرت أن القـوم قـد نزلـوا بـذي خشـب ، ومعهـم مـروان بـن الحكـم ، والله إن شـاء مهلكـه بنقضـه العهـد والميثـاق عنـد منـبر رسـول الله (صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ) ، فتصـايح النـاس ، وجعلـوا ينـالون منـه ويسـبونه، فقـال لهـم : إن الشـتم لـيس بشـيء ، ولكـن نصـدقهم اللقـاء ، والله مـا صـدق قـوم قط إلا نُصِروا»[1].

وفي خـبر آخـر : «لمّـا وثـب أهـل المدينـة ليـالي الحـرَّة، فـأخرجوا بنـي أميـة عـن المدينـة وأظهـروا عيـب يزيـد بـن معاويـة وخلافـه ، أجمعـوا عـلى عبـد الله بـن حنظلـة فأسـندوا أمـرهم إليـه فبـايعهم عـلى المـوت وقـال : يـا قـوم ! اتقـوا الله وحـده لا شريـك لـه ، فـوالله مـا خَرجنـا عـلى يزيـد حتـى خِفنـا أن نُرمـى بالحجـارة مـن السـماء ،(إنَّ رجـلاً يـنكح الأمهـات والبنـات والأخـوات ويشـرب الخمـر ويـدع الصـلاة والله لـو لم يكـن معـي أحـد مـن النـاس لأبليـت لله فيـه بـلاء حسـنا) ، فتواثـب النـاس يومئـذ يبـايعون مـن كـل النـواحي . ومـا كـان لعبـد الله بـن حنظلـة تلـك الليـالي مبيـت إلا المسـجد ومـا كـان يزيـد عـلى شربـة مـن سـويق يفطـر عليهـا الى مثلهـا مـن الغـد ، يـؤتى بهـا في المسـجد ، يصـوم الـدهر ومـا رؤي رافعـاً رأسـه الى السماء إخباتاً»[2].

فلـمّا دنـا أهـل الشـام مـن وادي القـرى صـلى عبـد الله بـن حنظلـة بالنـاس

---

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ١٨٠ .

(٢) والخبر ذكره عدة من المؤرخين ينظر المنتظم لابن الجوزي: ٦/ ١٩، تاريخ الإسلام: ٥/ ٢٧ ، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٩٣ ، تاريخ الخلفاء : ٢٠٩ .

الظهر، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : أيها الناس ، إنما خرجتم غضباً لدينكم ، فأبلوا لله بلاء حسناً ليوجب لكم به مغفرته ، ويحلَّ به عليكم رضوانه . قد خبرني من نزل مع القوم السويداء ، وقد نزل القوم اليوم ذا خشب ومعهم مروان بن الحكم والله إن شاء محينه بنقضه العهد والميثاق عند منبر رسول الله(صلى الله عليه وآله) . فتصايح الناس وجعلوا ينالون من مروان ويقولون : الوزغ ابن الوزغ ، وجعل ابن حنظلة يهدِّئهم ويقول: إنَّ الشتم ليس بشيء، ولكن اصدقوهم اللقاء، والله ما صدق قوم قط إلا حازوا النصر بقدرة الله . ثم رفع يديه الى السماء واستقبل القبلة وقال : اللهم إنّا بك واثقون ، بك آمنا وعليك توكلنا وإليك ألجأنا ظهورنا ، ثم نزل»[1].

ولا يخفى أنَّ في وصف ابن حنظلة خير شاهد على فسق يزيد وفساد عقيدته، وتماديه في الفجور، وإلحاده في أحكام القرآن، واقترافه تلك المفاسد العظام، كإباحته نكاح الأمهات والبنات والأخوات، وشربه الخمر، وتركه الصلوات الى غيرها من مثالبه، وزلاته التي نطقت بها سيرته، وجسَّدتها أفعاله، والتي يمكن الاستدلال على تحقق فعله لها وارتكابه لآثامها في أنَّ أحد الواصفين لها والشاهد على حصولها هو الصحابي عبد الله بن حنظلة الأنصاري ذلك الشريف الفاضل بنص أصحاب السير والرجال وقد مرت ترجمته سلفاً ، وأَنَّ أحداً ممن ترجم له، أو أشاد بفضله لم ينكر عليه مقالته

(١) الطبقات الكبرى: ٧/ ٦٩-٧٠ ، تهذيب تاريخ دمشق: ٧/ ٣٧٥-٣٧٦ .

تلك في يزيد، أو يتَّهمه بقذفه وبهتانه، بل لم أعثر عند من ذكره من أصحاب السير والتواريخ على من طعن في الخبر، أو شكك فيه ، وهو ما يؤيد ثبوته، ويؤكد حصوله .

وعودا على بدء : ثم أقبل مسلم بن عقبة بمن معه من الجيوش وبرفقته مروان بن الحكم قاصداً المدينة حتى نزل بشرقيِّها في موضع يقال له الحرَّة(حرة واقم) امتثالا لمشورة عبد الملك بن مروان واصغاءً لآرائه الحربية ، ثم أنه أرسل الى أهل المدينة يدعوهم قائلا لهم : «إنَّ أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ، ويقول لكم : أنتم الأصل والعشيرة والأهل ، فاتقوا الله واسمعوا وأطيعوا ، فإن لكم عندي في عهد الله وميثاقه عطائين في كل سنة ، عطاء في الصيف وعطاء في الشتاء ولكم عندي عهد الله وميثاقه ، أن أجعل سعر الحنطة عندكم كسعر الحنطة عندنا ، والحنطة يومئذ سبع آصع[1] بدرهم ، وأما العطاء الذي ذهب به عنكم عمرو بن سعيد، فعليَّ أن أخرجه لكم ، وكان عمرو بن سعيد قد أخذ أعطياتهم فاشترى بها عبيد لنفسه ، فقالوا لمسلم : نخلعه كما نخلع عمائمنا ، يعنون يزيد ، وكما نخلع نعالنا»[2].

وفي خبر أنه دعاهم فقال : «يا أهل المدينة ، إن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية يزعم أنكم الأصل ، وأني أكره هراقة دمائكم وإني أؤجلكم

---

(١) آصع: جمع صاع، والصاع : الذي يكال به ، وهو أربعة أمداد. الصحاح: ٣/ ١٢٤٧

(٢) الإمامة والسياسة: ٢/ ٨ .

ثلاثاً ، فمن ارعوى وراجع الحق قبلنا منه ، وانصرفت عنكم ، وسرت الى هذا الملحد الذي بمكة ، وإنْ أبيتم كنّا قد أعذرنا إليكم »[١].

ولّما مضت الثلاثة أيام ، دعاهم فقال يا أهل المدينة ، قد مضت الأيام الثلاثة ، فما تصنعون ؟ أتسالمون أم تحاربون ؟ فقالوا : بل نحارب ، فقال لهم : لا تفعلوا ، بل ادخلوا في الطاعة ، ونجعل حدَّنا وشوكتنا على هذا الملحد[٢] الذي قد جمع اليه المُرّاق والفُسّاق من كل أوب . فقالوا لهم : يا أعداء الله ، والله لو أردتم أن تجوزوا اليه ما تركناكم حتى نقاتلكم، نحن ندعكم أن تأتوا بيت الله الحرام ، وتخيفوا أهله ، وتلحدوا فيه ، وتستحلوا حرمته !! لا والله لا نفعل »[٣].

ثم إنه وجنده من أهل الشام: «لّما انتهوا الى المدينة عسكروا بـ الجرف[٤] ، ومشُّوا رجالا من رجالهم ، فأحدقوا بالمدينة من كل ناحية لا يجدون مدخلا ، لأنهم قد خندقوها عليهم ، والناس متلبِّسون السلاح ، قد قاموا على أفواه الخنادق ، وقد حرصوا أن لا يتكلم منهم متكلم ، وجعل أهل الشام يطوفون بها والناس يرمونهم بالحجارة والنبل من فوق الآكام والبيوت ،

---

(١) تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١٠ .

(٢) يقصد به عبد الله بن الزبير.

(٣) تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١٠ ، البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٧

(٤) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام ، به كانت أموال لعمر بن الخطاب ولأهل المدينة ، وفيه بئر جشم وبئر جمل. معجم البلدان: ٢/ ١٢٨

حتى جرحوا فيهم وفي خيلهم ، فقال مسلم لمروان: أين ما قلت لي بوادي القرى ؟ فخرج مروان حتى جاء بني حارثة، فكلَّم رجلا منهم ، ورغَّبه في الضيّعة ، وقال : افتح لنا طريقًا فأنا اكتب بذلك الى أمير المؤمنين ومتضمن لك عنه شطر ما كان بَذَل لأهل المدينة من العطاء وتضعيفه ، ففتح له طريقا ، ورغب فيما بذل له ، وتقبل ما تضمن له عن يزيد ، فاقتحمت الخيل ، فجاء الخبر الى عبد الله بن حنظلة فأقبل وكان من ناحية الطورين ، وأقبل عبد الله بن مطيع وكان من ناحية ذناب ، وأقبل ابن أبي ربيعة فاجتمعوا جميعا بمن معهم ، بحيث اقتحم عليهم أهل الشام ، فاقتتلوا حتى عاينوا الموت، ثم تفرقوا» [1].

وصمد مسلم بن عقبة بجميع من معه ، فاقبل من قبل الحرَّة حتى ضرب فسطاطه على طريق الكوفة ثم وجه الخيل نحو ابن الغسيل فحمل ابن الغسيل على الخيل في الرجال الذين معه حتى كشف الخيل ، حتى انتهوا الى مسلم بن عقبة ، فنهض في وجوههم بالرجال ، وصاح بهم ، فانصرفوا فقاتلوا قتالا شديدا ، ثم ان الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب جاء الى عبد الله بن حنظلة الغسيل فقاتل في نحو عشرين فارسا قتالا شديدا حسنا[2].

---

(١) الإمامة والسياسة: ١/ ١٨٠، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧٥ بإيجاز .

(٢) ينظر: تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١٠-١١ ، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٨

وكنا قد أوضحنا فيما سبق ، من إنَّ الراجح عندنا في هذا الأمر ، هو عدم مشاركة الفضل بن العباس الهاشمي أو أحداً من بني هاشم ، و إنَّ من قتل منهم في تلك الحرب انما كان حشرا مع من أصيب من الناس، ولم يكن لتزعُّمهم مواقع قيادية في جيش المدينة، وهو ما يتفق وقول الامام الباقر(عليه السلام) في هذا الشان، أمّا ايرادنا الخبر هنا، فإنما جاء حفاظا على متن النص وتماسك سرده التاريخي.

وعودا على بدء، نقول : ثم ان الفضل بن العباس قال لعبد الله : «مُر من معك فارسًا فليأتني فليقف معي ، فاذا حملت فليحملوا فو الله لا أنتهي حتى أبلغ مسلما ، فإما أن أقتله ، وإمّا أن أُقتل دونه ، فقال عبد الله بن حنظلة لعبد الله بن الضحاك من بني عبد الاشهل من الأنصار : ناد في الخيل فلتقف مع الفضل بن العباس ، فنادى فيهم فجمعهم الى الفضل ، فلـمّا اجتمعت الخيل اليه حمل على أهل الشام فانكشفوا ، فقال لأصحابه : الا ترونهم كشفا لئاما ! احملوا أخرى جعلت فداكم ! فو الله لئن عاينت أميرهم ، لا قتلنَّه أو لأقتلن دونه ، إنَّ صبر ساعة معقب سرورًا أبدًا ، إنه ليس بعد لصبرنا الاّ النصر. ثم حمل وحمل أصحابه معه ، فانفرجت خيل أهل الشام عن مسلم بن عقبة في نحو من خمسمائة راجل جثاة على الركب ، مشرعي الأسنَّة نحو القوم ، ومضى كما هو نحو رايته حتى يضرب رأس صاحب الراية ، وإنَّ عليه لمغفرًا ، فقَدَّ المغفر ، وفَلَق هامته فخرَّ ميتا ، فقال : خُذها مني وأنا ابن عبد المطلب !

فظن أنه قتل مسلمًا ، فقال : قتلتُ طاغية القوم ورب الكعبة ، فقال مسلم : أخطأت استك الحفرة ! وإنما كان ذلك غلاما له ، يقال له : رومي ، وكان شجاعا . فأخذ مسلم رايته ونادى : يا اهل الشام ، أهذا القتال قتال قوم يريدون ان يدفعوا به عن دينهم وان يعزُّوا به نصر إمامهم ! قبّح الله قتالكم منذ اليوم ! ما أوجعه لقلبي وأَغيظه لنفسي ! أما والله ما جزاؤكم عليه الا أن تحرموا العطاء وأن تجمَّروا في أقاصي الثغور ، شدُّوا مع هذه الراية ، ترَّح الله وجوهكم إن لم تعتبوا فمشى برايته ، وشدَّت تلك الرجال أمام الراية فصُرع الفضل بن عباس ، فقُتل وما بينه وبين أطناب مسلم بن عقبة الا نحو من عشر أذرع ، وقُتل معه زيد بن عبد الرحمن بن عوف[١] ، وقتل معه إبراهم بن نعيم العدوي[٢] ، في رجال من أهل المدينة كثير »[٣].

وجاء في خبر عنه : «أنَّ مسلم بن عقبة كان مريضا يوم القتال وأنه أمر بسرير وكرسي فوضع بين الصفَّين ، ثم قال : يا أهل الشام ، قاتلوا عن أميركم أو دعوا . ثم زحفوا نحوهم فأخذوا لا يصمدون لربع من تلك الأرباع الّا هزموه ولا يقاتلون الا قليلا حتى تولوا ، ثم

(١) زيد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري : من شجعان قريش، كان في صفوف الثائرين على بني أمية في المدينة، وقتل في وقعة الحرة. الأعلام: ٣/ ٥٩.

(٢) إبراهيم بن نعيم بن النحام العدوى حجازي قتل يوم الحرة يروى عن أبيه روى عنه ابنه مجاهد. الثقات: ٤/ ١٣

(٣) تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١١

إنّه أقبل الى عبد الله بن حنظلة فقاتله أشد القتال ، واجتمع من أراد القتال من تلك الأرباع الى عبد الله بن حنظلة ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فحمل الفضل بن العباس بن ربيعة في جماعة من وجوه الناس وفرسانهم يريد مسلم بن عقبة ، ومسلم على سريره مريض ، فقال : احملوني فضعوني في الصف ، فوضعوه بعد ما حملوه أمام فسطاطه في الصف ، وحمل الفضل بن العباس هو وأصحابه أولئك حتى انتهى الى السرير وكان الفضل أحمر ، فلمّا رفع السيف ليضربه صاح بأصحابه : إنَّ العبد الأحمر قاتلي ، فاين أنتم يا بني الحرائر ! اشجروه بالرماح ، فوثبوا اليه فطعنوه حتى سقط»[1].

ثم إنَّ خيل مسلم ورجاله أقبلت نحو عبد الله بن حنظلة الغسيل ورجاله بعده حتى دنوا منه ، وركب مسلم بن عقبة فرسا له ، فأخذ يسير في أهل الشام ويحرّضهم ويقول : يا أهل الشام إنكم لستم بأفضل العرب في أحسابها ولا أنسابها ، ولا أكثرها عددا ، ولا أوسعها بلدا ، ولم يخصصكم الله بالذي خصَّكم به من النصر على عدوكم ، وحسن المنزلة عند أئمتكم ، الّا بطاعتكم واستقامتكم وإنَّ هؤلاء القوم وأشباههم من العرب غيرّوا فغيرّ الله بهم ، فتمُّوا على أحسن ما كنتم عليه من الطاعة، يتمم الله لكم أحسن ما ينيلكم من النصر والفَلج ، ثم جاء حتى انتهى الى مكانه الذي كان فيه ، وأمر الخيل أن تقدم على ابن الغسيل وأصحابه ، فأخذت الخيل إذا أقدمت على الرجال فثاروا في

(١) تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١١- ١٢

وجوههـا بالرمـاح والسـيوف نفـرت واذعـرّت وأحجمـت ، فنـادى فـيهم مسـلم بـن عقبـة : يـا أهـل الشـام ، مـا جعلهـم الله أولى بـالأرض مـنكم ، يـا حُصـين بـن نمـير ، انـزل في جنـدك ، فنـزل في أهـل حمـص فمشـى اليـهم ، فلـمّا رآهم قد أقبلوا يمشون تحت راياتهم نحو ابن الغسيل قام في أصحابه فقال:

يـا هـؤلاء ، إنَّ عـدوكم قـد أصـابوا وجـه القتـال الـذي كـان ينبغـي أن تقـاتلوهم بـه ، وإني قـد ظننـت الّا تلبثـوا الا سـاعة حتـى يفصـل الله بيـنكم وبيـنهم إمّـا لكـم وإمّـا علـيكم . أمـا إنكـم أهـل البصـيرة ودار الهجـرة ، والله مـا أظـن ربّكـم أصـبح عـن أهـل بلـد مـن بلـدان المسلمين بـأرضى منه عـنكم ، ولا عـلى أهـل بلـد مـن بلـدان العـرب بأسـخط منه عـلى هـؤلاء القـوم الـذين يقـاتلونكم . إنَّ لكـل امـرئ مـنكم ميتـة هـو ميـت بهـا والله مـا مـن ميتـة بأفضـل مـن ميتـة الشـهادة ، وقـد سـاقها الله اليـكم فاغتنموهـا فـو الله مـا كـل مـا اردتموهـا وجـدتموها . ثـم مشـى برايتـه غـير بعيـد ، ثـم وقـف وجـاء ابـن نمـير برايتــه حتــى أدناهــا ، وأمــر مســلم بــن عقبــة عبــد الله بــن عضــاه الأشـعري فمشـى في خمسـمائة مـرام حتـى دنـوا مـن ابـن الغسـيل واصـحابه فاخـذوا ينضـحونهم بالنبـل ، فقـال ابـن الغسـيل : عَـلامَ تسـتهدفون لهـم ! مـن أراد التعجـل الى الجنـة فليلـزم هـذه الرايـة ، فقـام اليـه كـل مسـتميت ، فقـال : الغـدوّ الى ربكـم ، فـو الله اني لأرجـوا أن تكونـوا عـن سـاعة قريـري عـين ، فـنهض القـوم بعضـهم الى بعـض فـاقتتلوا أشـدّ قتـال رؤي في ذلـك الزمـان ساعة مـن نهـار ، وأخـذ يقـدّم بنيـه أمامـه واحـدًا واحـدًا حتـى قتلـوا بين يديه ، وابن الغسيل يضرب بسيفه ، ويقول :

بُعدًا لمن رام الفساد وطغى وجانب الحق وآيات الهدى

لا يبعد الرحمن الّا من عصى

فقتل ، وقتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس[١] ، استقدم فقاتل حتى قتل ، وقال: ما أُحبُّ أنَّ الديلم قتلوني مكان هؤلاء القوم ، ثم قاتل حتى قُتل وقُتل معه محمد بن عمرو بن حزم الانصاري[٢] [٣].

وروي: «أنَّ مسلمًا لمّا نزل بأهل المدينة خرج إليه أهلها بجموع كثيرة وهيئة لم يُر مثلها. فلمّا رآهم أهل الشام هابوهم وكرهوا قتالهم ، ومسلم شديد الوجع ، فبينما الناس في قتالهم اذ سمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة ، واقحم عليهم بنو حارثة أهل الشام ، وهم على الجدّ[٤]، فانهزم الناس ، فكان من أُصيب في الخندق أكثر ممن قتل من الناس ، فدخلوا المدينة ، وهزم الناس وعبد الله بن حنظلة مستند الى احد بنيه يغطّ نوما ، فنبهه ابنه ، فلمّا فتح عينيه فرأى ما صنع الناس أَمَر أكبر بنيه ، فتقدَّم حتى قُتل»[٥].

---

(١) محمد بن ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري المدني، صحابي له رؤية وقتل يوم الحرة سنة ثلاث وستين. ينظر: تقريب التهذيب: ٢/ ٦٠.

(٢) محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري أبو عبد الملك المدني له رؤية وليس له سماع إلا من الصحابة قتل يوم الحرة سنة ثلاث وستين. تقريب التهذيب: ٢/ ١١٨.

(٣) ينظر: تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١٢- ١٣ ، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٨-٤٥٩

(٤) الجد بالفتح والجدد : الأرض الصلبة .الصحاح: ٢/ ٤٥٢.

(٥) تاريخ الامم والملوك ٥/ ١٧ ، الكامل في التاريخ ٣/ ٤٥٩-٤٦٠ ، البداية والنهاية ٨/ ٢٤٩ سير اعلام النبلاء: ٣/ ٤٩٣ ، العقد الفريد: ٤/ ٣٨٩ ، تاريخ الاسلام : ٥/ ٢٦.

فلم يزل يقدم واحدًا واحدًا حتى أتى على آخرهم ، ثم كَسر غمد سيفه ، وقاتل حتى قُتل . ودخل مسلم بن عقبة المدينة وتغلَّب على أهلها[١] .

وفي نص آخر جاء فيه : « وصبّح القوم المدينة ، فقاتل أهل المدينة قتالا شديدا ، حتى كثرهم أهل الشام ، ودخلت المدينة من النواحي كلها ، فلبس عبد الله بن حنظلة يومئذ درعين وجعل يحضُّ أصحابه على القتال ، فجعلوا يقاتلون . وقُتل الناس فما ترى الّا راية عبد الله بن حنظلة ممسكًا بها مع عصابة من أصحابه ، وحانت الظهر فقال لمولى له : احم لي ظهري حتى أُصلّي الظهر أربعا متمكنا ، فلمّا قضى صلاته قال له مولاه : والله يا أبا عبد الرحمن ما بقي أحد فعلامَ نُقيم ؟ ولواؤه قائم ما حوله خمسة . فقال : ويحك إنـَّما خرجنا على أن نموت ، ثم انصرف من الصلاة وبه جراحات كثيرة ، فتقلَّد السيف ونزع الدرع، ولبس ساعدين من ديباج ، ثم حثَّ الناس على القتال ، وأهل المدينة كالأنعام الشُّرَّد وأهل الشام يقتلونهم في كل وجه. فلمّا هُزم الناس طَرَح الدرع وما عليه من سلاح، وجعل يقاتلهم وهو حاسر حتى قتلوه، ضَربه رجل من أهل الشام ضربَة بالسيف فقطع منكبيه حتى بدا سحره ووقع ميتًا»[٢].

«ولمّا قُتل عبد الله بن حنظلة لم يكن للناس مقام ، فانكشفوا في كل وجه ، وكان الذي وَلي قتل عبد الله بن حنظلة رجلان شرعا فيه جميعا ، وحزّا رأسه وانطلق به أحدهما الى مسرف وهو يقول: رأس أمير القوم ،

---

(١) ينظر: العقد الفريد: ٤/ ٣٨٩.

(٢) الطبقات الكبرى: ٧/ ٧٠-٧١ ، تاريخ الاسلام : ٥/ ٢٧ ، تهذيب تاريخ دمشق: ٧/ ٣٧٦.

فأومأ مسرف بالسجود وهو على دابته، وقال: من أنت؟ قال: رجل من بني فزارة، قال: ما اسمك، قال: مالك، قال: فأنت وليت قتله وحز رأسه؟ قال: نعم. وجاء الآخر رجل من السكون من أهل حمص يقال له: سعد بن الجون، فقال: أصلح الله الأمير! نحن شرعنا فيه رمحينا فأنفذناه بهما، ثم ضربناه بسيفينا حتى تثلّما مما يلتقيان.

قال الفزاري: باطل، قال السكوني فأحلفه بالطلاق والحرية، فأبى أن يحلف، وحَلف السكوني على ما قال: فقال مسرف: أمير المؤمنين يحكم في أمركما. فأبرَدَهما[1]، فقدما على يزيد بقتل أهل الحرَّة وبقتل ابن حنظلة، فأجازهما بجوائز عظيمة، وجعلهما في شرف من الديوان، ثم ردَّهما الى الحصين بن نمير فقُتلا في حصار ابن الزبير»[2].

وروي أنَّ مسلم بن عقبة كان يقول يوم الحرَّة، وهو يقاتل ابن حنظلة الغسيل وأهل المدينة وقد جلس على كرسيّ يحمله الرجال:

أحيا أباه هاشم بن حرملة ... يوم الهباتين ويوم اليعمله

كلُّ الملوك عنده مغربله ... ورمحه للوالدات مثكله

لا يلبث القتيل حتى يجدله ... يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له[3]

وممن قتل من الصحابة يوم الحرَّة أيضا محمد بن عمرو بن حزم

---

(١) أي حملهما على البريد.

(٢) الطبقات الكبرى: ٥/ ٦٨، تاريخ مدينة دمشق: ٢٧/ ٤٣١.

(٣) ينظر: تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١٣.

الخزرجي الانصاري، وكانت الخزرج قد ولتَّه أمرها يوم الحرة[1]. وكان أحد رؤوس جيش المدينة أميرًا مقدما وكان يقول يومئذ رافعا صوته : «يا معشر الأنصار اصدقوهم الضرب فانهم قوم يقاتلون على طمع الدنيا وأنتم قوم تقاتلون على الآخرة، وكان يحمل على الكتيبة منهم فيفضَّها حتى قتل، وروي أنه صلى يوم الحرَّة وإنَّ جراحه لتثعب دما وما قتل الّا نظمًا بالرماح»[2].

وفي خبر: «أنه كان يحمل على الكردوس منهم فيفضَّ جماعتهم وكان فارسا. قال : فقال قائل من أهل الشام : قد أحرَقَنا هذا ونحن نخشى أن ينجو على فرسه فاحملوا عليه حملة واحدة فانه لا يفلت من بعضكم فانا نرى رجلا ذا بصيرة وشجاعة. قال فحملوا عليه حتى نظموه في الرماح فلقد مال ميتًا ورجل من أهل الشام كان اعتنقه حتى وقعا جميعًا. فلمّا قتل محمد بن عمرو انهزم الناس في كل وجه حتى دخلوا المدينة، فجالت خيلهم فيها ينتهبون ويقتلون»[3] .

وروى عبد الله بن أبي سفيان ، وهو ممن شهد المعركة فقال:

«وقعت مع قوم عند مسجد بني عبد الاشهل ، منهم عبد الله بن زيد[4]

(١) ينظر: التاريخ الكبير للبخاري: ١/ ق١/ ١٨٩.

(٢) الطبقات الكبرى: ٧/ ٧٣.

(٣) الطبقات الكبرى: ٧/ ٧٣.

(٤) عبد الله بن زيد بن عاصم بن كعب الأنصاري المازني أبو محمد صحابي شهير روى صفة الوضوء وغير ذلك ويقال إنه هو الذي قتل مسيلمة الكذاب واستشهد بالحرة سنة ثلاث وستين .تقريب التهذيب: ١/ ٤٩٤.

صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقاتل مسيلمة الكذاب، ومعه عبد الله بن حنظلة، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص[1]، وإبراهيم بن فارط[2]، وإبراهيم بن نعيم ابن النجار، فهم يقاتلون ويقولون للناس: أين الفرار؟ والله لئن يقتل الرجل مُقبلا خير له من أن يُقتل مدبرا. قال: فاقتتلوا ساعة، والنساء والصبيان يصيحون ويبكون على قتلاهم، حتى جاءهم ما لا طاقة لهم به، وجعل مسلم يقول: من جاء برأس رجل فله كذا وكذا، وجعل يُغري قومًا لا دين لهم فقتلوا وظهروا على أكثر المدينة. قال: وكان على بَشَر[3] ابن حنظلة يومئذ درعان، فلمّا هزم القوم طرحهما. ثم جعل يقاتلهم وهو حاسر حتى قتلوه، ضربه رجل من أهل الشام ضربة بالسيف قطع منكبه، فوقع ميتا .فلمّا مات ابن حنظلة صار اهل المدينة كالنعم بلا راع، شرود يقتلهم أهل الشام من كل وجه، فأقبل محمد بن عمرو بن حزم الانصاري، وإنَّ جراحه لتنفث دما، وهو يقاتل ويحمل على الكردوس منهم فيفضّ جماعتهم، وكان فارسا، فحمل عليه أهل الشام حملة واحدة حتى نظموه بالرماح، فمال ميتا. فلمّا قُتل انهزم من بقي من الناس في كل وجه، ودخل القوم المدينة، فجالت خيولهم فيها

---

(١) محمد بن سعد بن أبي وقاص بن عبد مناف بن زهرة تحول إلى الكوفة فنزلها وخرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فشهد دير الجماجم ثم أتي به الحجاج بعد ذلك فقتله. الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٢١

(٢) لم أقف له على ترجمة.

(٣) أي جسده.

يقتلون وينهبون»[١]. وسيأتي في صفة قتله غير هذا، مما سيرد تفصيله لاحقا فتنبَّه .

«وخرج يومئذ عبد الله بن زيد بن عاصم[٢] صاحب رسول الله(صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه) والخيل تسرع في كل وجه قتلا ونهبا : فقيل له: لو علم القوم باسمك وصحبتك لم يهيجوك فلو اعلمتهم بمكانك ؟ فقال : والله لا اقبل لهم امانا ، ولا أبرح حتى أقتل ، لا أفلحَ من ندم ، وكان رجلا أبيض طويلا أصلع ، فاقبل عليه رجل من أهل الشام وهو يقول : والله لا أبرح حتى اضرب صلعته وهو حاسر. فقال عبد الله : شر لك خير لي ، فضربه بفاس في يده ، فرأيت نورا ساطعا في السماء ، فسقط ميتا ، وكان يومه ذلك صائما ، رحمه الله»[٣] .

وممن قُتل أيضا إبراهيم بن نعيم بن عبد الله بن النحام من بني عدي بن كعب[٤] ، وكان أحد الرؤوس يوم الحرَّة[٥].

وقُتل أيضا يعقوب بن طلحة ابن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي[٦]،

(١) الامامة والسياسة: ١/ ١٨١ .

(٢) مرَّت ترجمته سلفا.

(٣) الامامة والسياسة: ١/ ١٨١-١٨٢ .

(٤) ينظر: تاريخ خليفه بن خياط: ١٥١ .

(٥) ينظر: الطبقات الكبرى ٧/ ١٦٩ .

(٦) يعقوب بن طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي ، من بني سعد بن تيم بن مرة ، من قريش : عدَّه بعضهم من أجواد الاسلام ، كان من سكان المدينة، وقتل يوم الحرَّة صبرًا. ينظر: الأعلام: ٨/ ١٩٩ .

وكان سخيا جوادا ، وجاء بمقتله ومصاب أهل الحرَّة الى الكوفة الكروّس ابن زيد الطائي ، ففي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الاسدي :-

لعمري لقد جاء الكروَّس كاظما ... على خبر للمسلمين وجيع

يخبِّر أن لم يبق الا أرامل ... والاّ دم قد سال كلَّ مريع

قرومٌ تلاقت من قريش فانهلت ... باصهب من ماء السمام نقيع

فكم حول سلع من عجوز مصابه ... وابيض فيّاض اليدين صريع

طلوع ثنايا المجد سام بطرفه ... قبيل تلاقيهم اشمَّ منيع

وذي سنَّة لم يبق للشمس قبلها ... وذي ضغوة غضُّ العظام رضيع

شباب كيعقوب بن طلحة اقفرت ... منازله من رومة فبقيع

فو الله ما هذا بعيش فيشتهى ... هنئ ولا موت يريح سريع[1]

«وخرج محمد بن سعد بن أبي وقاص يومئذ يقاتل ، فلمّا انهزم الناس مال عليهم يضربهم بسيفه حتى غلبته الهزيمة ، فذهب فيمن ذهب من الناس»[2].

وهرب المنذر بن الزبير ولحق بمكة وبقي مع أخيه عبد الله بن الزبير حتى قتل في حصار الحصين بن نمير السكوني[3] ، وهو حصار ابن الزبير الاول .

وهرب ايضا عبد الله بن مطيع وهو كما أسلفنا أحد قادة جيش المدينة

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى: ٧/ ١٦٤.

(٢) تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١٣ ، أنساب الاشراف: ٤/ ٣٧.

(٣) ينظر: أنساب الاشراف: ٥/ ٣٢٠، ٣٥٠.

حتى لحق بمكة ، فكان بها حتى قُتل مع عبد الله بن الزبير في حصاره الثاني أمام الحجاج الثقفي ، وجعل يقاتل اهل الشام آنذاك وهو يقول :

انا الذي فررت يوم الحرَّة والشيخ لا يفرُّ الا مرَّة

فاليوم أجزي كرَّة بفرة لا بأس بالكرَّة بعد الفرّة [1]

ويروى أنه: «دخل بيت إمرأة يوم الحرَّة، فاختفى في رفّ ، فدخل عليها رجل من أهل الشام من المقاتلة فراودها عن نفسها فاستغاثت به فنزل فقتله ، فقالت له : بأبي أنت وأمي ، من أنت ؟ قال : لولا الرَّف لأخبرتك» [2].

وقيل له : «كيف نجوتَ يوم الحرَّة؟ قال : رأيت ما رأيت من غلبة أهل الشام ، وصُنْع بني حارثة الذي صنعوا من ادخالهم علينا وولىّ الناس ، فذكرت قول الحارث بن هشام يوم بدر ، وعلمت أنه لا يضر عدّوي مشهدي ، ولا ينفع وليِّ ، فتواريت ، ثم لحقت بابن الزبير ، وكنت أعجب كل العجب ، أنَّ ابن الزبير لم يصلوا اليه ستة أشهر ، ولم يكن معه الا نفرٌ يسير ، قومٌ من قريش من الخوارج ، وكان معنا يوم الحرَّة ألفا رجل كلهم ذوو حفاظ فما استطعنا أن نحبسهم يوما الى اخر الليل .الخ» [3].

وقد تعرّضنا لترجمة عبد الله بن مطيع العدوي، وذكر بعض أحواله في فصل سابق فراجع .

(١) أنساب الأشراف: ١٠/ ٤٨١، الاستيعاب: ٣/ ٩٩٥، نهاية الأرب: ٣/ ٣٥٢.

(٢) التحفة اللطيفة: ٢/ ٤٢١.

(٣) الامامة والسياسة: ١/ ١٨٨.

ثـم إنَّ مسـلم (مسـرف) بـن عقبـة جعـل يطـوف عـلى فـرس لـه ومعـه مـروان بـن الحكـم عـلى القـتلى[١] ، فمـر عـلى عبـد الله بـن حنظلـة ، وهـو مـاد إصبعه السبابة . فقـال مـروان : أمـا والله لـئن نصبتها ميتـا فطالّما نصبتها حيـا ،داعيـا الى الله[٢] ، فقـالله رجـل مـن أهـل الشـام : لـئن كـان هـؤلاء كـما تقـول مـا دعوتمونا الا لنقتل أهل الجنة ، فقال مروان : لانهم خالفوا ونكثوا [٣] .

«ومـرَّ عـلى إبـراهيم بـن نعـيم، ويـده عـلى فرْجـه ، فقـال : أمـا والله لـئن حفظتـه في المـمات لقـد حفظتـه في الحيـاة ، فقـال لـه مسـرف : والله مـا أرى هـؤلاء الا أهـل الجنـة ، لا يسـمع هـذا منـك أهـل الشـام فيكـر كـرهم[٤] عـن الطاعة ، فقال له مروان : إنهم بدَّلوا وغيَّروا »[٥] .

«ومـرَّ عـلى محمـد بـن عمـرو بـن حـزم وهـو عـلى وجهـه واضـعًا جبهتـه بـالأرض ، فقـال : أمـا والله لـئن كنـت عـلى وجهـك في المـمات لطالمـا افترشـته حيـا سـاجدا لله . فقـال مسـلم والله مـا أرى هـؤلاء الا أهـل الجنـة لا يسـمع هـذا منـك أهـل الشـام فتكركـرهم عـن الطاعـة ، قـال مـروان :إنهـم بـدَّلوا وغيَّروا»[٦] .

---

(١) لا يخفى أنَّ غايته في ذلك الاستعانة بمروان بن الحكم لمعرفة اسمائهم وتمييز اجسادهم للتمثيل بها وحز رؤوسهم ثم بعثها الى يزيد بن معاوية.

(٢) ينظر: الامامة والسياسة: ١/ ١٨٢ ، الطبقات الكبرى: ٧/ ٧١.

(٣) ينظر: تهذيب تاريخ دمشق: ٧/ ٣٧٦.

(٤) كَرْكَرَه عن الشيء : دَفَعَه ورَدَّه وحَبَسه. لسان العرب: ٥/ ١٣٧ .

(٥) الطبقات الكبرى: ٧/ ١٦٩ .

(٦) الطبقات الكبرى: ٧/ ٧٣-٧٤.

«ومرَّ على عبد الله بن زيد وبين عينيه أثر السجود ، فلمّا نظر اليه مروان عرفه ، وكره أن يعرِّفه لمسلم فيحزّ رأسه. فقال له مسلم : من هذا !؟ فقال بعض هذه الموالي وجاوَزَه، فقال له مسلم : كلا وبيت الله لقد نكبت عنه لشيء. فقال له مروان : هذا صاحب رسول الله(صلى الله عليه وآله) عبد الله بن زيد. فقال : ذاك أخزى ناكث بيعته، حزَّ رأسه [1].

ولا خلاف في أنَّ الاخبار المتقدمة قد أجهرت بوحشية مسرف (مسلم) وشدَّة بغيه، وتماديه في سفك دماء المسلمين والتنكيل بهم ، لا لشيء سوى التزلف لمقام سيده الآبق .

وتصفية كل من يناوئه أو يرفض جبروته وهو ما قد عُرف به أمراء بني أمية وعمالهم طيلة زمان دولتهم (غير معاوية الثاني، وعمر بن عبد العزيز)، ثم في الخبر ما يفضح غدر مروان ودلائل ختره .وتشِّفيه بالقتلى من صحابة رسول الله(صلى الله عليه وآله) وتابعيهم ، حين يتسبب أولا بقتلهم ، ثم يعمد بمكره ولؤمه الى الكشف عن شخوصهم، ومواقفهم أمام المجرم المسرف ابن عُقبة متَّهما إياهم بالخلاف والشقاق وحاضًّا ذلك السفاح على سلبهم وحز رؤوسهم، ليختم بذلك فصلا آخر من فصول خبثه وإجرامه ويفصح مرة أخرى عن مكنون ضغائنه وأحقاده .

وقد أباح مسرف (مسلم) المدينة ثلاثا، يقتلون الناس ويأخذون الاموال، فأفزَع ذلك من كان بها من الصحابة ، فخرج أبو سعيد الخدري

(١) الامامة والسياسة: ١/ ١٨٢

حتى دخل في كهف في الجبل ، فبصُرَ به رجل من أهل الشام ، فجاء حتى اقتحم عليه الغار[١]وعنه أنه قال : « دخل اليّ الشامي يمشي بسيفه، قال : فانتضيتُ سيفي فمشيت إليه لأُرعبه لعله ينصرف عني ، فأبى الّا الاقدام عليَّ ، فلمّا رأيت أَنْ قد جَدَّ شمت سيفي[٢]، ثم قلت له : ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣]،فقال لي :من أنت لله أبوك !فقلت :أنا أبو سعيد الخدري، قال: صاحب رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؟ قلت : نعم، فانصرف عني[٤].

وفي خبر : «أنَّ أبا سعيد الخدري دخل يوم الحرَّة غارًا، فدخل عليه رجل ثم خرج ، فقال لرجل من أهل الشام : أدلُّك على رجل تقتله : فلمّا انتهى الشامي الى باب الغار وقال لأبي سعيد، وفي عنق أبي سعيد السيف، :أُخرج اليّ . قال: لا، وإن تدخل عليَّ أقتلك، فدخل الشامي، فوضع أبو سعيد السيف، وقال: بوء بإثمي وإثمك، وكن من أصحاب النار، وذلك جزاء الظالمين، فقال : أبو سعيد الخدري ،أنت ؟،قال: نعم، قال: فاستغفر لي قال: غفر الله لك»[٥].

---

(١) ينظر: تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١٣ ، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٩ ، البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٨ الفخري في الآداب السلطانية : ١١٦.

(٢) شمت السيف إذا سَللته، وشمت السيف إذا قربته. ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/ ٢٣٦

(٣) المائدة: ٢٨.

(٤) تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ١٣ ، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٥٩ ، البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٨، الفخري في الآداب السلطانية :١١٦.

(٥) تاريخ خليفة بن خياط: ١٤٩.

أقول: والراجح عندي تعرُّضه ﵁ عدة مرات لعبث أهل الشام واستخفافهم، وليس لمرة واحدة، ويؤيد ما ذهبنا اليه ما جاء عن أبي هارون العبدي، الذي روى قائلا: «رأيت أبا سعيد الخدري ، ولحيته بيضاء ، وقد خفّ جانباها وبقي وسطها ، فقلت : يا أبا سعيد ، ما حال لحيتك ؟، فقال: هذا فعل ظلمة أهل الشام يوم الحرَّة، دخلوا عليَّ بيتي ، فانتهبوا ما فيه حتى أخذوا قدحي الذي كنت أشرب فيه المّاء ، ثم خرجوا ودخل عليّ بعدهم عشرة نفر ، وأنا قائم أصلي ، فطلبوا البيت ، فلم يجدوا فيه شيئا ، فأسفوا لذلك فاحتملوني من مُصلّاي ، وضربوا بي الأرض واقبل كل رجل منهم على ما يليه من لحيتي ، فنتفه ، فما ترى منها خفيفا فهو موضع النتف، وما تراه عافيًا فهو ما وقع في التراب ، فلم يصلوا اليها وسأدعها كما ترى حتى أوافي بها ربي»[1].

«وكان جابر بن عبد الله يومئذ قد ذهب بصره ، فجعل يمشي في بعض أزقة المدينة ، وهو يقول : تَعِس من أَخاف الله ورسوله . فقال له رجل : ومن أخاف الله ورسوله ؟ فقال : سمعت رسول الله(ﷺ) يقول : من أخافَ المدينة فقد أخاف ما بين جَنبيّ ، فحمل عليه رجل بالسيف ليقتله، فترامى عليه مروان فأجاره ، وأمر أن يدخله منزله ، ويغلق عليه بابه»[2].

وفي خبر عن محمد وعبد الرحمن ابني جابر بن عبد الله، أنهما قالا:

---

(١) الاخبار الطوال: ٢٦٨- ٢٦٩ ، سير اعلام النبلاء: ٣/ ٤٩٣ ، تاريخ الاسلام: ٥/ ٢٧-٢٨

(٢) الامامة والسياسة: ١/ ١٨٣

«خرجنا مع أبينا يوم الحرَّة وقد كفَّ بصره، فقال: تَعِس من أَخافَ رسول الله(صلى الله عليه وآله) ، فقلنا : يا أبه وهل أحد يخيف رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ فقال : سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله)، يقول: (من أخاف أهل هذا الحي من الأنصار فقد أخاف ما بين هذين .. ووضع يده علي جبينه) »[1].

«واستباح أهل الشام المدينة ثلاثة أيام بلياليها، فلمّا كان اليوم الرابع جلس مسلم بن عقبة ، فدعاهم الى البيعة ، فكان أول من أتاه يزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود[2] ، وجدَّته أم سلمة زوج النبي(صلى الله عليه وآله). فقال له مسلم : بايِعْني، قال : أُبايعك على كتاب الله وسنَّة نبيه(صلى الله عليه وآله) ، فقال مسلم : بل بايع على إنكم فيئ لأمير المؤمنين[3] يفعل في أموالكم وذراريكم ما يشاء ، فأبى أن يبايع على ذلك فأمر به فضربت عنقه. ثم تقدم محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوي[4] ، فقال له مسلم : أنت

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٥١.

(٢) يزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود ، وأمه زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ، وجدته أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، شهد يوم الحرة فأخذ وأتي به مسلم بن عقبة ، فدعاه إلى أن يبايع ليزيد على أنه عبد قن فأبى وقال : أبايعه على كتاب الله وسنة نبيّه ، وعلى أني ابن عمه ، فقدمه فضرب عنقه. أنساب الأشراف: ٩/ ٤٥٨.

(٣) أجمع المؤرخون على أنَّ مسرف بن عقبة دعا أهل المدينة لهذه البيعة وعلى إنهم خول (عبيد) ليزيد بن معاوية ومن أبى ضربت عنقه ، وذلك من أعجب الاعاجيب ينظر تاريخ خليفة بن خياط: ١٤٩ ، الإشراف والتنبيه:٢٦٤ ، تاريخ الطبري: ٥/ ١٥ ، شرح نهج البلاغة: ٤/ ٦٤٢ تاريخ ابن الوردي: ١/ ٢٣٣ وغيرها كثير.

(٤) محمد بن أبي الجهم بن حذيفة بن غانم العدوي القرشي، كان أحد الرؤوس يوم الحرَّة وقتل يومئذ في ذي الحجة سنة ثلاث وستين. ينظر: الطبقات الكبرى: ٥/ ١٧١.

الـذي وفـدت عـلى أمـير المـؤمنين ، فأكرَمـك وحَبـاك ، فرجعـت الى المدينـة تشـهد عليـه بشـرب الخمـر ، والله لا تشـهد بشـهادة زور ابـدًا ، اضربـوا عنقـه ، فضربت عنقه»[1].

وقيـل أنَّ مـروان قـال لمسـلم بـن عقبـة لمّـا أمـر بهـما فضُـربت أعنـاقهما: «سـبحان الله ! أتقتـل رجلـين مـن قـريش أتيـا ليُؤمِّنـا فضَـرَبت أعنـاقهما ! فـنخس بالقضـيب في خاصرتـه ثـم قـال: وانـت والله لـو قلـت بمقـالتهما مـا رأيت السماء الا برقة»[2] .

«ثـم تقـدم معقـل بـن سـنان الاشـجعي ، وكـان حليفـا لبنـي هاشـم[3] ، فقـال لـه مسـلم : أتـذكر يومـا مـررت بي بطبريـة ، فقلـت لـك ، مـن أيـن اقبلـت ؟ فقلـت : سرنـا شـهرا ، وأنضـينا ظهـرا ، ورجعنـا صـفرا ، وسـنأتي المدينـة فنخلـع الفاسـق يزيـد بـن معاويـة ، ونبـايع رجـلا مـن أولاد المهـاجرين ؟ فـاعلم أني كنـت آليـتُ ذلـك اليـوم الا أقـدر عليـك في مـوطن يمكننـي فيـه قتلـك الا قتلتـك ، وقـد أمكننـي الله منـك يـا أحمـق ، مـا أشـجَعْ والخلافـة ، فتعزل وتولِّي ، اضربوا عنقه»[4].

وجـاء في قـتلهم أيضـا : «أنَّ مسـلم بـن عقبـة لمّـا فـرغ مـن القتـال : انتقـل

---

(١) الأخبار الطوال: ٢٦٥-٢٦٦.

(٢) تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١٤.

(٣) لم نعثر على من ذكر ذلك في حقِّ معقل بن سنان الأشجعي، ممن تـرجم لـه غـير الـدينوري هـذا، والظاهر اشتباهه بمعقل بن قيس الرياحي، صاحب أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، فتأمل.

(٤) الاخبار الطوال: ٢٦٦.

من منزله ذلك الى قصر بني عامر بدومة، فدعا أهل المدينة من بقي منهم للبيعة»[١]، «فكان أول من بايع مروان بن الحكم ثم أكابر بني أمية ، حتى أتى على آخرهم ، ثم دعا بني أسد[٢] وكان عليهم حنقا»[٣]. ، «وجاء عمرو بن عثمان بن عفان بيزيد بن عبد الله بن زمعة ، وجدته أم سلمه زوج النبي (صلى الله عليه وآله) ، وكان عمرو قال لام سلمة : أرسلي معي ابن ابنتك ، فجاء به الى مسلم ، فلمّا تقدم يزيد قال له مسلم : تبايع لعبد الله يزيد أمير المؤمنين على أنكم خول له ، مما أفاء الله عليه بأسياف المسلمين إنْ شاء وهب ، وإن شاء اعتق ، وإن شاء استرق. فقال يزيد : لإنّا أقرب الى أمير المؤمنين منك . قال: والله لا تستقبلها أبدا . فقال عمرو بن عثمان : أنشدك الله ، فاني أخذته من أم سلمة[٤]، بعهده وميثاقه ، ان أرَّده اليها . قال : فركضه برجله ، فرماه من فوق السرير فقتل يزيد بن عبد الله ، ثم اتي محمد بن أبي جهم مغلولا . فقال له مسلم: أنت القائل، اقتلوا سبعة عشر رجلا من بني أمية لا تروا شرًا أبدا . قال : قد قلتها ولكن لا يسمع لقصير أمر ، فأرسل يدي ، وقد برئت مني الذمة ، إنما نزلت بعهد الله وميثاقه. قال: لا ، والله حتى أقدمّك الى النار ، قال : فضرب عنقه.

---

(١) الامامة والسياسة: ٢/ ٨-٩.

(٢) هم بني أسد بن عبد العزى بن قصي وليس بنو أسد بن خزيمة ينظر . تاريخ خليفة بن خياط، (تسمية من قتل يوم الحرَّة):١٥٠.

(٣) الامامة والسياسة: ١/ ١٨٣.

(٤) أقول : ظاهر الخبر يشير الى بقاء أم المؤمنين أم سلمة(رضي الله عنه)الى أيام الحرَّة وليس كما ذكره بعضهم من أنها توفيت سنة ٦٠(او ٦١هـ) فلاحظ.

ثم جاء معقل بن سنان الاشجعي ، وكان جالسا في بيته ، فاتاه مئة رجل من قومه ، فقالوا له : اذهب بنا الى الامير حتى نبايعه فقال لهم : إني قد قلت له قولًا ، وأنا أتخوف ، فقالوا لا ، والله لا يصل اليك أبدًا ، فلمّا بلغوا الباب أدخلوا معقلا ، وحبسوا الاخرين ، وأغلقوا الباب ، فلمّا نظر اليه مسلم بن عقبة قال : أني أرى شيخا قد تعب وعطش ، اسقوه من البلح الذي زودَّني به أمير المؤمنين ، قال : فخاضوا له بَلَحًا بعسل فشربه . قال له : أشربت ؟ قال : نعم ، قال : والله لا تبولها من مثانتك أبدا ، انت القائل : اركب فيلا أو فيلة وتكون أبا يكسوم[1] . فقال معقل : أما والله لقد تخوفت ذلك منك ، وانما غلبتني عشيرتي . قال : فجعل يفري جبة كانت عليه وقال : أكره أن يلبسوها ، فضرب عنقه»[2].

ويقول ابن أعثم: «وقال له بعد أن أمر له بقدح من سويق الكوز مكتوف بالقند، فجرعوه بالماء ثم ناولوه إياه ، فقال له مسلم بن عقبة : اشرب أبا محمد ! فعزيز عليَّ ما نالك من العطش . فلمّا شرب قال له مسلم بن عقبة : أتذكر اذ أنا وأنت بالطبرية، وأمير المؤمنين يزيد إذ ذاك في دعوة فلان ابن فلان ، فالتفتَّ إليَّ وقلت : الى كم هذا الذل والهوان الذي نحن فيه من الله ! لئن أخَّرَ الله لي في الأجل لأبايعنَّ رجلاً من ابناء

(١) أبو يكسوم ، كنية أبرهة الحبشي الذي قدم مكة على الفيل لهدم الكعبة المشرفة، فأرسل الله عليه وعلى جيشه طيرا من البحر أمثال الخطاطيف يحمل كل منها ثلاثة أحجار ، فكانت لا تصيب أحدا منهم إلا أهلكته فانهزموا أي هزيمة، وقصتهم في سورة الفيل. ينظر: سيرة ابن هشام: ١ / ٣٩.

(٢) الإمامة والسياسة: ٢/ ٨.

المهاجرين ! أما انك وفيت بما قلت فبايعت لعبد الله بن الزبير ، وهو لعمري رجل من أبناء المهاجرين الاولين ، اتعرف هذا الحديث ؟ فقال : نعم ، اعرفه ، فقال : اذ عرفته فاضرب يا غلام عنقه ! فقال : أنا ابن عمك ، أنا رجل من أشجع وأنت من بني مُرَّة ويجمعني وإياك قيس عيلان ، فقال مسلم بن عقبة : ولذلك أقتلك لأنك ابن عمي ، ثم قدَّمهُ فضرب عنقه . فقال في ذلك بعض أهل مكة :

رمانا يزيد بابن عقبه مسلم ... فلا سلمت حدثا من الحدثان

يقود الى اهل المدينة جحفلاً ... له لُجب كالبحر في الجريان

يقتِّل سكان المدينة عنوةً ... وقد اصبحوا صرعى بكل مكان

واصبحت الانصار تبكي سراتها ... واشجع تبكي معقل بن سنان

قال : ثم قُدِّم اليه عمرو بن أسد بن خزيمة بن اسد ، فلـمّا وقف بين يديه قال ابن عقبة ما اكثر قبائل قريش ! من انت من قريش ؟ قال : انا رجل من بني اسد بن عبد العزى بن قصي ولي حرمة بأمير المؤمنين يزيد ، قال : ومن اجل ذلك خرجت عليه وبايعت عبد الله بن الزبير ؟ فقال مروان بن الحكم : هذا نديم امير المؤمنين وجليسه ، فقال ابن عقبه : من ههنا أوجئُوا في عنقه ! فلم يزل القوم يحاولون في عنق مروان حتى سقط ، فقال عبد الملك بن مروان : أيها الامير ! حسبك فقد أبلغت من الشيخ ! فقال مسلم بن عقبه : يا عبد الملك أنت عندي ارجى من مروان وابعد منه همةً ، يراني وقد قتلت ابن عمي معقل بن سنان فيقول : هذا نديم

امير المؤمنين وجليسه»[١] :-

«وأُتِيَ له بعبد الرحمن بن سمره بن جندب ، فقال له مسلم : من الرجل ؟ قال : رجل من بني امية ، فقال : بايع يزيد على انك عبده ، فقال : ما كنت قط الّا حُرًّا فكيف أكون عبداً ليزيد وأنا معه في عبد شمس ، فقال : اضربوا عنقه ! فجرَّدوه بين يديه فضربوا عنقه»[٢] .

وأُتي بزيد بن وهب بن زمعة ، فقال بايع ، قال : أبايعك على سُنَّة عمر ، قال : اقتلوه ، قال : أنا ابايع ، قال : لا والله لا أقيلك عثرتك، فكلَّمه مروان بن الحكم - لصهر كان بينهما - فأمر بمروان فوجئت عنقه ، ثم قال : بايعوا على إنكم خول ليزيد بن معاوية ثم أمر به فقتل[٣].

وجاءوا بسعيد بن المسيب الى مسلم ، فقالوا :بايع ، فقال : أبايع على سيرة أبي بكر وعمر ، فأمر بضرب عنقه ، فشهد له رجل إنه مجنون فخلا عنه .[٤]

وذكروا أن عمرو بن عثمان بن عفان لم يكن فيمن خرج من بني أمية ، وإنه أُتي به يومئذ الى مسلم بن عقبة ، فقال : يا أهل الشام ، تعرفون هذا ؟ فقالوا : لا ، قال : هذا الخبيث ابن الطيب ، هذا عمرو بن عثمان بن

---

(١) الفتوح: ٥/ ١٦١ -١٦٢.

(٢) الفتوح: ٥/ ١٦٠-١٦١.

(٣) ينظر: تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١٥.

(٤) المنتظم: ٦/ ١٦، البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٨.

عفان أمير المؤمنين ، هيهٍ يا عمرو ! اذا ظهر أهل المدينة قلت أنا رجل منكم ، وإن ظهر أهل الشام قلت : أنا ابن امير المؤمنين عثمان بن عفان ، فأمر به فنُتِفَت لحيته ، ثم قال : يا أهل الشام ، إنَّ أمَّ هذا كانت تدخل الجعل في فيها، ثم تقول : يا أمير المؤمنين حاجيتك ما في فمي ؟ وفي فمها ما ساءها وناءها ، فخلا سبيله ، وكانت أمه من دَوَس[1][2].

والظاهر إنَّ استخفاف مسرف وتنكيله بعمرو بن عثمان هذا، جاء بعد ان أتاه مشفِّعا ليزيد بن عبد الله بن زمعة (ظنًّا منه قبول شفاعته فيه) وكما مر ذكره آنفا ، الّا أنَّ ذلك لم يكن لينفعه أو ينفع من تشفَّع له، لما كان عليه مسرف الجزار من الهمجية، والاصرار على سفك دماء المسلمين، وقطف رؤوسهم دون أدنى مراعاة لحرمة الدين أو حرمة دمائهم .

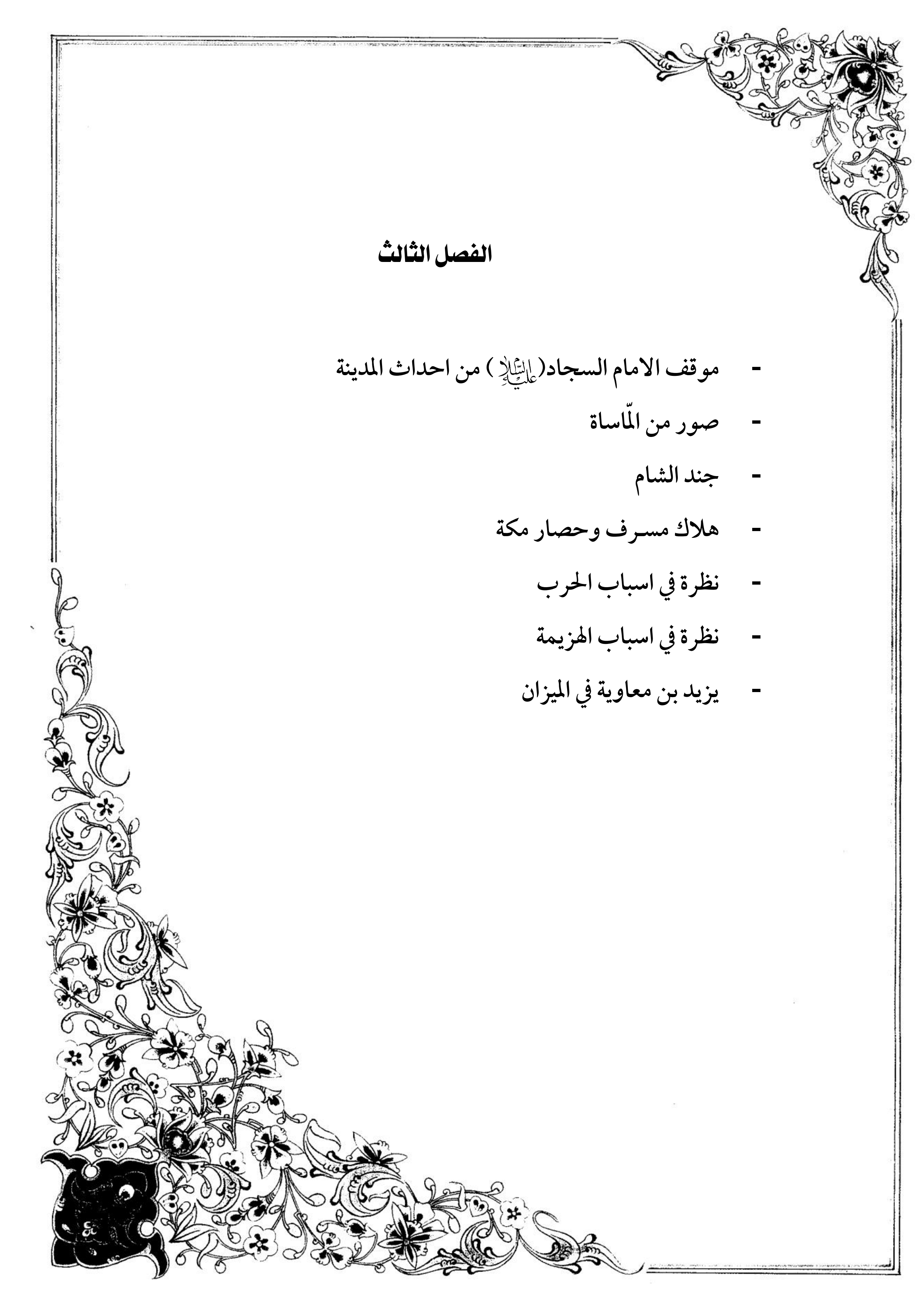
ثم في الاخبار السابقة ما يكشف لنا ولا غرو عن سمك عنق مروان بن الحكم، وغُلظ رقبته التي أشبعها مسرف بن عقبة غمزًا، وضربًا، لا لشيء سوى حضوره ذلك المجلس المشؤوم وتباكيه على من يقتلهم صبرًا بين يديه ، وفيهم بقية الصحابة من مهاجرين وأنصار ، ولا أعرف كيف كان يتباكى عليهم، ويدافع عنهم ، وهو من شَرِك في دمائهم، واستحلَّ حُرماتهم، وكان سببًا مباشرًا في قتلهم والايقاع بهم، فهل قصد

---

(١) دوس : قبيلة من اليمن من الأزد . الصحاح: ٣/ ٩٣١.

(٢) ينظر: تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١٥-١٦، الاخبار الطوال:٢٦٦، البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٧ - ٢٤٨ ، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٦١ باختلاف يسير.

حقاً الاعتذار اليهم، ومحاولة التكفير عن جرائمه بحقهم، أم هو النفاق الذي استمكن قلبه، وسكن نفسه فأَظهَر التألم وأخفى التشفي .



الفصل الثالث

- موقف الامام السجاد(عليه السلام) من احداث المدينة
- صور من المّاساة
- جند الشام
- هلاك مسرف وحصار مكة
- نظرة في اسباب الحرب
- نظرة في اسباب الهزيمة
- يزيد بن معاوية في الميزان

موقف الامام السجاد(عليه السلام) من أحداث المدينة

رغم تباين النصوص واختلاف المصادر تواترت الاخبار وتظافرت رواياتها بتجرئ مسرف (مسلم) بن عقبة على استقدام الامام السجاد(عليه السلام) لمجلسه المشؤوم، واحضاره بين يديه اللئيمتين وتوعُّده إياه، وسؤاله البيعة ليزيد بن معاوية، وذلك عَقِب الوقعة وقبيل خروجه من المدينة متوجها لقتال ابن الزبير، وهو ما نصَّ عليه أكثر المؤرخين واثبتوه في مصنفاتهم ، بأسانيد متعددة، ونصوص تكاد تكون متعارضة في ما بينها، واليك أخي القارئ ، بعضا منها :

- روى ابن سعد بإسناده عن يحيى بن شبل أنه سأل أبا جعفر الباقر (عليه السلام) عن يوم الحرَّة، فأجابه (عليه السلام)بقوله :«فلمّا قدم مسرف وقتل الناس وسار الى العقيق سأل عن أبي علي بن حسين أحاضر هو ، فقيل له نعم ، فقال : مالي لا أراه ؟ فبلغ أبي ذلك فجاءه ومعه أبو هاشم عبد الله، والحسن، ابنا محمد بن علي بن الحنفية ، فلمّا رأى أبي رحَّب به وأوسَع له على سريره ، ثم قال له : كيف كنت بعدي ؟ قال : إني احمد الله اليك ، فقال مسرف : إنَّ أمير المؤمنين أوصاني بك خيرًا . فقال أبي: وَصَلَ الله أمير المؤمنين، قال : ثم سألني عن أبي هاشم والحسن ابنيْ محمد فقلت : هما إبنا عمي ، فرحَّب بهما وانصرفوا من عنده»[1].

- وفي ذلك ايضا روى ابن قتيبة قائلا : «وسأل مسلم بن عقبة قبل أن يرتحل عن المدينة عن علي بن الحسين ، أحاضر هو ؟ فقيل له : نعم

---

(١) الطبقات الكبرى: ٥/ ٢١٥.

فأتـاه عـلي بـن الحسـين ، ومعـه ابنـاه ، فرحَّـب بهـما ، وسـهَّل قـربهم ، وقـال : ان امـير المـؤمنين أوصـاني بـك ، فقـال عـلي بـن الحسـين : وصـل الله أمـير المؤمنين وأحسن جزاءه ثم انصرف عنه»[1].

- وعـن أبي حنيفـة الـدينوري : «ثـم أتـاه عـلي بـن الحسـين بـن عـلي بـن أبي طالـب ، فأجلسـه معـه عـلى ثيابـه وفراشـه ، وقـال : إنَّ أمـير المـؤمنين قـد أوصـاني بـك ، فقـال عـلي : إني كنـت لمـا فعـل أهـل المدينـة كارهـا ، قـال : أجـل ، ثم حَمَله على بغلةٍ ، وصَرَفه الى منزله»[2].

- وروى اليعقـوبي قـائلا : «ثـم أخـذ النـاس (أي مسـرف بـن عقبـة) عـلى أن يـبايعوا عـلى أنهـم عبيـد يزيـد بـن معاويـة ، فكـان الرجـل مـن قـريش يـؤتى بـه ، فيقـال : بـايع عـلى إنـك عبـد قِـنّ ليزيـد ، فيقـول لا ! فيُضـرب عنقـه ، فأتـاه عـلي بـن الحسـين فقـال : عَـلامَ يريـد يزيـد أن أبايعـك ؟ قـال : عـلى أنـك أخ وابـن عـم. فقـال : وإنْ أردتَ أن أُبايعـك عـلى أني عبـدٌ قِـنّ، فعلـت . فقـال : مـا أحشَـمك هـذا، فلـمّا أنْ رأى النـاس إجابـة عـلي بـن الحسـين، قـالوا : هـذا ابـن رسـول الله بايَعهُ على ما يُريد ، فبايعوه على ما أراد»[3].

ولا يغيـب عـلى كـل ذي لِـبّ فطـن مـا في قـول الامـام السـجاد(عليه السلام) المّـاضي الـذكر مـن الحكمـة والسـداد، في حـضّ النـاس عـلى حقـن دمـائهم ،وتجنيبهم بطش ذلك الطاغية .

(١) الامامة والسياسة: ١/ ١٨٦. وينظر أيضا: الطبقات الكبرى: ٧/ ٢١٣ ، سير اعلام النبلاء: ٣/ ٤٩٣ ، تاريخ الاسلام : ٥/ ٢٨

(٢) الأخبار الطوال: ٢٦٦

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧٥

- وروى الطبري :« لمّا أُتي بعلي بن الحسين الى مسلم ، قال : من هذا ؟ قالوا : هذا علي بن الحسين ، قال : مرحبا وأهلًا ، ثم أَجلَسه معه على السرير والطُنفسة ، ثم قال : إنَّ أمير المؤمنين أوصاني بك قبلا، وهو يقول : إنَّ هؤلاء الخبثاء شغلوني عنك وعن وصلتك ، ثم قال لعلي : لعل أهلك فزعوا ! قال : أي والله ، فأمر بدابته فأُسرجت ، ثم حَمله فردَّه عليها»[1].

- وروى ابن اعثم قائلا : «وسمع مسلم بن عقبة صياحا وصراخا، فقال : ما هذا ؟ فقيل : إنه قد أُتي بعلي بن الحسين بين يديه وهؤلاء أقاربه يصيحون ، فقال : اعلموه أنه لا بأس عليه ؟ قال : فلمّا أُتي بعلي بن الحسين وثب مسلم بن عقبة فصافحه، وقبَّل بين عينيه وأقعده معه على سريره ، ثم قال له : لا بأس عليك وأمير المؤمنين يزيد بن معاوية يقرأ عليك السلام، ويقول لك : لا تلُمْني على حبس عطائي لك ، إنَّما شغلني عنك عبد الله بن الزبير، وأنا موجّه اليك بعطائك موفرًا . قال : ثم أمر له مسلم بن عقبة بألف درهم، وقال : احملوه الى منزله»[2].

- اما المسعودي فانه روى : «ونظر الناس الى علي بن الحسين السجاد وقد لاذ بالقبر(أي قبر رسول الله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)) وهو يدعو، فأُتي به الى مسرف وهو مغتاظ عليه ، فتبرَّأ منه ومن آبائه ، فلمّا رآه وقد أشرف عليه ارتعد وقام له، واقعده الى جانبه ، وقال له : سلني حوائجك ، فلم يسأله في أحد ممن قُدِّم الى السيف الّا

(١) تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١٥.

(٢) الفتوح : ٥/ ١٦٢ـ ١٦٣ .

شفَّعه فيه ، ثم انصرف عنه، فقيل لعلي : رأيناك تُحرِّك شفتيك، فما الذي قلت ؟ قال: قلت : (**اللهم رب السماوات السبع وما اظللن ، والارضين السبع وما اقللن ، رب العرش العظيم ، رب محمد واله الطاهرين ، اعوذ بك من شرِّه ، وادرء بك في نحره ، اسألك ان تؤتيني خيره وتكفيني شره**)، وقيل لمسلم : رأيناك تسبّ هذا الغلام وسَلَفه، فلمّا أُتي به إليك رَفَعت منزلته ، فقال : ما كان ذلك لرأي مني ، لقد مُلئَ قلبي منه رعبا»[1].

- وأورد الشيخ المفيد قدس سره بعض أدعية الامام زين العابدين(عليه السلام) في مجلس مسرف بقوله : «وكان مما حُفظ عنه من الدعاء، حين بلغه توجه مسرف بن عقبة الى المدينة : (**ربِّ كم من نعمة انعمت بها عليَّ قلَّ لك عندها شكري وكم من بليَّةٍ ابتليتني قلَّ لك عندها صبري ، فيا من قلَّ عند نعمته شكري فلم يحرمني ، وقلَّ عند بلائه صبري فلم يخذلني ، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ، وياذا النعماء التي لا تحصى عددا ، صلى على محمد وآل محمد وادفع عني شرَّه ، فاني أدرأ بك في نحره وأستعيذ بك من شره**)، فقَدِم مسرف بن عقبة المدينة، وكان يقال: لا يريد غير علي بن الحسين ، فسَلِم منه، وأكرمه وحباه ووصله»[2].

وأضاف الشيخ المفيد رضي الله عنه : «وجاء الحديث من غير وجه أنَّ مسرف بن عقبة لمّا قدم المدينة أرسل الى علي بن الحسين عليهما السلام فأتاه ، فلمّا صار اليه قرَّبه وأكرمه وقال له : وصّاني أمير المؤمنين ببرِّك وتمييزك من

(١) مروج الذهب: ٣/ ٧٤.

(٢) الارشاد: ١٨١-١٨٢ ، بحار الأنوار: ١١/ ٥٧.

غيرك ، فجزاهُ خيرًا ، ثم قال : أسرجوا له بغلتي ، وقال له : انصرف الى أهلك ، فإني أرى أن قد أفزعناهم وأتعبناك بمشيك إلينا ، ولو كان بأيدينا ما نقوى به على صلتك بقدر حقك لوصلناك ، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام :(ما أعذرني للأمير) وركب ، فقال لجلسائه : هذا الخَيِّر لا شرَّ فيه ، مع موضعه من رسول الله ومكانه منه»[1].

بعد التأمل والتدبر في ما مضى من النصوص، يتبين للبصير الناقد أنَّ استدعاء مسرف بن عقبة للإمام السجاد(عليه السلام) لم يكن لمرة واحدة فقط ، بل تكرر لأكثر من ذلك ، وهو ما قد يفسر اختلاف تلك النصوص وتباينها، اذ إنَّ المكانة الاثيرة للإمام السجاد(عليه السلام)، وشرف منزلته وموضعه من رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وأنه ابن أبي الأحرار الامام الحسين(عليه السلام) ، كانت قد أثارت حفيظة مسرف، وأقضَّت مضجع سيده الفاسق، فسعى جاهدًا الى محاولة اتهامه بالضلوع في تلك الحرب، واتخاذ ذلك مبررًا لقتل الامام والفتك به الا أنَّ عناية الله سبحانه وتأييده حال دون وقوع ذلك، ونجى الامام(عليه السلام) من شرِّه المستطير.

ولا يفوتنا التنبيه الى أنّ بعض المؤرخين كان قد صوَّر لنا خبر الامام السجاد(عليه السلام) مع مسرف بالنص الاتي : «ثم أتى مروان بعلي بن الحسين، فجاء يمشي- بين مروان وابنه عبد الملك حتى جلس بينهما عنده ، فدعا مروان بشراب ليتحرَّم بذلك، فشرب منه يسيرا ثم ناوله علي بن

(١) الإرشاد: ١٨٢.

الحسين فلـمّا وقـع في يـده قـال لـه مسـلم : لا تشـرب مـن شرابنـا فارتَعَـد كفَّـه ولم يأمنـه عـلى نفسـه، وأمسـك القـدح بكفّـه لا يشـربه ولا يَضعه، فقـال لـه : أجئـت تمشـي بـين هـؤلاء لتـأمن عنـدي ؟ والله لـو كـان إلـيهما الا أمـر لقتلتـك ولكـن أمـير المـؤمنين أوصـاني بـك وأخـبرني إنـك كاتبتـه، فـإن شـئت فـاشرب فشَـرِب ثـم أجلسـه معـه عـلى السـرير، ثـم قـال لـه : لعـلَّ أهلـك فزعـوا ، قـال : أي والله، فـأمر بدابـة فأُسرجـت لـه فحَملـه عليهـا، فـردَّه ولم يلزمـه بالبيعـة ليزيد على ما شَرَط على أهل المدينة»[1].

ويبـدو أنّ الخـبر فيـه مـن الضـعف والغرابـة مـا لا يُـبهم عـلى الباحـث الفطـن، كتعارضـه مـع النصـوص السـابقة، ومـا فيـه مـن نسـبة الكـرم والضيافة لمسـرف بـن عقبـة، ذلـك السـفاح اللئيم الـذي بـدا أنـه يعفـوا عمَّـن يشـاركه شرابـه، أو يتقـرَّب الى مجلسـه وهـو مـا تنـاقض وفعلـه مـع الاخـرين كمعقـل بـن سـنان الاشـجعي، حـين دعـا لـه بشـراب العسـل ، ثـم أمـر بقتلـه ، وكما أشرنا اليه مسبقا .

ثـم في الخـبر مـن الإسـاءة والتشـويه لمقـام الامـام زيـن العابـدين(عليه السلام) مـا لا يخفـى عـلى أحـد ، حـين يصـوِّر هَلَـع الامـام وفَرَقـه مـن شراسـة مسـرف وبطشـه، وهـو مـن شَـهد لـه المـوالـف والمخـالف بشـجاعته ورباطـة جأشـه في مواجهـة أعتـى طواغيـت زمانـه، ممـن فـاقوا مسـرف طغيانًـا وكفـرا ، كيزيـد بـن

(١) الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٦٠-٤٦١ ، تاريخ الطبري: ٥/ ١٥ بزيادة واختلاف بعض الالفاظ ، البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٧.

معاويـة وعاملـه الفاسـق عبيـد الله بـن زيـاد[1]، وغـيرهم مـن أشـياع الظـالمين . وعلى هذا فالخبر ضعيف ولا يخلو من الوضع والله سبحانه أعلم .

وبعـث مسـرف بعـد ذلـك الى عـلي بـن عبـد الله بـن عبـاس ليـؤتى بـه للبيعـة ، فـأُخرج مـن منزلـه ، فـأقبلوا بـه ، فلَقِيـه الحُصـين بـن نمـير ، فانتزعـه مـن يـد الجـلاوزة، وكـان الحصـين مـن أخـوال عـلي بـن عبـد الله ، فقـال مسـلم: إني إنـما بعَثتُ إليه للبيعة ، فائتني به ، فأرسَل إليه الحصين ، فجاء حتى بايع[2] .

وفي خـبر: «ثـم أُتي بعـلي بـن عبـد الله بـن عبـاس ، فلـمّا قـدِّم اليـه قامـت قبائـل كنـدة مـن كـل ناحيـة فقـالوا : أيهـا الامـير : إنَّ هـذا الـذي قـدِم عليـك منّـا وإلينـا ، وذلـك أنَّ عبـد الله بـن العبـاس خطـب إلينـا فزوجنـاه بنـت عـمٍّ لنـا يقـال لهـا زرعـة بنـت مشـرح، فأولـدها هـذا الفتـى ابـن اختنـا فخـلِّ سـبيله ! فقـال : يـا معشـر كنـدة ، خلعـتم أيـديكم مـن الطاعـة ! فقـالوا : مـا خلعنـا أيـدينا مـن الطاعـة ولكنّـا لا نمكِّنـك مـن ابـن اختنـا تقتلـه ! فقـال لهـم : إذًا فيبـايع أمـير المـؤمنين يزيـد ! فقـالوا: أمّـا البيعـة فإنـه يبـايع عـلى إنـه والله أشرف مـن يزيـد وأكـرم منـه أبًـا وأمًـا قـال : فبـايع عـلي بـن عبـد الله بـن عبـاس يزيد بن معاوية وتنحى ناحية من بين يدي مسلم بن عقبة»[3].

---

(١) كقوله (عليه السلام)، حين رأى عزم عبيد الله بن زياد على قتله أمام عينيّ عمته السيدة زينب(عليها السلام)،وباقي سبايا آل الرسول ، مخاطبا إياه بكل معاني الشرف العلوي واليقين المحمدي ، قائلا له :((يا بن زياد : أبالقتل تهددني ؟ أما علمت أنَّ القتل لنا عادة ، وكرامتنا الشهادة)). والخبر مشهور ينظر : الفتوح: ٥/ ١٢٣ مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي:٢/ ٤٨ ، الملهوف: ٢٠٢ وغيرها كثير.

(٢) ينظر: الاخبار الطوال: ٢٦٧.

(٣) الفتوح: ٥/ ١٦٢.

وقيل بل إنَّ الحصين بن نمير لّما جاؤوا بعلي بن عبد الله بن عباس ، نادى قائلا : يا معاشر اليمن عليكم ابن اختكم، فقام معه أربعة الاف رجل ، فقال لهم مسرف : أخلعتم أيديكم من الطاعة ؟ فقالوا : أما فيه فنعم ، فبايَعَه علي على أنه ابن عم يزيد بن معاوية[1] .

[2]ولّما رأى عليٌّ بن عبد الله ذلك أَنشأَ يقول:

أبي العباس قرم بن لؤي	وأخوالي الملوك بنو وليعة
هم منعوا ذماري يوم جاءت	كتائب مسرف وبني اللكيعة
أراد بي التي لا عزَّ فيها	فحالت دونه أيدٍ رفيعة
هم ملكوا بني أسد وأُدَّا	وقيسًا والعمائر من ربيعة
وكندة معدن للملك قدما	يزين فعالهم عظم الدسيعة

وروى أبو حنيفة قائلا : «وأرسلت بنت الأشعث بن قيس ، وكانت إمراة الحسين بن علي ، الى مسلم بن عقبة تُعلمه أنَّ منزلها انتُهب ، فأَمَر برد جميع ما أُخذ لها»[3].

ولا يخفى أنَّ الأشهر الأصح أنها كانت زوجة الامام أبي محمد الحسن بن علي(عليه السلام) التي دَسَّت له السُّم حتى قضى نحبه مظلوما شهيدا،

---

(١) ينظر: معجم البلدان، (حرة واقم) : ٢/ ٢٤٩- ٢٥٠.

(٢) ينظر: مروج الذهب: ٣/ ٧٤-٧٥ ، أنساب الاشراف: ٤/ ٤٠ ومعجم الشعراء للمرزباني: ١٣٣ بزيادة البيتين الاخيرين، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٦١ باختلاف بعض الألفاظ.

(٣) الاخبار الطوال: ٢٦٧.

واسمها جعدة بنت الاشعث، وخبرها معروف فراجع[1].

وكان بنو حارثة في تلك الحرب آمنين ما قتل منهم أحد، وكان كل من نادى باسم الأمان الى أحد من قبيلة بني حارثة أمَّنوه رجلا كان أو امرأة ثم ذبّوا عنه حتى يبلِّغوه قصر بني حارثة، فأُجير يومئذ رجال كثير ونساء كثيرة، فلم يزالوا في قصر بني حارثة حتى انقضت الثلاث[2].

---

(١) ينظر مروج الذهب: ٣/ ١٠ ، الفصول المهمة : ١٥٦ وغيرها.

(٢) الامامة والسياسة: ١/ ١٨.

صور من المأساة

إنَّ من فجائع يوم الحرَّة التي ساقها المؤرخون، وتناولوا وصفها في كتبهم ومصنفاتهم بمزيد المرارة والأسى، ما استهجنوه من جرائم مسرف وجرائر جيشه الآثم بحق المدينة وأهلها ، حيث سَفكهم دماء الصحابة والتابعين، واستباحة حوزتهم وسبي ذراريهم، وركوبهم المعاصي العظام التي أضحت بها الوقعة من أعظم أحداث الاسلام وأجلّها وأفظعها رزءًا بعد قتل الحسين بن علي بن ابي طالب(عليه السلام)[1] ولعل أشدّ مصائب تلك الحرب وأفدحها خطبًا قتل ثمانين رجلا من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) ولم يبق بدري بعد ذلك[2] ، ومن قريش والأنصار ثلاثمائة رجل وستة رجال[3]، وقيل بل من قريش والأنصار سبع مئة[4].

وسُئل الزهري : «كم كانت القتلى يوم الحرَّة؟

قال : سبعمائة من وجوه الناس من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الموالي ، وممن لا يُعرف من عبد وحرٍّ وامرأة عشرة الاف»[5].

وروى الحسن البصري ، وقد ذكر الحرَّة فقال : «والله ما كاد ينجو

---

(١) ينظر: الاشراف والتنبيه: ٢٦٤.

(٢) ينظر: الإمامة والسياسة: ١/ ١٨٥.

(٣) تاريخ خليفة: ١٥٥، العقد الفريد: ٤/ ٣٩٠.

(٤) الامامة والسياسة: ١/ ١٨٥، التنبيه والاشراف: ٢٦٤.

(٥) الامامة والسياسة: ١/ ١٨٨ ، المنتظم: ٦/ ١٦ ، البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٨ ، تاريخ أبو الفدا: ١/ ١٩١ ، تاريخ ابن الوردي: ١/ ٢٣٣.

منهم أحد ، ولقد قُتل ابنا زينب بنت أم سلمة فأتيت بهما فوضعتهما بين يديها فقالت : والله إنَّ المصيبة عليَّ فيكما لعظيمة ، وهي في هذا – وأشارت الى أحدهما – أعظم منها في هذا – وأشارت الى الآخر – لأن هذا بَسط يده وأمّا هذا فقَعد في بيته فدخل عليه فقُتل ، فأنا أرجو به»[1].

ومن نوائب يوم الحرَّة ما روي عن مالك بن أنس، أنه قال : «قُتل يوم الحرَّة من حَمَلة القرآن سبعمائة»[2]. ومن نوازلها أيضا ما صَدَر عن جند الشام الفسقة من القبائح التي أجمع عليها المؤرخون، واستفظعوا فعلها كوقوعهم على النساء، واستباحتهم الفروج حتى ولدت الأبكار لا يُعرف من أَولدهن[3] ، وقيل بل افتُضَّ فيها ألف عذراء[4].

وفي خبر آخر أنه بعد الوقعة ولدت أكثر من ألف بكر من أهل المدينة ممن ليس لهنَّ أزواج[5]. وإنَّ الرجل من أهل المدينة بعد ذلك كان إذا زوَّج ابنته لا يضمن بكارتها، ويقول : لعلها قد افتُضَّت في وقعة الحرَّة[6].

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ١٤٩ سير اعلام النبلاء: ٣/ ٤٩٢ تاريخ الاسلام : ٥/ ٢٥-٢٦ تاريخ الخلفاء: ٢٠٩.

(٢) سير اعلام النبلاء: ٣/ ٤٩٤ تاريخ الاسلام: ٥/ ٣٠ ،الصواعق المحرقة: ٢/ ٦٣٦ الإصابة (ترجمة محمد بن ابي الجهم العدوي): ٦/ ١٥٢.

(٣) ينظر: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧٥.

(٤) ينظر: سير اعلام النبلاء: ٣/ ٤٩٢ تاريخ الاسلام: ٥/ ٢٦ النجوم الزاهرة: ١/ ١٦٠-١٦١ التحفة اللطيفة: ١/ ٧٤ تاريخ الخلفاء : ٢٠٩ الاتحاف بحب الاشراف :٦٦.

(٥) ينظر: وفيات الاعيان: ٦/ ٢٧٦ المنتظم: ٦/ ١٥ البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٨ باختلاف في اللفظ، معجم البلدان، (حرة واقم) باختلاف يسير: ٢/ ٢٤٩ – ٢٥٠ الاتحاف بحب الاشراف:٦٦.

(٦) ينظر: الفخري في الآداب السلطانية: ١١٦.

وروى أبو الفرج ابن الجوزي بسنده عن خالد الكندي عن عمَّته أم الهيثم بنت يزيد انها قالت : «رأيت امرأة من قريش تطوف، فعرض لها أسوَد فعانقته وقبَّلته فقلت: يا أمة الله أتفعلين هذا بهذا الأسود قالت: هو ابني وقع عَليَّ أبوه يوم الحرَّة فولدتُ هذا»[1].

ومن مخازي مسرف ونماذج وحشيته أنَّ امرأة وتدعى سعدى بنت عوف المرِّية أرسلت إليه تقول : أنا بنت عمك فمُر أصحابك أن لا يتعرَّضوا لإبلنا بمكان كذا وكذا فقال لأصحابه : لا تبدؤوا الا بأخذ إبلها أولا . وجاءته امرأة فقالت: أنا مولاتك، وابني في الأسارى ، فقال : عجِّلوه لها، فضربت عنقه وقال : أعطوها رأسه أما ترضين أن لا يُقتل حتى تتكلمي في ابنك[2] .

وكان مسرف لعنه الله قد أَسَر أُسراء فحبسهم ثلاثة أيام لم يُطعموا[3].

وكان سعيد بن المسيب (بعد نجاته من القتل) لم يبرح المسجد ولم يكن يخرج الاّ من الليل إلى الليل وكان يسمع إذا جاء وقت الأذان آذانا يخرج من قبل القبر الشريف حتى أمن الناس[4] .

وسئل سعيد بن المسيب عن نهب المدينة فقال: نعم ، شَدُّوا الخيل الى أساطين مسجد رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ورُئيت الخيل حول القبر وانتُهبت

(١) ينظر: المنتظم: ٦/ ١٥، تذكرة الخواص: ٢٨٩.

(٢) ينظر: البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٨، المنتظم: ٦/ ١٤-١٥ باختلاف يسير.

(٣) ينظر: المنتظم: ٦/ ١٦.

(٤) الامامة والسياسة: ١/ ١٨٣.

المدينة ثلاثًا، فكنت أنا وعلي بن الحسين نأتي قبر النبي (صلى الله عليه وآله) فيتكلم علي بن الحسين بكلام لم أقف عليه فيحال ما بيننا وبين القوم، ونصلّي ونرى القوم وهم لا يروننا، وقام رجل عليه حُلل خضر على فرس محذوف أشهب بيده حربة مع علي بن الحسين، فكان إذا أومأ الرجل الى حرم رسول الله (صلى الله عليه وآله) يشير ذلك الفارس بالحربة نحوه فيموت قبل أن يصيبه فلمّا أن كفُّوا عن النهب دخل علي بن الحسين على النساء فلم يترك قِرطا في أذن صبي، ولا حليًّا على امرأة، ولا ثوبًا الا اخرجه الى الفارس ، فقال له الفارس : يا ابن رسول الله إني مَلك من الملائكة من شيعتك وشيعة أبيك ، لمّا أن ظهر القوم بالمدينة استأذنت ربي في نصرتكم آل محمد، فأذن لي لأن أدَّخرها يدًا عند الله تبارك وتعالى، وعند رسوله، وعندكم أهل البيت الى يوم القيامة[1].

هذا ولقد كان من بشاعة مسرف وشدَّة عاديته أن بَقَر عن بطون النساء، وأباح الحَرم وأنهَب المدينة ثلاثة أيام[2] وكان ايقاعه بأهلها وقَتلهم ذلك القتل الذريع، وفيهم بقايا المهاجرين والأنصار، وخيار التابعين، وقرّاء القرآن، على ميل من المسجد النبوي الشريف، ولقد جالت خيلهم فيه، وخلي من مجمع فيه[3].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٨٤ – ٢٨٥ بحار الأنوار: ١١/ ٦١.

(٢) ينظر: البدء والتاريخ: ٦/ ١٤.

(٣) التحفة اللطيفة: ١/ ٧٤.

وعن أبي سعيد الخدري(رضي الله عنه)أنه قال : «فوالله ما سمعنا الاذان بالمدينة منذ ثلاثة ايام الا من قبر النبي(صلى الله عليه وآله)»[١]. «ولقد بطلت الجماعة من المسجد النبوي أياما وأُخيف أهل المدينة أياما ، فلم يمكن لأحد أن يدخل المسجد، حتى دخلتها الكلاب والذئاب وبالت على منبره (صلى الله عليه وآله) وقد قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي[٢])»[٣].

أمّا جند الشام فقد بلغ من بربريَّتهم، وعظيم فسادهم أن داسوا بسنابك خيولهم الروضة المنورة، وجاسوا بخيولهم خلال مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله) وهم يعملون القتل بأهل المدينة حتى سالت الروضة والمسجد بالدماء[٤]، وبلغ سيلها قبر رسول الله(صلى الله عليه وآله) كما دنَّست الخيول الروضة المشرَّفة بروثها وبولها[٥] تلك البقعة المنورة التي هي روضة من رياض الجنة القائمة بين القبر والمنبر .

ولقد بلغ من فسادهم أيضا وظاهر فحشهم أن وقعوا على النساء في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) استخفافا بقدسيته، وانتهاكا لحرمته حيث روى

---

(١) ينظر: الفتوح: ٥/ ١٦٠.

(٢) صحيح مسلم : ٤٩٨.

(٣) الصواعق المحرقة: ٢/ ٦٣٦ ، ينابيع المودة: ٣/ ٣٥.

(٤) ينظر: تتمة المنتهى: ٦٧.

(٥) تذكرة الخواص: ٢٨٩ باختلاف يسير.

المحدث النوري (قدس سره) في كتابه كشف الاستار نقلا عن تاريخ عبد الملك العصامي ما هذا لفظه : «أنَّ رجلا من أهل الشام وقع على امرأة في المسجد النبوي على مشرِّفه الصلاة ولم يجد خرقة يُنظِّف بها، ووجَد ورقة من القرآن المجيد فنظَّف نفسه بها فسبحان من لم يهلكهم بصاعقة من السماء أو بحجارة من سجيل وإنما يعجل من يخاف الفوت»[1].

فانظر أخي القارئ وتأمل ما في الخبر من فداحة الخطب، وعظم الرزية، حين يصور لنا انتهاك ذلك الشامي القذر وفي أن واحد لثلاث حُرمات، حرمة أعراض المسلمين، وحرمة كتاب الله العظيم، وحرمة المسجد النبوي الشريف وإنْ كان هذا بَغْي فرد منهم فكيف بمجموع فعل الباقين وقد أهلكوا الحرث والنسل، وعاثوا في الارض الفساد وخلَّفوا فيها بعد النار الرماد. فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولنرجع فنقول: ولقد مكث النوح في الدور على أهل الحرَّة سنة لا يهدؤون وكان الناس لا يلبسون المصبوغ من الثياب قبل الحرَّة فلمّا قتل الناس بالحرَّة استحبّوا ان يلبسوها ، وقال عبد الله بن ابي بكر : كان اهل المدينة اعز الناس واهيبهم حتى كانت الحرَّة، فاجترا الناس عليهم فهانوا[2].

---

(١) كشف الاستار: ١٢٣-١٢٤، تتمة المنتهى: ٦٨.

(٢) ينظر: الامامة والسياسة: ١/ ١٨٨.

وفي رزايا يوم الحرَّة يقول[1] محمد بن أسلم بن بجرة الأنصاري، وهو صحابي له رؤية (أي رأى النبي (صلى الله عليه وآله)):

فان تقتلونا يوم حرة واقم ... فنحن على الاسلام أول من قُتل

ونحن تركناكم ببدر اذلة ... وأبْنا بأسياف لنا منكم تفل

فان ينج منكم عائذ البيت سالما ... فما نالنا منكم ، وإن شفنا جلل[2]

ويقول في ذلك أيضا عبيد الله بن قيس الرُّقيات (وكان ممن ينتصر لبني أمية) :-

وقالت، لو انّا نستطيع لزاركم ... طبيبان منّا عالمان بدائكما

ولكن قومي احدثوا بعد عهدنا ... وعهدك آضعافا كلفن نسائكا

تذكرّني قتلى بحرة واقم آصبن ... وآرحاما قطعن شوائكا

وقد كان قومي ، قبل ذاك ،وقومها ... قروما زوت عودا من المجد نائكا

فقطع آرحاما وقصت جماعة ... وعادت روايا الحلم بعد ركائكا[3]

وروي أنَّ مسرفا لمّا فعل بأهل المدينة ما فعل من القتل والنهب، خاطبه مروان مُتحزِّنا متباكيًا فقال له : قد والله سَقيتني من دماء هؤلاء القوم ، الاّ ما

(١) مروج الذهب: ٣/ ٧٤، انساب الاشراف: ٤/ ٤٢ ، البدء والتاريخ: ٦/ ١٤ ، شذرات الذهب: ١/ ٧٠-٧١ ، معجم البلدان: ٢/ ٢٥٠.

(٢) الاصابة: ٦/ ١٥١.

(٣) معجم البلدان: ٢/ ٢٥٠.

كان من قريش، فانك أثخنتها وأفنيتها ، فقال مسلم : والله لا أعلم عند أحد غشًّا لأمير المؤمنين الاّ سألت الله أن يسقيني دمه. فقال: إنَّ عند أمير المؤمنين عفوًا لهم ، وحلمًا عنهم ليس عندك . وجعل مروان يعتذر الى قريش، ويقول : والله لقد ساءني قتل من قُتل منكم. فقالت له قريش : أنت والله الذي قتلتنا ، ما عَذَرك الله ولا الناس ، لقد خَرجت من عندنا ، وحَلفت لنا عند منبر رسول الله(صلى الله عليه وآله) لترُدنَّهم عنّا ، فإن لم تستطع لتمضينَّ ولا ترجع معهم ، فرَجعت ، ودَللت على العورة ، وأعنت على الهلكة ، فالله لك بالجزاء[1].

والخبر لا مرية فيه يحمل بين طياته الإدانة الواضحة لمروان بن الحكم، الذي أقرَّ معترفا قيامه بذلك الدور الآثم في تلك المجزرة ، حين نَصر مسرف بن عقبة، وأعانه على الخوض في دماء المسلمين من قريش وغيرهم ، وهو ما حاول التنصّل من تبعته، وتخفيف وطأته بتقديمه ذلك الاعتذار الواهي ، مع فضيحة نكثه العهد والميثاق عند منبر رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ولمّا كان هذا ديدنه فلا غرابة من فعله.

وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذي الحجة[2]، وقيل لليلتين بقيتا منه[3] سنة (٦٣) للهجرة النبوية الشريفة والأول أَشهَر.

---

(١) ينظر: الامامة والسياسة: ١/ ١٨٣ -١٨٤.

(٢) انساب الاشراف: ٤/ ٤١ ، تاريخ خليفة بن خياط: ١٥٥، الإشراف والتنبيه: ٢٦٤، سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٩٤ ، مرآة الجنان: ١/ ١٣٨، البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٨ ، تاريخ الخميس: ٢/ ٣٠٣ ، وغيرها كثير.

(٣) المنتظم: ٦/ ١٧ بلفظ: (خليتا منه)، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٦١.

وكان مسرف (لعنه الله) حين غزا المدينة وأوقعَ بأهلها سمّاها نَتِنة ، وقد سمّاها رسول الله (صلى الله عليه وآله) طَيْبة[١]، وكان أهل الشام حين يقاتلون أهل المدينة يقولون: يا يهود[٢] .

وجاء خبر الحرَّة الى أهل مكة ليلة مستهل المحرَّم مع سعيد مولى المسور بن مخرمة ، فحزنوا حزنا شديدا ، وتأهبوا لقتال أهل الشام[٣] ، وروي عن المدائني قولهُ : -

لّما قتل اهل الحرَّة هَتف هاتف بمكة على أبي قُبيس مساء تلك الليلة ، وابن الزبير جالس يسمع :

والصائمون القانتون أولو العبادة والصلاح
المهتدون المحسنون السابقون الى الفلاح
ماذا بواقم والبقيع من الجحاجحة الصِّباح
وبقاع يثرب ويحهنَّ من النوادب والصِّياح

فقال ابن الزبير : يا هؤلاء قُتل أصحابكم فإنا لله وإنا إليه راجعون[٤].
ولّما فرغ مسلم من قتال أهل المدينة ونهبها ،كَتب الى يزيد بن معاوية :

---

(١) مروج الذهب: ٣/ ٧٣.

(٢) أنساب الاشراف: ٤/ ٣٧.

(٣) البداية و النهاية: ٨/ ٢٤٢.

(٤) البداية و النهاية: ٨/ ٢٤٨ – ٢٤٩.

«بسم الله الرحمن الرحيم. لعبد الله يزيد بن معاوية أمير المؤمنين من مسلم بن عقبة : سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله، فإني أحمد الله اليك الذي لا إله الا هو ، أمّا بعد ، تولى الله حفظ أمير المؤمنين والكفاية له : فإني أُخبر أمير المؤمنين أبقاه الله ، أني خرجت من دمشق ونحن على التعبئة التي رأى أمير المؤمنين ، يوم فارَقنا بالعافية ، فلَقينا أهل بيت أمير المؤمنين بوادي القرى ، فرجع معنا مروان بن الحكم ، وكان لنا عونًا على عدوَّنا ، وإنّا انتهينا الى المدينة فاذا أهلها قد خندقوا عليها الخنادق، واقاموا على أنقابها الرجال بالسلاح وادخلوا ماشيتهم ، وما يحتاجون لحصارهم سنة فيما كانوا يقولون ، وإنا أعذَرنا إليهم وأخبرناهم بعهد أمير المؤمنين، وما بَذل لهم، فأبوا، ففرقتُ أصحابي على أفواه الخنادق ، فولَّيتُ الحُصين بن نمير ، ناحية ذناب وما والاها ، وعلى الموالي وجهتُ حبيش بن دلجة الى ناحية بني سلمة ، ووجهتُ عبد الله بن مسعدة الى ناحية بقيع الغرقد ، وكنتُ ومن معي من قوّاد أمير المؤمنين ورجاله في وجوه بني حارثة ، فأدخلنا الخيل عليهم حين ارتفع النهار ، من ناحية عبد الأشهل بطريق فتَحه لنا رجل منهم بما دعاهُ إليه مروان بن الحكم إلى صنيع أمير المؤمنين، وما تضمَّن له عنه من قرب المكان ، وجزيل العطاء وإيجاب الحق وقضاء الذمام ، وقد بعثتُ به الى أمير المؤمنين ، وأرجوا من الله عز وجل ان يُلْهِم خليفته وعبده عرفانَ ما أولى من الصنع، وأَسدى من الفضل ، وكان أكرم الله أمير المؤمنين من محمود

مقام مروان بن الحكم ، وجميل مَشهده ، وشديدَ بأسه ، وعظيم نكايته لعدو أمير المؤمنين، ما لا أخال ذلك ضائعًا عند إمام المسلمين وخليفة رب العالمين إن شاء الله ، وسلَّم الله رجال أمير المؤمنين ، فلم يُصب منهم أحد بمكروه ، ولم يقم لهم عدَّوهم من ساعات نهارهم أربع ساعات فما صليت الظهر أصلح الله أمير المؤمنين الاّ في مسجدهم ، بعد القتل الذريع، والانتهاب العظيم ، وأوقعنا بهم السيوف وقتلنا من أشرفَ لنا منهم ، وأتبعنا مُدبرهم وأجهزنا على جريحهم ، وانتهبناهم ثلاثا كما قال امير المؤمنين ، أعزَّ الله نصره ، وجعلت دور بني الشهيد المظلوم عثمان بن عفان في حرز وأمان ، فالحمد لله الذي شفى صدري من قتل أهل الخلاف القديم ، والنفاق العظيم ، فطالمّا عَتوا ، وقديما ما طَغوا ، وكتبت الى أمير المؤمنين وأنا في منزل سعيد بن العاص مدنَّفا مريضًا ما أراني الاّ لِما بي ، فما كنت أبالي ، متى مِتُّ بعد يومي هذا ..»[1]

وكتاب مسرف المّاضي الذكر انما كشَّرَ عن المضامين الآتية :

١- امتثال مسرف وانصياعه التام لوصايا يزيد، وحرصه على تنفيذها بكل صرامة بحق المدينة وأهلها، وبأبشع الصور وأكثرها اجراما.

٢- إشادة مسرف المخزية بالدور الخياني لمروان بن الحكم، في اعانته لجيوش الشام، ومشاركته في وضع الخطط الحربية لمهاجمة المدينة والايقاع بأهلها.

---

(١) ينظر: الامامة والسياسة: ١/ ١٨٥-١٨٦ ، الطبقات الكبرى: ٧/ ٤٢-٤٣ بإشارة موجزة.

٣- تعريف مسرف بصنيع الخائن من بني حارثة أحد سكنة المدينة، وحمد دوره الخياني في فتح الطريق لأهل الشام، ومحاولة حمل يزيد على مكافأته وضمان جائزته.

٤- فرح مسرف واظهاره السرور والتشفي بقتل أهل المدينة من صحابة وتابعين، ونحت اثلتهم، وانتهاب أموالهم، واظهاره التقرب الى الله تعالى بدمائهم لإفكهِ وعظيم غوايته بتكفير واشراك كل من يعارض يزيد أو يرفض جبروته، جرأة منه على الله تعالى ورسوله(صلى الله عليه وآله).

الى غير ذلك مما تضمَّنه كتابه الاثم الآنف الذكر .

ثم إنَّ مسرفا (لعنه الله) بعث برؤوس أهل المدينة مع ذلك الكتاب الى يزيد[1] ، فلمّا أُلقيت بين يديه جعل يتمثل بقول ابن الزبعرى يوم أُحد ، قائلا:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لاهلُّوا واستهلُّوا فرحا ولَقالوا ليزيد: لا تشل[2]

فقال له رجل من اصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله) : ارتددت عن الاسلام يا أمير المؤمنين ! قال : بلى ، نستغفر الله ، قال : والله لا ساكنتك أرضا أبدا ،

(١) ينظر: العقد الفريد: ٤/ ٣٩٠.

(٢) الأخبار الطوال: ٢٦٧ باختلاف بعض الالفاظ ، أنساب الاشراف: ٤/ ٤٢، العقد الفريد: ٥/ ١٣٩، جواهر المطالب: ١/ ١٥.

وخرج عنه[1].

وروي أنَّ يزيد بن معاوية لمّا أتاه كتاب مسرف، أرسل الى عبد الله بن جعفر والى ابنه معاوية بن يزيد، فأقراهما الكتاب، فاسترجع عبد الله بن جعفر وأكثر، وبكى معاوية بن يزيد، حتى كادت نفسه تخرج، وطال بكاؤه، فقال يزيد لعبد الله بن جعفر: ألم أُجبك الى ما طلبت، وأَسعفتك فيما سألت، فبذلت لهم العطاء وأجزلت لهم الاحسان، وأعطيت العهود والمواثيق على ذلك؟ فقال عبد الله بن جعفر: فمن هنالك استرجعت، وتأسفت عليهم، إذ اختاروا البلاء على العافية، والفاقة على النعمة، ورضوا بالحرمان دون العطاء، ثم قال يزيد لابنه معاوية: فما بكاؤك أنت يا بني؟ قال: أبكي على قتل من قتل من قريش، وانما قتلنا بهم أنفسنا. فقال يزيد: هو ذاك، قتلت بهم نفسي وشفيتها[2].

---

(١) العقد الفريد: ٥/ ١٣٩. أقول: ولا يخفى ما في هذا الخبر من التصريح بكفر يزيد، وارتداده عن الإسلام. مما دفع بذلك الصحابي إلى أن لا يساكنه في أرض أبدًا. ومن ثَّمَ فمحاولة بعض المصادر الالتفاف على النص وتحريف جواب يزيد من (بلى) إلى (بل) لا تستقيم عبارته مطلقا، فتأمل. ينظر: جواهر المطالب: ١/ ١٥.

(٢) الامامة والسياسة: ١/ ١٨٦.

جند الشام

إنَّ المتبصـر في أخبار الوقعة وأحداثها قد لا يتكلف جهدًا في التعرف على أحوال جند بني أُمية من الشاميين، وما كانوا عليه من الوضاعة وشراسة الطباع ، مع غدر ومكر لَمَع ببشاعة ما اقترفوه في تلك الحرب من جرائر ومجازر لم يسلم منها حتى الطفل الرضيع ، حيث اقتحامهم المدينة ووطئهم حَومتها، وحصدهم أهلها من صحابة وتابعين، وانتساف أملاكهم، وهتك حريمهم، دون أدنى تمييز أو تقديس لشرف المدينة وحُرمتها ، حتى أمست تلك الجرائم وصورها البشعة التجسيد الحقيقي لسلوكهم، وما اضمرته نفوسهم من روح اجرامية خبيثة ، وقد لا نستغرب فعل يزيد في جمعه ذلك الجيش الاثم، وتكوينه من تلك العناصر الفاسدة، اذا ما علمنا إنه انتخب لقيادته مسلم (مسرف) بن عقبة ذلك الظلوم الغاشم المشهور بإسرافه في قتل الناس وسفك دمائهم ، ولعل السؤال الذي يطرق ذهن القارئ ويدور في خلده وهو يقرأ عن مآسي تلك الوقعة وويلاتها ، هو هل أنَّ أولئك الجند وقادتهم كانوا على دين الاسلام، أم أنَّ دينهم غير هذا الدين؟!! حتى ارتكبوا بحق المسلمين ما ارتكبوا من جرائم وآثام صدعت بغيِّهم وظلالتهم ، ونواجم شرِّهم ، وللإجابة عن مثل هذا السؤال ، لا بد لنا بداية من عرض بعض أخبارهم وأحوالهم وما كانوا عليه من الطاعة العمياء لحكامهم الأمويين ، فمن ذلك ما رواه المسعودي في صفتهم أيام معاوية

بن أبي سفيان قائلا :

«وبلغ من احكامه للسياسة (أي معاوية) واتقانه لها واجتذابه قلوب خواصه وعوامّه أنَّ رجلا من أهل الكوفة دخل على بعير له الى دمشق في حال مُنصرفهم عن صفيِّن، فتعلق به رجل من دمشق فقال : هذه ناقتي أُخذت مني بصفين ، فارتفع أمرهما الى معاوية ، وأقام الدمشقي خمسين رجلا بيِّنة يشهدون أنها ناقته، فقضى معاوية على الكوفي ، وأمره بتسليم البعير اليه ، فقال الكوفي : أصلحك الله ! إنه جمل وليس بناقة ، فقال معاوية : هذا حكم قد مضى ، ودسَّ الى الكوفي بعد تفرُّقهم فأحضره ، وسأله عن ثمن بعيره فدفع اليه ضعفه ، وبرَّه وأحسن إليه ، وقال له : أبلغ عليا إني أُقاتله بمائة الف ما فيهم من يفرِّق بين الناقة والجمل ، وقد بلغ من أمرهم في طاعتهم له أنه صلى بهم عند مسيرهم الى صفيِّن الجمعة في يوم الاربعاء وأعاروه رؤوسهم عند القتال وحملوه بها ، وركنوا الى قول عمرو بن العاص : أنَّ عليا هو الذي قتل عمار بن ياسر حين أَخَرجه لنصرته ، ثم ارتقى بهم الامر في طاعته الى أن جعلوا لعن علي سُنَّة ينشأ عليها الصغير ويهرم عليها الكبير»[1].

واضاف المسعودي: «وذكر بعض الاخباريين انَّه: قيل لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم : من أبو تراب هذا الذي يلعنه الامام على المنبر ؟ قال : أراه لصًا من لصوص الفتن»[2].

---

(١) مروج الذهب: ٣/ ٤٠.

(٢) مروج الذهب: ٣/ ٤٠.

ونقل المسعودي عن الجاحظ أنه قال: «سمعتُ رجلًا من العامة وهو حاجّ، وقد ذُكر له البيت (أي البيت الحرام)، يقول: إذا أَتيتهُ مَن يكلِّمني منه؟ وأنه أخبَره صديق له أنه قال له رجل منهم وقد سمعه يصلي على محمد(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه): ما تقول في محمد هذا؟ أربّنا هو؟ !!»[1].

الى غير ذلك من أخبار جهلهم، وغفلتهم وسذاجة أفكارهم، التي دفعت بمعاوية الى أن يجتذبهم بدهائه، ويستولي على عقولهم بمكره وخداعه حتى انقادوا اليه بطاعة عمياء دون طاعة الله وطاعة رسوله(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه)، فكانوا أداة بطشه وحُماة سلطانه يقمع بهم مناوئيه، وينتقم بهم من أعدائه ومعارضيه، ولقد استمر هذا حالهم طيلة أيام معاوية وولده يزيد، وإلى انتهاء دولة الامويين عام (١٣٢ هـ).

أمّا فعالهم يوم الحرَّة، فهي مما استكَّت منها المسامع، واستهلَّت لها المدامع، وهانت دونها طارقات القوارع، حيث تدنيسهم المدينة واصطلامهم أهلها، وجعلها مرتعا لفسقهم وفجورهم، يخوضون في دماء المسلمين ويستبيحون اعراضهم، وينتهبون أموالهم مع امعانهم في القتل والغدر، ولقد روى المؤرخون بعض أخبار غدرهم، وخسَّة طباعهم في تلك الحرب، فقالوا:

«دخل رجل من أهل الشام على امرأة نفساء من نساء الانصار ومعها صبي لها، فقال لها: هل من مال؟ قالت: لا والله ما تركوا لي شيئا. فقال:

---

(١) مروج الذهب: ٣/ ٤٠

والله لتخرجَّن اليَّ شيئا أو لأقتلنك وصبيّك هذا ، فقالت له : ويحك إنه ولد ابن أبي كبشة الانصاري صاحب رسول الله (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، ولقد بايعت رسول الله (صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) معه يوم بيعة الشجرة[1] ، على أن لا أزني، ولا أسرق، ولا أقتل ولدي ولا آتي ببهتان أفتريه ، فما أتيت شيئًا ، فاتق الله. ثم قالت لابنها : يا بني والله لو كان عندي شيء لافتديتُك به ، قال : فأخذ بِرِجْل الصبي والثدي في فمه ، فجذبه من حجرها ، فضرب به الحائط فانتثر دماغه في الارض ، قال : فلم يخرج من البيت حتى اسودَّ نصف وجهه ، وصار مثلا» [2].

وروى ابن سعد، عن أحدهم، قائلا: «أول دار من دور المدينة انتهبت والحرب بعد لم تنقطع يوم الحرَّة، دار بني عبد الاشهل، فما تركوا في المنازل من أثاث ولا حِليّ على امرأة، ولا ثياب ولا فراش الا نقض صوفه، ولا دجاجة الّا ذُبحت ولا حمام الّا ذُبح ، ثم يسمطون الدجاج والحمام خلف أحدهم ثم نخرج من هذا البيت الى هذا البيت. فلقد مكثنا على ذلك ثلاثا ، وإنَّ مُسرفًا بالعقيق والناس في هذا من الأمر حتى رأينا هلال المحرم»[3].

---

(١) الخبر لا يخلو من غرابة فيما يتعلق بعمر هذه المرأة، إذ كيف لها أن تلد وهي بنص الخبر ممن أدركت رسول الله(صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وبايعته مع زوجها، وأنها يومذاك كانت بالغة متزوجة، ووفاة النبي كانت (سنة ١١هـ)، ووقعة الحرَّة حدثت (سنة ٦٣هـ)، فتكون عند إنجابها لهذا الطفل ابنة (٦٣ سنة) تقريبا، أو أكبر، وهذا أمر غريب نادر، فتأمل.

(٢) الامامة والسياسة: ١/ ١٨٤.

(٣) الطبقات الكبرى: ٧/ ٢٥١.

وروى ابن الجوزي متحدثا عن بعض مخازيهم ، قائلا :«وعن المدائني عن ابن أبي الزناد ، عن أبيه عن رجل من قريش ، قال : كنت أنزل بذي الحليفة[1] فدخلت المسجد فإذا رجل مريض ، قلت : من أنت ؟ قال : أنا رجل من خثعم أقبلت نجران فمرضتُ فتركني أصحابي ومضوا ، فحوَّلته الى المنزل فكان عندنا حتى صحّ ، وأقام عندنا حينًا كرجل منّا ، وعملتُ لصاحبتي حُليًّا بمائة دينار وهو يرى ذلك ، ثم خرج الى الشام ، فقدِم المدينة أيام الحرَّة وقد تحولنا من ذي الحليفة الى المدينة، فلمّا انتهب مسلم المدينة أتانا في جماعة فسمعتُ الجلبة في الدار فخرجتُ فاذا أنا به وأصحابه خارجا ، فقلت له : قد كنّا نتمناك ، قال : ما جئت الاّ لأدفع عن دمك، ولكني آخذ مالك ، فإنَّ الامير قد أمرنا بالنهب ، وسيؤخذ ما عندك وأنا أحق به ، فقلت : أنت لعمري أحقّ به فاصرف أصحابك وخذه وحدك ، فخرج فردَّ أصحابه ورجع ، فقال : ما فعل الحلي ؟ قلت : على حاله، قال :فهاته، قلت: هو مدفون بذي الحليفة عند البئر التي رأيت ،فاذا أمسينا خرجنا إليها فادفعه اليك. فلمّا أمسيت خرجت أنا وهو وتبعني ابنان لي حتى انتهينا الى البئر وطولها ثلاثون ذراعا فأخذناه أنا وابناي فشددناه وثاقا ، ورميناه في البئر ودفناه فيها ورجعنا ، فلمّا اصبحنا اذا رجل ممن كان معه بالأمس قد أتانا ، فقال : أين أبو المحرش؟ قلنا غدا حين أصبح ، قال أراه والله خدعنا

---

(١) الحليفة : بالتصغير أيضا ، والفاء ، ذو الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ، ومنها ميقات أهل المدينة ، وهو من مياه جشم بينهم وبين بني خفاجة من عقيل. معجم البلدان: ٢/ ٢٩٦.

وأخذ المتاع ، قلنا : ما أخذ شيئا ، أدخل فانظر ، فدخل فاغلقنا عليه الباب وقتلناه»[١].

واضاف ابن الجوزي، قائلا : «وعن المدائني عن سلمان بن أبي سلمان عن أبي بكر بن ابراهيم بن نعيم بن النحام ، قال : مرَّ رَكْب من أهل اليمن الى الشام يريدونه ومعهم رجل مريض ، فأرادوا دفنه وهو حي ، فمنعهم أبي فمضوا وخلفَّوه ، فلم يلبث أن برئ وصح ، فجهَّزه أبي وحمله، وكان ممن قدِم مع مسلم ، فرأته جارية لنا، فعرفته ، فقالت : عمرو ، فقال : نعم وعرفها ، قال :ما فعل أبو اسحق ؟ قالت : قتل ، فقال لأصحابه : هؤلاء أيسر أهل بيت بالمدينة ، فانتهبوا منزلهم ، فكان يُضرب به المثل بالمدينة : (وأنت أقلُ شُكراً من عمرو)»[٢].

ومن ذلك أيضا ما رواه ابن الاثير قائلا: «قال محمد بن عمارة : قدمت الشام في تجارة فقال لي رجل: من أين أنت ؟ فقلت: من المدينة ، فقال خبيثة ، فقلت: يسميها رسول الله(صلى الله عليه وآله) طيبة وتسميها خبيثة ، فقال: إنَّ لي ولها لشأنًا ، لّما خرج الناس الى وقعة الحرَّة رأيت في المنام أني قتلت رجلا اسمه محمد ادخل بقتله النار، فاجتهدت في أنّي لا أسير معهم فلم يُقبل مني فسرت معهم ولم أقاتل، حتى انقضت الوقعة فمررت برجل في القتلى به رمق فقال: تنحَّ يا كلب، فأَنفتُ من كلامه وقتلته، ثم ذكرتُ

---

(١) المنتظم: ٦/ ١٦-١٧.

(٢) المنتظم: ٦/ ١٧.

رؤيـاي فجئـت برجـل مـن أهـل المدينـة يتصـفح القـتلى ، فلـمّا رأى الرجـل الـذي قتلتـه قـال: إنـا لله لا يـدخل قاتـل هـذا الجنـة، قلـت: ومَـن هـذا ؟ قـال: هـو محمـد بـن عمـرو بـن حـزم، ولِـد عـلى عهـد رسـول الله(صَلَّىٰاللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فسـماه محمـدا، وكنّـاه أبـا عبـد الملـك ، فأتيـتُ أهلـه فعَرضـتُ علـيهم أن يقتلـوني، فلـم يفعلـوا وعرضت عليهم الديَّة فلم يأخذوا»[١].

الى غـير ذلـك مـن أخبـار لـؤمهم، ودنـاءتهم، وشـامل شرِّهـم ، ومـا حملـوه مـن عـار تلـك الآثـام والأوزار ، التـي لا نعـرف كيـف ارتضـت لهـم أنفسـهم فعلهـا وهـم يـدَّعون الاسـلام، والانـتماء الى ملـة سـيد الانـام(صَلَّىٰاللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ، الّا أنْ يكـون اسـلامهم كإسـلام معاويـة بـن أبي سـفيان الـذي احتضـن غفلـتهم، واغتـنم جهـالتهم ، فاسـتوثق ولاءهـم بـما اختـدعهم مـن انَّـه مـلاذ ديـنهم، وموئـل أحكـام شريعـتهم، إليـه يـردون وعنـه يصـدرون، وأنـه أقـرب النـاس لرسـول الله(صَلَّىٰاللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، والاحـق بخلافتـه دون أمـير المـؤمنين عـلي بـن أبي طالـب (عَلَيْهِ السَّلَامُ)[٢]. الى غـير ذلـك مـن أباطيلـه وافتراءاتـه التـي اسـتحوذ بهـا عـلى عقـولهم، واسـتولى بهـا عـلى نفوسـهم، فأعـاروه رؤوسـهم وملَّكـوه رقـابهم ، يُسـخِّرهم أنـى شـاء وكـيفما شـاء في تحقيـق غاياتـه، وأهدافـه، يقـول السـيد محمـد بـن عقيـل الشـافعي متحـدثا عـن بوائـق معاويـة وجنـده مـن الشـاميين، ومـا كـان مـن فعلهـم يـوم الحـرَّة: «وأمثـال هـذه مـن أهـل الشـام ومـن

(١) الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٦١-٤٦٢.

(٢) يُنظر خطبة معاوية بأهل الشام قبيل وقعة صفِّين. وقعة صفِّين للمنقري: ٣٢.

مسلم نفسه كثيرة ، فمسلم في هذا كله منفذ لأوامر يزيد ، ويزيد منفذ لأمر معاوية، فكل هذه الدماء ، وكل هذه المنكرات الموبقات ، ودم الحسين (عليه السلام) ومن معه في عنق معاوية أولا ، ثم في عنق يزيد ثانيا ، ثم في عنق مسلم وابن زياد ثالثا ، أَفبعد هذا يُتصور أن يقال لعلّه تاب ورجع ؟ كلا والله ، ولقد صدَقَ مَن قال : أبقى لنا معاوية في كل عصر- فئة باغية، فهاهم أشياعه وأنصاره الى يومنا هذا يقلبون الحقائق ، ويلبسون الحق بالباطل ، **﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾**[1] »[2].

---

(١) المائدة: ٤١.

(٢) النصائح الكافية: ٧٩.

هلاك مسرف وحصار مكة

أورد المؤرخون[1] ان مسرف لمّا فرغ من قتال أهل المدينة ونَهْبها شَخَص بمن معه نحو مكة يريد ابن الزبير ومن معه، واستخلف على المدينة رَوْح بن زنباع الجذامي، وقيل استخلف عمرو بن مخرمه (محرز) الاشجعي، ثم إنه حين توجه أنشد يقول:

خذئها إليك أبا خبيب إنها — حرب كناصية الجواد الأشقر[2]

«فلمّا انتهى الى المُشلَّل[3] نزل به الموت، وقيل مات بثنية هرشى[4]، فلمّا حضره الموت أَحضَر الحُصين بن نمير وقال له: يا بن برذعة الحمار لو كان الأمر اليَّ ما وليتك هذا الجند، ولكن أمير المؤمنين ولّاك بعدي، خذ عني أربعا: أسرع السَّير، وعجِّل المناجزة، وعمِّ الاخبار، ولا تمكن قريشا من أُذنك، ثم قال: اللهم إني لم اعمل قط بعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله عملا احب الي من قتلي اهل المدينة ولا ارجى عندي في

(١) الخبر مما أجمع عليه المؤرخون ورووه بألفاظ متقاربة بين الاجمال والتفصيل. ينظر: الامامة والسياسة: ١/ ١٨٧، تاريخ الطبري: ٥/ ١٧ الاخبار الطوال: ٢٦٧، تاريخ خليفة: ١٥٨، مروج الذهب: ٣/ ٧٥ وغيرها كثير.

(٢) أنساب الاشراف: ٤/ ٤٥.

(٣) المُشلل: بالضم ثم الفتح، وفتح اللام أيضا، والشل الطرد: وهو جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر. معجم البلدان: ٥/ ١٣٦.

(٤) هرشى: بالفتح ثم السكون، وشين معجمة، والقصر، ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها البحر ولها طريقان فكل من سلك واحدا منهما أفضى به إلى موضع واحد. معجم البلدان: ٥/ ٣٩٧.

الاخرة!! »[١].

وفي خبر أنه: «حين حضرته الوفاة دعا الحصين بن نمير فقال له :ان امير المؤمنين عصاني فيك ،فأبى الّا استخلافك بعدي ،فلا ترسلنَّ بينك وبين قريش رسولا تمكِّنه من اذنيك ،إنما هو الوقاف ،ثم الثقاف ، ثم الانصراف»[٢].

وفي رواية أنه قال له :«قد دعوتك، وما أدري استخلفك على الجيش أو أُقدِّمك فاضرب عنقك ؟قال :أصلحكَ الله، سهمك، فارم به حيث شئت، قال :إنك اعرابي جَلف جاف ،وإنَّ قريشا لم يمكنِّهم رجل قط من أُذنه الا غلبوه على رأيه، فسِرْ بهذا الجيش ، فإذا لقيتَ القوم فاحذر أنْ تُمكِّنهم من أُذنيك ، لا يكون الّا الوقاف، ثم الثقاف، ثم الانصراف»[٣] .

وروى المدائني عن ابن جعدبة: «أنَّ يزيد أَصحَب مسلم بن عقبة طبيبًا، فقال للطبيب إليك عني إنما كنتُ أحبّ أن أبقى حتى أشتفي من قتلة عثمان وقد أدركت ما أردت فما شيء أحبُّ اليَّ من أن أموت على طهارتي قبل أن أُحدث حدثا، فإنَّ الله قد طَهَّرني بقتل هؤلاء الأرجاس»[٤].

ثم انه لّما حضره الموت قال اسندوني، فاسندوه فرفَع يديه ثم قال : اللهم إنك تعلم أني لم أغشّ خليفة قط في سرٍّ ولا علانية، وإنَّ أزكى

(١) الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٦٣. وينظر: تاريخ الأمم و الملوك: ٤/ ٣٨١، المنتظم: ٦/ ٢١.

(٢) الامامة والسياسة: ٢/ ٩.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ١٥٨، تاريخ الاسلام : ٥/ ٣٤- ٣٥.

(٤) أنساب الاشراف: ٤/ ٤١، المنتظم: ٦/ ١٦ باختلاف بعض الالفاظ.

عمـل عملتـه قـط في نفســي بعـد شـهادة أن لا الـه الا الله قـتلي أهـل الحـرَّة، ولئن دخلتُ النار بعد قتلهم إني لشقيّ[١].

ثـم قـال: «إنَّ ابنـي يـزعم أَنَّ أمّ ولـدي هـذه سـقتني السـم، وهـو كـاذب، هـذا داء يصـيبنا في بطوننـا أهـل البيـت. ثـم قـال لبنـي مـرَّة: زُرّاعتـي التـي بحـوران صـدقة عـلى مُـرَّة، ومـا أَغلقَـت عليـه فلانـة بابهـا فهـو لهـا – يعنـي أم ولـده- ، ثـم مات»[٢].

وكان هلاكه بالذبحة[٣]، وقيل بل ابتلاه الله بالمّاء الاصفر في بطنه[٤].

ومـات لعنـه الله وهـو يقـول: اللهـم إني لم أعمـل عمـلا قـط بعـد شـهادة أن لا الـه الا الله وان محمـدا عبـده ورسـوله احـب اليَّ مـن قـتلي اهـل المدينـة، ولا أرجى عندي في الاخرة[٥].

والأدهـى مـن ذلـك مـن ادَّعـى اسـلامه وسـمّاه مسـلمًا، فهـل كـان حقـا يعتنـق ديـن الاسـلام، أو يمُـتّ اليـه بصـلة، أم إنَّ دينـه غـير هـذا الـدين، حتـى يـرى قتـل الصـحابة والتـابعين، والخـوض في دمـائهم تقرُّبـاً الى الله تعـالى وطهـارة مـن الـذنوب، ولعـلَّ الأَمـرَّ مـن ذلـك لعـن بعضـهم لـه واسـتنكارهم

---

(١) ينظر: أنساب الاشراف: ٤/ ٤٠.

(٢) تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١٨.

(٣) ينظر: الاخبار الطوال: ٢٦٧.

(٤) ينظر: شذرات الذهب: ١/ ٧١.

(٥) ينظر: تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١٨، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٦٣.

جرائمه ، ثم توليهم عن لعن من أرسله وارتضى فعله.

ولّما هلك مسرف دفن في ثنية المشلَّ، وقيل في ثنية هرشى ، فلمّا تفرق القوم عنه ، أتته أم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة ، وكانت من وراء العسكر تترقب موته ، فنبشت عنه ، فلمّا انتهت الى لحده ، وجدتُ أسود (أي ثعبان كبير) من الأساود منطويًا في رقبته، فاتحًا فاه ، فتهيَّبته. ثم لم تزل به حتى تنحى لها عنه فَصَلبتُه على المشلّل[1] . ثم أحرقَتُ عليه بالنار، وأخذتْ أكفانه فشقَّتها ، وعَلقَّتها بالشجرة ، فكل مَن مرَّ عليه يرميه بالحجارة[2].

«وبايع الناس للحصين بن نمير السكوني من بعده ، وسار القوم يريدون مكة ، وخرج أهل ذلك المنزل فنبشوه من قبره وصلبوه على نخلة، وبلغ ذلك أهل العسكر فرجعوا إلى أهل ذلك المنزل فوضعوا السيف فيهم ، فقتل منهم من قتل وهرب الباقون ، ثم أنزلوه من النخلة فدفنوه ثم أجلسوا على قبره من يحفظه»[3].

وعن اليعقوبي: «وبلغ الخبر الحصين بن نمير فرجع فدفنه، وقتل جماعة من أهل ذلك الموضع، وقيل لم يَدع منهم أحدًا»[4].

---

(١) ينظر: الامامة والسياسة: ١/ ١٨٧ ، أنساب الأشراف: ٤/ ٤١ باختلاف يسير.

(٢) ينظر: الامامة والسياسة: ٢/ ٩.

(٣) الفتوح: ٥/ ١٦٣.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧٥.

«وسار الحصين بالناس فقدم مكة لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين (٦٤ هـ) وقد بايع أهلها وأهل الحجاز عبد الله بن الزبير واجتمعوا عليه، ولحق به المنهزمون من أهل المدينة وقدم عليه نجدة بن عامر الحنفي في الناس من الخوارج يمنعون البيت، وخرج ابن الزبير الى لقاء أهل الشام ومعه أخوه المنذر»[١] .

ثم انه قال لأخيه المنذر :«ما لهذا الأمر ولدفع هؤلاء القوم غيري وغيرك- وأخوه المنذر ممن شهد الحرة- ،ثم لحق به فجرَّد إليهم أخاه في الناس فقاتلهم ساعة قتالا شديدا. ثم إنَّ رجلا من أهل الشام دعا المنذر الى المبارزة، قال : والشامي على بغلة له، فخرج اليه المنذر، فضرب كل واحد منهما صاحبه ضربةٍ خرَّ صاحبه لها ميتا ، فجثا عبد الله بن الزبير على ركبتيه وهو يقول : يا رب أبرها من أصلها ولا تشدَّها ، وهو يدعوا على الذي بارز أخاه»[٢].

وعن الزبيري أنّ المنذر كان على بغلة فصرع عنها ، فقاتل وهو راجل ، وجعل يقول :

يأبى بنو العوام الاّ وردا   من يقتل اليوم يزوَّدُ حمدا

فلم يزل يقاتل حتى قتل[٣].

---

(١) الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٦٣.

(٢) تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١٨ – ١٩ ، انساب الاشراف: ٤/ ٤٧ باختلاف بعض الالفاظ.

(٣) نسب قريش: ٢٤٥.

ثـم إنَّ أهـل الشـام شـدُّوا علـيهم شـدَّة منكـره وانكشـف اصـحابه انكشافه ، وعثـرت بغلتـه فقـال : تعسـا ! ثـم نـزل وصـاح بأصـحابه : اليَّ ، فاقبـل اليـه المسـور بـن مخرمـة بـن نوفـل ، ومصـعب بـن عبـد الـرحمن بـن عـوف الزهـري ، فقـاتلوا حتـى قتلـوا جميعـا وصـابرهم ابـن الـزبير يجالدهم حتى الليل ، ثم انصرفوا عنه ، وهذا في الحصار الأول.

وأقـاموا عليـه بعـد ذلـك يقاتلونـه بقيـة المحـرم وصـفر كلـه ، حتـى اذا مضـت ثلاثـة ايـام مـن شـهر ربيـع الاول يـوم السـبت سـنة أربـع وسـتين (٦٤ هـ) قـذفوا البيـت بالمجـانيق، وحرَّقـوه بالنـار ، وأخـذوا يرتجـزون ويقولون:

خطَّـارة مثـل الفنيـق[1] المزبـد   نرمـي بهـا أعـواد هـذا المسـجد

وقال بعضهم :

كيـف تـرى صـنيع أم فـروة[2]   تأخـذهم بـين الصـفا والمـروة[3]

وكـان الحصـين بـن نمـير قـد نصـب في مـن معـه مـن أهـل الشـام المجـانيق والعـرادات عـلى مكـة والمسـجد مـن الجبـال والفجـاج[4] ، وفـرض عـلى

(١) الفنيق الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته. معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٤٥٤.

(٢) أم فروة : المنجنيق .

(٣) ينظر: تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١٩.

(٤) ينظر: مروج الذهب: ٣/ ٧٥.

أصحابه عشرة الاف صخرة في كل يوم يرمونها بها[1]، حتى تواردت احجار تلك المجانيق والعرادات على البيت ، ورمى مع الاحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحرقات ، وانهدمت الكعبة واحترقت البنية.. »[2]. واشتد الأمر على أهل مكة وابن الزبير ، واتصل الأذى بالأحجار والنار والسيف ، فأنشأ في ذلك أحد رجال مكة وهو (أبو وجزة المدني) قائلا :

ابن نمير بئس ما تولى   قد احرق المقام والمصلى

وبيت ذي العرش العلي الاعلى   قبلة من حج له وصلى[3]

«وكان عبد الله بن عمير الليثي قاضي ابن الزبير ، اذا تواقف الفريقان قام على الكعبة ، فنادى بأعلى صوته : يا أهل الشام ! هذا حرم الله الذي كان مأمنًا في الجاهلية، يأمن فيه الطير والصيد ، فاتقوا الله ،يا أهل الشام! فيصيح الشاميون: الطاعة الطاعة! الكرّة الكرَّة الرَواح قبل المساء! فلم يزل على ذلك حتى أُحرقت الكعبة فقال أصحاب ابن الزبير : نطفئ النار ، فمنعهم ، وأراد أن يغضب الناس للكعبة، فقال بعض اهل الشام :انَّ الحرمة والطاعة اجتمعتا، فغلبت الطاعة الحرمة»[4].

---

(١) ينظر: الامامة والسياسة: ٢/ ١٠. ولا يخفى أنَّ عدد الصخور المذكور في الخبر لا يخلو من مبالغة، فتأمل.

(٢) مروج الذهب: ٣/ ٧٥.

(٣) الفتوح: ٥/ ١٦٤، مروج الذهب: ٣/ ٧٥.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧٥-١٧٦.

وكـان مـن أثـر تلـك الأحجـار وشرارة النـيران أن احترقـت أسـتار الكعبـة، وسـقفها، وقرنـا الكـبش الـذي فـدى الله بـه اسـماعيل وكانـا في السقف[١] .

وجاء من غير وجه أنَّ الذي أحرق الكعبة، وكان سببا في هدم بنائها، هو عبد الله بن الزبير ،إذ جاء عن المدائني عن أبي بكر الهذلي ،قوله :«لمّا سار اهل الشام فحاصروا ابن الزبير سمع أصواتًا من الليل فوق الجبل، فخاف أن يكون أهل الشام قد وصلوا اليه، وكانت ليلة ظلمّاء ذات ريح شديدة، ورعد وبرق، فرفع نارًا على رأس رمح لينظر الى الناس، فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها واستطارت فيها، وجَهد الناس في اطفائها فلم يقدروا، فأصبحت الكعبة تتهافت، وماتت امرأة من قريش، فخرج الناس كلهم مع جنازتها خوفا من أنْ ينزل العذاب عليهم، وأصبح ابن الزبير ساجدًا يدعوا، ويقول : اللهم إني لم أعتمد ما جرى، فلا تُهلك عبادك بذنبي، وهذه ناصيتي بين يديك. فلمّا تعالى النهار أَمِن الناس وتراجعوا »[٢].

يقول النصولي :«والحقيقة التي لا مِرية فيها أنَّ ابن الزبير أحبَّ أن يستفيد من حرمة الكعبة وقداستها فعاذَ بها، كما أنَّ الامويين لم يتأخروا

---

(١) ينظر: العبر في خبر من غبر: ١/ ٥١، تاريخ الخلفاء : ٢٠٩.

(٢) المنتظم: ٦/ ٢٢-٢٣، البداية والنهاية: ٨/ ٢٥٤ دون نسبتها ،قائلا :وقيل.

عـن احراقهـا في سـبيل الـتخلص مـن عـدِّوهم الجبـار، وإن كـان في ذلـك اغضـاب المسـلمين، فـاعتنى ابـن الـزبير في التحصـن بالكعبـة، كـيما يضـع الامـويين تجاه أمـر واقـع فيعملـون فيهـا نـيرانهم، ويكـون لـه مـن ذلـك سـلاح يطعنهم به، فنجح في خطته التي دبَّرها نجاحا باهرًا»[1].

ولنرجـع فنقـول:«ثـم قاتـل أهـل الشـام أيامـا بعـد حريـق الكعبـة واحترقـت في ربيـع الاول سـنة أربـع وسـتين. ولمّـا احترقـت جلـس أهـل مكـة في ناحيـة الحجـر ومعهـم ابـن الـزبير ، وأهـل الشـام يرمـونهم بالنبـل. قـال :فوقعـت بـين يديـه نبلـة، قـال: في هـذه خـبر ، فأخـذوها فوجـدوا بهـا مكتوبـا :مـات يزيـد بـن معاويـة يـوم الخمـيس لأربـع عشـرة ليلـة خلـت مـن ربيـع الاول. فلـمّا قـرأ ذلـك ابـن الـزبير قـال : يـا أهـل الشـام ، يـا مُحرقـي بيـت الله، يـا مُسـتحلِّي حـرم الله، عَـلام تقـاتلون؟ وقـد مـات طـاغيتكم يزيـد ابـن معاويـة، فأتـاه الحصـين بـن نمـير، فقـال لـه: موعـدك البطحـاء الليلـة يـا أبـا بكـر، فلـمّا كـان الليـل خَـرج ابـن الـزبير بأصـحابه، وخـرج الحصـين بأصـحابه الى البطحـاء، فتنحـى كـل واحـد مـنهما مـن أصـحابه وانفـرَدا، فقـال الحصـين: يـا أبـا بكـر، قـد علمـت أني سـيد أهـل الشـام، لا أُدافَـع عـن ذلـك، وإنَّ أَعنَّـة خـيلهم بيـدي، وأرى أهـل الحجـاز قـد رضـوا بـك، فأبايعـك السـاعة، عـلى أن تهـدر كـل شيء أصـبناه يـوم الحـرة، وتخـرج معـي الى الشـام، فـإني لا أُحـب أن يكـون الملـك في الحجـاز. قـال : لا والله لا أفعـل لا أُؤمَّـن مـن أخـاف النـاس ، وأَحـرق بيـت الله

---

(١) الدولة الاموية في الشام: ١٣٨.

وانتهك حرمته، فقال الحصين : بَلا ، فافعل ، فعليَّ الاّ يختلف عليك اثنان . فأبى ابن الزبير. فقال له الحصين : لعنك الله ، ولعن من زعم أنك سيد ، والله لا تُفلح أبدا ، اركبوا يا أهل الشام»[1] ، وفي خبر، بل قال له : «من زعم إنك داهية فهو أحمق ، أقول لك مالك سرًا، وتقول لي ما عليك علانية ؟ ثم انصرف»[2].

وفي نص آخر:«أَّن ابن الزبير لمّا بلغهُ موت يزيد وأهل الشام لا يعلمون بذلك، قد حصروه حصارًا شديدًا وضيَّقوا عليه، أخذَ يناديهم هو وأهل مكة: علام تقاتلون ؟ قد هلك طاغيتكم ، وأخذوا لا يصدَّقونه حتى قدم ثابت بن قيس بن المنقع النخعي من أهل الكوفة في رؤوس أهل العراق، فمر بالحصين بن نمير - وكان له صديقا-، وكان بينهما صهر، ..الى قوله : فسأل عن الخبر ، فأُخبر بهلاك يزيد، فبعث الحصين بن نمير الى عبد الله بن الزبير ، فقال: موعد ما بيننا وبينك الليلة، الابطح ، فالتقيا ، فقال له الحصين: إنْ يكَ هذا الرجل قد هَلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر، هلمَّ فلنبايعك ، ثم اخرج معي الى الشام، فإنَّ هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم، فوالله لا يختلف عليك اثنان، وتؤمِّن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك، والتي كانت بيننا وبين أهل الحرَّة، ... فزعم بعض قريش، أنّه

(١) الامامة والسياسة: ٢/ ١٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧٧.

قال : أنا أهدر تلك الدماء! أما والله لا أرضى أن أقتل بكل رجل منهم عشرة، وأخذَ الحُصين يكلِّمه سرًا ، وهو يجهر جهرًا ، وأخذَ يقول: لا والله لا أفعل، فقال له الحصين بن نمير: قبَّح الله من يعُدُّك بعد هذه داهيًا قط أو أديباً ! قد كنت أظن أنَّ لك رأيا. ألا أراني أُكلِّمك سرًا وتكلمني جهرًا ، وأدعوك الى الخلافة وتعدني القتل والهلكة. ثم قام فخرج وصاح في الناس، فأقبل فيهم نحو المدينة ، وندم ابن الزبير على الذي صنع فأَرسل إليه : أمّا أن أسير الى الشام فلستُ فاعلًا ، وأكره الخروج من مكة ، ولكن بايعوا لي هنالك فاني مؤمِّنكم وعادل فيكم . فقال له الحصين: أرأيت أن لم تقدِم بنفسك ووجدتُ هنالك أناسًا كثيرًا من أهل هذا البيت يطلبونها يجيبهم الناس ، فما أنا صانع ؟ فأقبل بأصحابه ومن معه نحو المدينة» [١].

«واجترأ أهل المدينة وأهل الحجاز على أهل الشام فذُلُّوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل الاّ أُخذ بلجام دابته ثم نُكس عنها ، فكانوا يجتمعون في معسكرهم فلا يتفرَّقون» [٢]. «وإنْ كانت الوليدة لتخرج فتأخذ الفارس ما يمتنع» [٣]، وإنْ كانت الراعية في غنمها لتأتي بالرجل منهم مربوطًا ،

(١) تاريخ الامم والملوك: ٥/ ٢٢-٢٣، الفتوح: ٥/ ١٦٤-١٦٦ باختلاف يسير، المنتظم: ٦/ ٢٣، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٦٧، البداية والنهاية: ٨/ ٢٥٤.

(٢) الطبري : تاريخ الامم والملوك: ٥/ ٢٣ ، المنتظم: ٦/ ٢٤، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٦٨ باختلاف في اللفظ.

(٣) الامامة والسياسة: ٢/ ١٢.

فيُبعث بهم الى المدينة ، وأَصاب منهم أهل المدينة حين مرُّوا بهم ناسا كثيرا ، فحبسوا بالمدينة ، حتى قدم مصعب بن الزبير عليهم من عند عبد الله بن الزبير ، فأخرجهم الى الحرَّة، فضرب اعناقهم ، وكانوا اربع مئة واكثر ، وانصرف ذلك الجيش الى الشام مفلولا ، وبايع أهل المدينة لابن الزبير بالخلافة[1] .

وفي خبر: «أنَّ الحصين لمّا انصرف في أصحابه الى الشام ، ومر بالمدينة ، بلغَه أنهم على محاربته ثانيًا ، فجمعَ إليه أهلها ، وقال : ما هذا الذي بَلغني عنكم ؟ فاعتذروا إليه ، وقالوا : ما هممنا بذلك»[2].

والخبر يشير بوضوح الى بقاء سطوة الجيش الأموي وتماسكه حتى بعد خروجه من المدينة ورجوعه الى الشام، وهو ما قد يتعارض والخبر السابق والله سبحانه العالم .

ولّما خرج الجيش الى الشام ارتحل معه بنو امية فوجدوا معاوية بن يزيد بن معاوية قد استخلف مكان ابيه بدمشق عن وصية من ابيه له بذلك[3].

الى آخر تلك الأحداث والخطوب التي شهدتها الأمة، وتجرعت مرارتها ابّان أيام يزيد بن معاوية ومن تلاه من جبابرة الامويين ، فمن

(١) الامامة والسياسة: ٢/ ١٠.

(٢) الاخبار الطوال: ٢٦٨.

(٣) ينظر: البداية والنهاية: ٨/ ٢٥٤ ، المنتظم : ٦/ ٢٤ باختلاف بعض الالفاظ.

شاء الاطلاع على مزيد أخبارهم ووقائع أيامهم فعليه بمدونات أهل التاريخ ومصنفاتهم أمثال الطبري وابن الاثير وغيرهم من أصحاب السير والتواريخ .

نظرة في أسباب الحرب

بعد استقصائنا احداث يوم الحرَّة وسرْدِنا أهم أخبارها، ووقائع فواجعها، وبعد التماسنا الوقوف على متشابك الظروف والاحوال التي صاحبت نشوبها واضرام سعارها، يتبين لنا بوضوح أنَّ قيامها كان عن أسباب عديدة متنوعة، منها سياسية ومنها اقتصادية، واجتماعية من الممكن تلخيصها بالآتي:

١- جور الحكم الأموي ومنهجيته الخاطئة في تبنِّيه سياسة العزل والتجاهل أزاء أهل الحجاز عموما ومكة والمدينة خصوصا، تلك السياسة التي وضَع خطوطها الأولى وكان وراء إحداثها معاوية بن أبي سفيان، حينما أبقى الشام دارًا لملكه وسلطانه، وعمد الى تهميش دور المدينة كمركز ديني وسياسي مثَّل عاصمة الإسلام لفترة طويلة إبّان حياة الرسول الاكرم(صلى الله عليه وآله)، والخلفاء الثلاثة ، ثم محاولته إلغاء اثر الصحابة، الأنصار منهم على وجه الخصوص، وتحجيم دورهم على الساحة السياسية من خلال عزلهم، وخفض أقدارهم، واهمال ذكرهم، وهو ما احتذاه فيهم من بعده ولده يزيد مستلهمًا فعل أبيه ، ومن أشبه أباه فما ظلم .

٢- تحريض معاوية بن أبي سفيان ولده يزيد بتلك الوصية المشؤومة، وحضِّه على ضرب المدينة والفتك بأهلها في حال انتفاضتهم ضده، أو نكثهم بيعته ، وإيصائه رمْيهم بأشرس أتباعه وأكثرهم وحشية وهو مسرف بن عقبة، لقمع حركتهم، والقضاء عليها دون أدنى صفح أو رحمة .

٣-اقـدام أهـل المدينـة عـلى طـرد بنـي أميـة وتعجيـل اخـراجهم بشـكل قبـيح دون النظـر في مغبّـة هـذا الأمـر أو تقـدير عواقبـه، وهـو مـا أَلهَـب قلـب يزيـد وزاد في نقمتـه علـيهم، ودفـع بـه إلى الاسراع بتجهيـز تلـك الجيـوش وبعثها لقتالهم وانقاذ رهطه من الأمويين.

٤- ثـورة الامـام الحسـين (عليه السلام)السَّـباقة الى رفـض الحكـم الامـوي وجبروتـه، والإطاحـة بشـرعيته المزعومـة، وتفنيـد أحقيـة حكّامـه بالخلافـة، مـع فضـح جـورهم وطغيـانهم، وكشـف السـتار عـن سـوء أفكـارهم ومعتقداتهم المخالفة لروح الاسلام وعقائده السامية .

٥-الأزمـة الاقتصـادية الصـعبة التـي عصـفت بالمدينـة ودفعـت بأهلهـا الى حـدود الضـيق والفاقـة، مهـددًة إيـاهم بـالفقر والعَـوز، والتـي كـان معاويـة بـن أبي سـفيان قـد سَـنَّها أيـام حكمـه، وعمـل عـلى تطبيقهـا بمكـره ومكائـده، مبتـدئًا ذلـك بمحاولتـه التقليـل مـن شـأن المدينـة وسـلْبها معالمهـا الدينيـة والتاريخيـة، كعزمِـه نقـل منـبر النبـي الأكـرم(صلى الله عليه وآله) وعصـاه الى الشـام، ومـا في فعلـه هـذا مـن ضَرْبٍ لأثرهـا الـديني ورمزهـا التـاريخي، ثـم اقدامـه بعـد فشـله في ذلـك عـلى شَـلِّ تجـارتهم، وتضـييق فسـحة أرزاقهـم، واسـتغلال ذلـك في مسـاومتهم والضـغط علـيهم لبيـع أملاكهـم وأراضـيهم إليـه وبـأبخس الأثـمان، حتـى عَضَّـهم الفقـر وأَجـدبَت أيـامهم وأصـبحوا غرضًـا لآفـات الـدهر، ومـا خـبر ابـن مينـا الصـوافي مـع أهـل المدينـة والـذي أشرنا إليه سلفا الا دليل على ذلك .

٦-جور العمال المتعاقبين على ولاية المدينة من قبل معاوية وولده يزيد، وتبنِّيهم سياسة التجاهل والحرمان في تعاملهم مع أهلها وهم بقية الصحابة والتابعين ، ومحاوله تحقيرهم وامتهانهم والحطِّ من أقدارهم، وهو ما دفع بهم الى اشعال تلك الثورة، وايقاد نارها ضد ظلم يزيد وحَيْف ولاته الطغاة.

٧-ظهور ابن الزبير التوّاق الى كرسي الخلافة، وعلوِّ أمره في مكة بعد استشهاد الامام الحسين(عليه السلام)، واستثماره النقمة المتزايدة على يزيد لتحقيق مآربه وأهدافه في الدعوة الى نفسه وارتقاء السلطة ، مبتدئًا مكره في ذلك بالدعوة الى الرضا والشورى، وتقمُّصه ثوب التزهد والعبادة، ثم اختداعه أهل المدينة واستدراجهم للدفاع عنه والوقوف دونه في مواجهة يزيد بن معاوية، الذي وَجَد في فتنة ابن الزبير الخَطر الداهم الذي يهدد مُلكه وينذر بزوال سلطانه، فعمد الى بعث تلك الجيوش وتجهيزها لقتالهم.

وقد يعدَّ هذا السبب من أهم الاسباب وأكثرها تأثيرًا في وقوع تلك الحرب المُهلكة، وما شِعْر يزيد الذي خاطَب به ابن الزبير لمّا استعرض تلك الجيوش الّا شاهد على ذلك، والله سبحانه العالم .

نظرة في اسباب الهزيمة

مما لا شك فيه أنَّ التقهقر السريع لجيش المدينة، وهزيمته المنكرة أمام جيوش الشام كان السبب المباشر لويلات يوم الحرَّة وآهاتها، وما أَلَمَّ بالمدينة والأُمة على حدٍّ سواء من فداحة ذلك الخطب الجليل ورزاياه ، وحيث إنَّ اندحار جيش المدنيين وانهياره بتلك السرعة؛ إنما جاء عن أسباب لا تُعجز الباحث المتبصر تمييزها وادراك حقائقها، لذا كان لا بد لنا من تناول بحثها وتدقيقها، والنظر في جوهرها بمزيد العناية والتدبر، ثم تلخيصها بالآتي :-

١- خيانة بنو حارثة إحدى قبائل العرب الساكنة في المدينة، وفتح الطريق من قِبَلهم لجند الشام، وتسهيل مهمة اختراقهم المدينة والدخول الى جوفها، والايقاع باهلها قتلا وتشريدا، ولقد تمَّ هذا الامر بتدبير غادر من مروان بن الحكم وكما مر تفصيله سلفا . قال الطبري : «فبينما الناس في قتالهم اذ سمعوا التكبير من خلفهم في جوف المدينة ، واقحم عليهم بنو حارثة اهل الشام ، وهم على الجدّ ، فانهزم الناس» .[1]

٢- خيانة مروان بن الحكم وولده عبد الملك ورفدهما مسرف بن عقبة، وادلاله وجند الشام على ثغرات المدينة وعوراتها، وكما تقدم ذكره مسبقا ، إذ ساعَدت معونتهم تلك في تهيئة ظروف قتالية خاصة عزَّزت

---

(١) تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١٧ ، العقد الفريد: ٤/ ٣٨٩ الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٦٠ ، تاريخ خليفة: ١٤٩، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧٥ سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٩٣ وغيرها العديد، وبألفاظ متقاربة.

انتصار جيش الشام، وحصول تلك المأساة المروعة، فكانا بفعلهما ذاك قد أفشيا سرِّ الأمانة وحملا إصر الخيانة، ونبذا عهد الله ورسوله(صلى الله عليه وآله).

٣- اختلاف أهل المدينة وانقسام آرائهم حول مبايعة ابن حنظلة الغسيل وقتال يزيد بن معاوية، ورفض بعض الصحابة ذلك بإصرار كعبد الله بن زيد بن عاصم، الذي [1] قيل له يوم الحرَّة: هذا ابن حنظلة يبايع الناس ، قال : عَلامَ يبايعهم ؟ قالوا : على الموت ، قال : لا أُبايع أحدًا على هذا بعد رسول الله(صلى الله عليه وآله).

وممن رفض بيعة ابن حنظلة رفضا قاطعا الصحابي عبد الله بن عمر بن الخطاب، الذي رأى في نكث بيعة يزيد ورفض جبروته ، تفريقا لجمع الامة وتبديدًا لشملها، فكان يُنكر على أهل المدينة مبايعتهم ابن حنظلة والتفافهم حوله ، ولقد قال لأهله وقد جمعهم أيام الحرَّة: «أمّا بعد فإنّا بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ، .. إلى قوله: فلا يخلعنَّ أحد منكم يزيد ولا يُسرفنّ أحد منكم في هذا الأمر ، فيكون الصَيلم بيني وبينه» . [2]

وكان يقول اذا دعي الى بيعة ابن حنظلة : انما كنا نبايع رسول الله(صلى الله عليه وآله) على أنْ لا نفر. [3]

(١) تاريخ الاسلام : ٥/ ٢٦ ، تهذيب تاريخ دمشق: ٧/ ٣٧٥.

(٢) البداية والنهاية: ٨/ ٢٦١.

(٣) ينظر: البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٥.

وروى غير واحد أنّه ممن أظهرَ الشماتة والتشفِّي بأهل المدينة يوم الحرَّة، وكان يقول وهو يرى قتل الناس وفرارهم، وصياح النساء والصبيان : بعثمان ورب الكعبة [١].

٤- اقدام أهل المدينة على اخراج مروان بن الحكم وبني أمية من المدينة، والتهاون في حجزهم أو تسييرهم نحو ابن الزبير، والاستفادة من ذلك كورقة ضغط رابحة ضد يزيد بن معاوية (الذي أقلقه حال الامويين بينهم)، ثم استجرار مساومته عليهم للحيلولة دون وقوع تلك الحرب الضروس، وهو ما لم يفعلوه أو يعملوا به، وهذا ابن قتيبة يخبرنا بقول مروان لولده عبد الملك وقد همَّ أهل المدينة بإخراجهم ، قائلا له : «يا بني إنَّ هؤلاء القوم لم يدروا ولم يستشيروا ، فقال ابنه : وكيف ذلك ؟ قال : اذ لم يقتلونا أو يحبسونا، فان بَعثوا الينا بعثًا كُنّا في أيديهم ، وما أَخوَفني أن يفطنوا لهذا الأمر فيبعثوا في طلبنا فالوحى الوحى والنجاء النجاء» [٢].

وذكر المسعودي ايضا :«وكان اخراجهم لِما ذكرنا من بني أمية وعامل يزيد عن إذن ابن الزبير، فاغتنمها مروان منهم ، إذ لم يقبضوا عليهم ويحملوهم الى ابن الزبير، فحثُّوا السَير نحو الشام » [٣].

(١) ينظر: المنتظم : ٦/ ١٦ ، البداية والنهاية: ٨/ ٢٤٨.

(٢) الامامة والسياسة: ١/ ١٧٨.

(٣) مروج الذهب: ٣/ ٧٣.

٥- عدم انتظام جيش المدينة تحت قيادة موحدة، وتقسيمه الى سرايا متفاوتة بقيادات مختلفة، أدَّت الى وهن نسيجه وخلخلة بنيانه ، فوجود أكثر من قائد يعني صدور أكثر من أمر في وقت واحد، وهو ما أَربَك الجند وزعزع روحهم القتالية، وقد يحدثنا عن ذلك بعض المؤرخين وهو يصف لنا قادة جيش المدينة ، فيقول:«وذكروا أنه لمّا قُرئ الكتاب(أي كتاب يزيد بن معاوية)، تكلم عبد الله بن مطيع ورجال معه كلامًا قبيحا، فلمّا استبان لهم أنَّ يزيد باعث الجيوش إليهم ، أجمعوا على خلافه ، واختلفوا في الرئاسة أيّهُم يقوم بهذا الامر، فقال قائل: ابن مطيع وقال قائل: ابراهيم بن نعيم ، ثم اجتمع رأيهم أن يقوم بأمرهم ابن حنظلة »[1].

وذكر الطبري:: «وأما عوانة بن الحكم الكلبي، فذكر أن عبد الله بن مطيع كان على قريش من أهل المدينة، وعبد الله بن حنظلة الغسيل على الأنصار، ومعقل بن سنان على المهاجرين»[2].

وقد يُشَمُّ من تشاطر القيادة في الجيش المدني، وبالشكل الذي أشار إليه المؤرخون رائحة التعصب القبلي والتكتل القومي في ما بينهم ، والّا فما ضرورة أنْ يكون الأنصاري أميرًا على الأنصار فقط دون قريش وبقية المهاجرين، أو أن يكون القرشي أميرًا على القرشيين والمهاجرين دون الانصار والموالي ، وما المّانع من أن يندرجوا جميعا في جيش واحد وتحت قيادة واحدة ، سواء كانت تلك القيادة من المهاجرين أو من الانصار أو من غيرهم من المسلمين ما دام قائد ذلك الجيش مؤمنًا بأهداف الحرب عارفا

(١) الامامة والسياسة: ١/ ١٧٨.

(٢) تاريخ الامم والملوك: ٥/ ١٠.

بفنون القتال، ولقد روي عن حبر الأمة ابن عباس قوله وقد قَدِم المدينة زمن الحرَّة يستعلم أخبار المعركة ، قائلا : «من استعمل القوم ؟ قالوا : على قريش عبد الله بن مطيع، وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة بن الراهب ، فقال : أميران ! هلك والله القوم»(١).

٦- التفوق العسكري الواضح لجيش الشام على جيش المدينة من حيث العدة والعدد وكثرة الامدادات والمؤَن، إذ يخبرنا المؤرخون أنَّ جيش الشام الذي جَرَّده يزيد بن معاوية لقتال أهل المدينة قد قارب الثلاثين ألف مقاتل ما بين فارس وراجل، فعن ابن قتيبة«، قال : «فلمّا كانت تلك الليلة ، قال يزيد : اين مسلم بن عقبة ؟ فقام فقال : ها أنا ذا ، قال : عبِّء ثلاثين الفا من الخيل، قال : وكان معقل بن سنان الاشجعي نازلا على مسلم بن عقبة : فقال له مسلم بن عقبة : ان امير المؤمنين امرني ان اتوجه الى المدينة في ثلاثين الف ..»(٢).

وروى ابن اعثم : «ثم أَمر يزيد الناس فجمعهم لمسلم بن عقبة المري فاجتمع إليه عشرون ألف فارس وسبعة آلاف راجل»(٣).

وعن بعضهم: أنَّ مسلم بن عقبة توجَّه الى المدينة في اثني عشر ألف فارس، وخمسة عشر ألف راجل(٤).

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ١٤٨، عيون الاخبار : ١/ ١ ، العقد الفريد: ٤/ ٣٨٨ ، تهذيب تاريخ دمشق: ٧/ ٣٧٧.

(٢) الامامة والسياسة: ٢/ ٧.

(٣) الفتوح: ٥/ ١٥٨.

(٤) ينظر: تاريخ الاسلام: ٥/ ٢٥ ، االبداية والنهاية: ٨/ ٢٤٥.

أمّـا مـؤن جـيش الشـام وامداداتـه فقـد تميـزت أيضـا بـالوفرة والضـخامة، حيـث يصـفها لنـا ابـن قتيبـة، قـائلا: «ووجَّـه معـه عشرـة آلاف بعـير تحمـل الزاد حتى خَرج، فخرج معه يزيد فودَّعه»[1]... الخ .

أما جيش المدينـة فلـم يكـن ليملـك مثـل تلـك الهيئـة والاسـتعدادات نظـرا لّمـا كـان عليـه مـن قلـة التسـليح والمؤونـة وانقطـاع المـدد والمعونـة، حتـى مـن ابـن الـزبير نفسـه الـذي كـان وراء تـأجيج تلـك الفتنـة العميـاء، وشـبَّ لظـى حربهـا الملتهبـة، والـذي أفصـح عـن سُـقم ضـميره وقـبح طويتـه باتخـاذ المـدنيين كـبش فـداء لـه، فلـم يُنجـدهم بـأي مـال أو رجـال واكتفـى بإرسـال رجلـين مـن خُلَّـص بطانتـه إلـيهم همـا: أخـوه المنـذر بـن الـزبير وعبـد الله بـن مطيـع العـدوي ، اللـذان أوكـل الـيهما مهمـة اثـارة أهـل المدينـة وتحريضـهم، واسعار نائرة التمرد فيهم ضد يزيد بن معاوية وجيشه الهمجي الآثم .

وختامـا للأسـباب الأنفـة فـلا يبعـد أن يكـون لموقـف أهـل البيـت (عليهم السلام) السـلبي مـن الثـورة، أثـرًا بالغًـا في فشـلها مـن جهـة عـدم إمضـاء شرعيتهـا. والله سبحانه العالم.

---

(١) الامامة والسياسة: ١/ ١٧٩

يزيد بن معاوية في الميزان

لّما كانت بلايا يوم الحرَّة ومِحنها، قد مسَّت جسد الأُمة أيام يزيد بن معاوية وجرت حوادثها عن أمره، لذا كان لابد لنا بعد استقصائنا أخبارها والوقوف على أهم اسبابها ، التطرق لذكر يزيد وبيان بعض سيرته وصفاته، ثم النظر بمرآة التجرد والحقيقة لطباع شخصه وملامح ذاته. وما كان من أثرها البشع في طوارق عصره وفجائع دهره، وحيث أَنّ الحديث في مقامنا هذا موضع اهتمام الباحثين وعناية المؤرخين، وذو أهمية بالغة لدا عموم المسلمين، ولتفويت الفرصة على خصماء الحقيقة وعُشاق التعصب، لذا عمدنا استقاء ترجمته وأحواله من مصادر اخواننا أهل السنة، وبحيادية تامة حرصا منّا الوصول الى الحقيقة المجردة .

واستنادا إلى ما أسلفنا، نقول بإيجاز : هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، أبوه هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب الذي ملك باسم الخلافة بعد هدنته مع الامام الحسن(عليه السلام)سنة (٤١ هـ) ، واستمر متسوِّرًا سلطتها حتى مماته سنة (٦٠ هـ)، وقد اشرنا الى ذلك مسبقًا .

أما أمّه فهي ميسون بنت بحدل بن أنيف بن دلجة الكلبي، وكلب من القبائل العربية التي سكنت البادية وكانت تعتنق دين النصرانية قبل الاسلام وبعده، وهذه القبيلة كما ذكرها القلقشندي: بطن من خثعم ،

وبنو [1]خثعم بطن من انمار بن أراش من القحطانية ، وهم من ربيعة بن خثعم ومساكن قومهم بارض الحجاز [2].

ولّما كانت أم يزيد مساكن أهلها البادية، وقد نقلها معاوية من البدو الى الشام، لذا كانت تُكثر من الحنين الى منازل قومها وعشيرتها، فسمعها معاوية ذات يوم وهي تنشد الابيات الآتية:

للبس عباءة وتقرّ عيني	أَحَبُّ إليَّ من لبس الشفوف
وبيت تخفق الأرياح فيه	أَحَبُّ إليَّ من قصر مُنيف
وبكر تتبع الأظعان صعب	أَحَبُّ إليَّ من بغل زفوف
وكلب ينبح الأضياف دوني	أَحَبُّ إليَّ من هِرّ ألوف
وخَرِقٌ من بني عمي فقير	أحبُّ إليَّ من علج[3] عنيف[4]

فقال لها معاوية: ما رضيت يا ابنة بحدل حتى جعلتني علجاً عنيفًا ، الحقي بأهلك، فمَضت الى بادية بني كلب ويزيد معها، وقيل بل طلقها وهي حامل به[5].

وأقام يزيد معها بين أهلها في البادية، وتعلَّمَ الفصاحة ونظم الشعر

---

(١) نهاية الارب: ٢٢٧.

(٢) نهاية الارب: ٣٦٥.

(٣) العلج : بوزن العجل ، الواحد من كفار العجم ، مختار الصحاح:٤٤٩.

(٤) ينظر: المختصر في أخبار البشر: ١/ ١٩٢-١٩٣.

(٥) - البداية والنهاية : ٨/ ٢٥٥.

هناك في بادية بني كلب[1].

ولعل هذا ما يفسّر لنا تقريبه بعض النصارى، ومعاشرته لهم وجعلهم من بطانته وأهل مشورته، أمثال سرجون النصراني مولى معاوية والاخطل الشاعر وغيرهم[2]، وامتزاجه ببعض عاداتهم وتقاليدهم السائدة فيهم آنذاك.

أمّا حُبّ معاوية له وشغفه به، فيحد ثنا عنه المؤرخون، فيقولون: قد رآه يومًا وأمه ميسون تمشّطه وهو صبي صغير، ومعاوية مع زوجته الحظيَّة عنده في المنظرة، وهي فاختة بنت قرظة، فلمّا فرَغت من مشطه نظرت أمه إليه فأعجبها فقبَّلته بين عينيه، فقال معاوية عند ذلك :

اذا مات لم تفلح مزينة بعده فنوطي عليه يا مزين التمائما[3]

وانطلق يزيد يمشي وفاختة تتبعه ببصرها ثم قالت: لعن الله سواد ساقي أمك، فقال معاوية : أما والله إنه لخير من ابنك عبد الله – وهو ولده منها، وكان احمق – فقالت فاختة: لا والله لكنك تُؤثر هذا عليه، فقال: سوف أُبيّن لك ذلك حتى تعرفينه قبل أنْ تقومي من مجلسك هذا، ثم استدعى ابنها عبد الله، فقال له: إنه قد بدا لي أن أُعطيك كل ما تسألني في مجلسي هذا ، فقال: حاجتي أن تشتريَ لي كلبًا فارهًا وحمارًا فارهًا، فقال:

---

(١) المختصر في أخبار البشر: ١/ ١٩٢

(٢) ينظر: تاريخ الامم والملوك: ٤/ ٥٦٤

(٣) ينظر: البداية والنهاية: ٨/ ٢٥٥ ، الكامل في التاريخ: ٣/ ٤٦٥ باختلاف يسير

يـا بنـي أنـت حمـار وأشـتري لـك حمـارًا ؟ قـم فـاخرج ؟ ثـم قـالَ لأمـه: كيـف رأيـت ؟ ثـم اسـتدعى يزيـد، فقـال : إني قـد بـدا لي أن أعطيـك كـل مـا تسـألني في مجلسي- هـذا، فسـلني مـا بـدا لـك – فخـرَّ يزيـد سـاجدًا، ثـم قـال حـين رفـع رأسـه: الحمـد لله الـذي بلَّـغ أمـير المـؤمنين هـذه المـدة ، وأراهُ فيَّ هـذا الـرأي، حـاجتي أن تعقـد ليَ العهـدَ مـن بعـدك، وتـولِّيني العـام صـائفة المسـلمين، وتـأذن لي في الحـج إذا رجعـت، وتـولِّيني الموسـم، وتزيـد أهـل الشـام عشـرة دنـانير كـل رجـل في عطائـه، وتجعـل ذلـك بشـفاعتي، وتَعـرض لأيتـام بنـي جُمح، وأيتـام بنـي سـهم، وأيتـام بنـي عـدي، فقـال : مـا لـك ولأيتـام بنـي عـدي؟ فقـال : لأنهـم حـالفوني، وانتقلـوا الى داري. فقـال معاويـة : قـد فعلـت ذلـك كلـه، وقبَّـل وجهـه، ثـم قـال لفاختـه بنـت قرظـة : كيـف رأيـتِ؟ فقالـت: يـا أمير المؤمنين أوصه بي فأنت أعلم به منّي، ففعل .

والخـبر لا امـتراء فيـه، يفصـح عـن رغبـة يزيـد وظمئـه الشـديد للملـك والسيادة، وشـوقه المبكـر لنيـل الحكـم والقيـادة، وهـو لا يـزال بعـد في سـنّ الصِبا، وهذا ما أَقلقَ زوجة أبيه منه، ومن طموحه الجامح .

ثـم شَـبَّ يزيـد في كنـف أبيـه معاويـة الـذي أَفـرط في محبتـه لـه وتعلقـه بـه، فـما كـان لينهـاه عـن إثـم، أو يصـرفه عـن جـرم، قـد تغافـل عـن شـهواته ولذاتـه، وتعـامى عـن هفواتـه وزلاتـه ، مـع زقِّـه كُـره الصـحابة وبغضـهم، الأنصـار مـنهم عـلى وجـه الخصـوص، حتـى نشـأ يزيـد شـاربًا للخمـور، مسـرفا في اللـذات ،كثـير الخطايـا والعثـرات، فاسـقا ، متهتكـا ، لا يتـوانى

عـن فعـل الكبـائر[١] ، مشـتهرا بالمعـازف والغنـى، والصـيد، واتخـاذ الغلـمان والقيـان، والنطـاح بـين الكبـاش، والـدباب والقـرود، ومـا مـن يـوم الا يُصبح فيـه مخمـورًا، وكـان يَشـدُّ القـرد عـلى فـرس مُسْرـجة بحبـال ويسـوق بـه، ويُلـبس القـرد قلانـس الـذهب، وكـذلك الغلـمان، وكـان يُسـابق بـين الخيل، وكان إذا مات القرد حزن عليه[٢].

وروي أنــه لمّــا تفــاقم أمــره وظهــر للنــاس فســقه، وعبثــه، وتجــاهره بالمعاصي، أراد معاوية تنبيهه فقال له :

« يــابني مــا أقــدرك عــلى أن تصــل الى حاجتــك مــن غــير تهتــك يــذهب بمرؤتـك وقـدرك ، ويشـمت بـك عـدوك ويُسـئ بـك صـديقك، ثـم قـال: يـا بني إني منشدك أبياتاً فتأدَّب بها واحفظها، فأنشده :

انصب نهارًا في طلاب العلا ... واصبر على هجر الحبيب القريب

حتى إذا الليل أتى بالدُّجى ... واكتحلت بالغمض عين الرقيب

فباشر الليل بما تشتهي ... فإنما الليل نهار الأريب

كم فاسق تحسبه ناسكا ... قد باشر الليل بأمر عجيب

غطى عليه الليل أستاره ... فبات في أمن وعيش خصيب

ولذة الأحمق مكشوفة ... يسعى بها كل عدو مريب[٣].

---

(١) مروج الذهب: ٣/ ٧٢

(٢) البداية والنهاية: ٨/ ٢٦٥

(٣) البداية و النهاية: ٨/ ٢٥٦ -٢٥٧

ولا يعمى على ذي بصر، مراد معاوية من الأبيات السابقة، وأنها لم تكن لوعظ يزيد أو زجره، بل لحثِّه وترغيبه على اتخاذ الليل غطاءًا للهوه وعبثه، وتجنب إظهارها أمام الملأ ، وهو ما أكَّد رضاه بفحشه، وموافقته لمجونه ، وما كل ذلك الا لحرصه على تجميل فعل يزيد بين الناس، وتحسين صورته عندهم، تمهيدا لعهد الأمر اليه وتوليته من بعده، ومن شواهد ذلك أيضا ما رواه المبرد ، قائلا: «وحدُّثت أنَّ معاوية استمع على يزيد ذات ليلة، فسمع من عنده غناء أعجبه ، فلَمّا أصبح قال ليزيد : من كان مُلهيك البارحة ؟ فقال له يزيد : ذاك سائب خاثر، قال : إذًا فاختر له من العطاء» [1].

أضف الى ذلك ما كان من تأييده يزيد الاستخفاف بالصحابة والسخرية منهم، حتى مع مَن عُدَّ من شيعته وأنصاره كالنعمان بن بشير الانصاري[2]، أحد حماته المخلصين، إذ روى الزبير بن بكار بسنده عن الفرزدق قائلا:

---

(١) الكامل في اللغة والادب: ٤٣٦.

(٢) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، عداده هو وأبوه في الصحابة، كان يكنى: أبا عبد الله، وأمه : (عمرة بنت رواحة) ، أخت (عبد الله بن رواحة). وجَّهته نائلة (زوجة عثمان بن عفان) بقميص عثمان بعد قتله ، إلى معاوية ، فنزل الشام . وشهد صفِّين مع معاوية. وكان يغير على أطراف دولة أمير المؤمنين عليه السلام من قبل معاوية، ووليَ القضاء بدمشق، بعد فضالة بن عبيد، وولي اليمن لمعاوية ، ثم استعمله على الكوفة ، تسعة أشهر ، وعزله وولاه حمص. واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية ، فبايع النعمان لابن الزبير. وتمرد أهل حمص ، فخرج هاربا ، فاتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله، وذلك سنة ٦٥هـ. وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد الهجرة. ينظر: المعارف: ٢٩٤ ، الغارات: ٢/ ٤٤٥، الأعلام: ٨/ ٣٦.

«كُنّا في ضيافة معاوية، ومعنا كعب بن جعيل التغلبي، قال: فحدَّثني : أنَّ يزيد بن معاوية قال له: إنَّ ابن حسان قد فضَح عبد الرحمن بن الحكم، وغلَبه ، وفضَحنا، فاهج الأنصار ، قال له: أرادِّي أنت في الشرك ؟ أهجوا أقواما نصروا رسول الله (صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ)، وآووه، ولكني أدُلّك على غلام منّا نصراني لا يبالي أنْ يهجوهم، كأنَّ لسانه لسان ثور، قال: من هو ؟ قلت الأخطل. فدعاه فأمره بهجائهم، قال : على أنْ تمنعني، قال: نعم»[1]، فأنشأ الأخطل قائلا :

ذَهَبَتْ قُريشُ بالمكارمِ كُلها   واللؤم تحت عمائم الانصار[2]

فلمّا قال هذا البيت دخل النعمان بن بشير بن سعد الانصاري على معاوية ، فحسر عمامته عن راسه ، ثم قال : يا معاوية ، أترى لؤما ! فقال : ما ارى الا كرما . فقال النعمان :

معاوي ألّا تعطنا الحق تعترف   لحي الأزد مسدولًا عليها العمائم

أيشتمنا عبد الأراقم ظلة   فماذا الذي تجدي عليك الأراقم

فمالي ثأر دون قطع لسانه   فدونك من ترضيه عنه الدراهم[3].

نعم هكذا كان غَرْس معاوية ليزيد واختصاصه بمساوئ أبوَّتِهِ ، تلك الأبوَّة التي غرقت بحب ولدها فلم تدّخر وسعًا في اسعاف رغباته

---

(١) الأخبار الموفقيات: ٢٢٧.

(٢) ينظر: الكامل في اللغة والادب: ١٢٧.

(٣) ينظر: الكامل في اللغة والادب: ١٢٨.

واهوائـه، وتـزيين بوائقـه وآثامـه، ومزجهـا بـروح الغطرسـة والتجـبر، مـع تزييـف الحقـائق وانكارهـا ، ثـم لم يكتـف بـذلك حتـى أغـرى بـه شـغَفه الى أنْ يسـتخلفه عـلى الرعيـة ويبـايع لـه بولايـة العهـد، وهـو يعلـم أنـه غـير خليـق بهـا، ولا يصـلح لهـا بـأي حـال مـن الأحـوال ، بـل أنَّ يزيـد نفسـه كـان لا يـرى الصـدق في مبايعـة النـاس لـه، وايجـابهم الى بيعتـه ممـن سـارعوا لتلـك البيعـة ، حيـث خاطـب أبـاه معاويـة يـوم بُويـعَ لـه بولايـة العهـد، وقـد رأى النـاس يمدحونــه ويقرظونــه، قــائلا:«يــا أمــير المــؤمنين، والله مــا نــدري ،أنخــدع النـاس أم يخـدعوننا ! فقـال لـه معاويـة : كـل مـن أردت خديعتـه فتخـادَعَ لـك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته»[1].

ويخبرنـا أهـل السـير أنَّ ترشـيحه مـن قِبـل أبيـه لولايـة العهـد كـان (سـنة ٥٦هـ) [2] ،وقيـل بـل حصـل (سـنة ٥١هـ) [3]، وقيـل غـير ذلـك والظاهر أنه تكرر عدة مرات.

وفي شــهر رجــب مــن (ســنة ٦٠ هــ) للهجـرة نُـودِي ليزيـد بالخلافـة واعـتلاء العـرش، وذلـك بعـد مـوت أبيـه معاويـة بـن أبي سـفيان، فكانـت مـدة ملكـه حتـى هلاكـه (سـنة ٦٤هـ) ثـلاث سـنين وثمانيـة اشـهر[4]، وقيـل بـل

---

(١) الكامل في اللغة والادب: ٣٤١.

(٢) تاريخ الطبري: ٤/ ٥١٨ ، البداية والنهاية: ٨/ ٩٤.

(٣) تاريخ الخلفاء:١٩٦.

(٤) تاريخ خليفة: ١٥٧ ، البدء والتاريخ: ٦/ ١٦ ، تاريخ ابن العبري: ٩٨ .

ثلاث سنين وتسعة اشهر [1]،وقيل غير ذلك على اقوال كثيره في سِنِّه ومبلغ أيامه[2].

صفاته

روى المؤرخون ، أنه كان فيه خصال محمودة من الكرم والحلم والفصاحة والشعر[3] ، وفي شعره مادل على كفر وزندقة[4]، ذا رأي وحزم وفطنة[5]، وكان ناصبيًا فظًا غليظًا جلفًا يتناول المُسكر ويفعل المنكر فيه اقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات في بعض الأوقات وإماتتها في غالب الأوقات[6] ، صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب[7]. وكان شديد الادمة كثير الشعر ضخمًا عظيم الهامة في وجهه أثر الجدري[8]، حسن اللحية خفيفها طويلا [9]، وكنيته أبو خالد .

---

(١) تاريخ خليفة: ١٥٨ ، العقد الفريد: ٤/ ٣٩١.

(٢) البداية والنهاية: ٨/ ٢٦٥.

(٣) البداية والنهاية: ٨/ ٢٥٩ .

(٤) تذكرة الخواص:٢٩٠-٢٩١.

(٥) سير اعلام النبلاء: ٤/ ١٩.

(٦) البداية والنهاية: ٨/ ٢٥٩.

(٧) مروج الذهب: ٣/ ٧٢.

(٨) شذرات الذهب: ١/ ٧١.

(٩) المختصر في أخبار البشر: ١/ ١٩٢-١٩٣.

محاسن أيامه

قـد عـدَّ بعـض أصـحاب السـير أنَّ مـن محاسـن أيامـه اسـتمرار الفتوحـات الاسـلامية، واتسـاع رقعـة الاسـلام (وإنْ كـان رسـول الله(صلى الله عليه وآله) لم يُبعـث جابيًـا)، ففـي (سـنة ٦١ هـ) غـزا مالـك بـن عبـد الـرحمن الخثعمـي أرض الـروم وكانت له وقعه بقونية[١] .

وفي (سـنة ٦٢هــ) غـزا سـلم بـن زيـاد اخـو عبيـد الله بـن زيـاد خـوارزم فصالحوه على مال كثير ، ثم عَبر الى سمرقند فصالحوه[٢] .

وفيهـا أيضـا غـزا عبـد الله بـن أسـد بـن كـرز القسـري قيسـارية ممـا يـلي الحدث [٣].

وفي سنة (٦٣هـ) غزا عقبة بن نافع السوس القصوى فغنم وسلم وقفل[٤] ... الخ.

مساوئ أيامه

قـد الفـت أيامـه رزايـا عظيمـة نـاءت عـن حملهـا الجبـال، كـان أفظعهـا وأجلَّها خطبًا ، الأحداث الآتية :

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ١٤٦.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط: ١٤٦.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ١٤.

(٤) تـاريخ خليفـة بـن خيـاط: ١٥٥، الكامـل في التـاريخ: ٣/ ٤٥٠ بتفصـيل أدق ذاكـرًا الخـبر في حوادث سنة (٦٢هـ) فلاحظ.

١- اقدامه متجرئا (سنة ٦١هـ) على قتل الامام الحسين بن علي (عليه السلام) وأهل بيته عطاشا مظلومين بشط الفرات في وقعة كربلاء الاليمة، تلك الوقعة التي وصمت بالعار جبين التاريخ والإنسانية بما حملته من وحشية واجرام لم يسبق لهما مثيل ، ثم حمْله نساء وأطفال آل النبوة(عليهم السلام) سبايا يُطاف بهم البلدان، يريد بذلك قهرهم واذلالهم غير آبه بفضلهم، أو مراع لحرمة قرابتهم من رسول الله(صلى الله عليه وآله)، مستخفًّا بشرف مقامهم وعظيم منزلتهم، وبما قد وردَ في فضلهم من السور والآيات، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[1]، وقوله سبحانه : ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[2]، الى غير ذلك من الآيات البينات الأخرى الدالة على عِظَم خطرهم وفخامة أمرهم، وكذلك أيضا ما جاء في شأنهم المقدس من الاحاديث الجليلةالشريفة، كقول جدهم الأعظم(صلى الله عليه وآله) : (**مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق**)[3].

وكقوله(صلى الله عليه وآله):(**الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة**)[4]،

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) الشورى: ٢٣.

(٣) المعجم الأوسط: ٤/ ١٠، ٥/ ٣٥٥، ٦/ ٨٥، المستدرك على الصحيحين: ٢/ ٣٤٣، ٣/ ١٥١، مناقب علي بن ابي طالب لابن المغازلي : ١٣٣ ، ذخائر العقبى:٣٠، وغيرها كثير.

(٤) ذخائر العقبى: ١٣٩ ، الفصول المهمة: ١٦٢ بإيجاز.

وكقولــه(صلى الله عليه وآله): **(حسـين مني وأنـا مـن حسـين ، أحـبَّ الله مـن أحـبَّ حسـينا، حسـين سـبط مـن الاسـباط)** [١] ، الى غـير ذلـك مـن الاحاديـث النبويـة العليَّـة الأخـرى التـي تجاهلهـا يزيـد ونَبـذها وراء ظهـره، عامـدا إلى قتـل الحسـين (عليه السلام)، وأصـحابه وسـبي عيالـه، ثـم اظهـاره الفـرح والسرـور بمصـابهم، والتشـفي بقـتلهم ، ووضـع الـرأس الشـريف يـن يديـه ، ونكـت وجه الحسين(عليه السلام) وثناياه بالقضيب، ثم تمثّله [٢] بهذا البيت:

يفلّقــن هامًــا مــن رجــال أعــزة علينــا وهــم كــانوا أعــق وأظلــمّا [٣]

وتمثله ايضا بقول ابن الزبعرى :

ليـت اشـياخي ببـدر شـهدوا جـزع الخـزرج مـن وقـع الاسـل

لأهلّـوا واسـتهلوا فرحًـا ولقـالوا يـا يزيـد لا تشـل

يقـول الشـيخ محمـود ابـو ريَّـة : «ولمّـا آل الحكـم بالوراثـة الاسـتبدادية الى يزيـد بـن معاويـة الـذي ورث البغـي والظلـم ، والحقـد عـن أبيـه وجـدّه وسـائر قومـه، واجتمعـت فيـه كـل خصـال الأمويـة الذميمـة وطباعهـا الأثيمـة ، أخـذَ يـتمِّم سياسـة أبيـه وجـدّه ، فأرصـد بغيـه الى السـبط الثـاني وهـو الحسـين (عليه السلام)، وكـان يخشـاه أشـد خشـية لأنـه أحـق وأجـدر بالخلافـة

(١) الفصول المهمة:١٦٢، ينابيع المودة: ٢/ ٣٤.

(٢) تاريخ الامم والملوك: ٤/ ٦٥٤.

(٣) البدء والتاريخ: ٦/ ١٢-١٣.

منه ومن أبيه وسوَّلت له نفسه أن يرتكب معه أخطر جريمة تقشعر منها الأبدان»[1].

ولقد روى السيوطي قائلا [2] :-

ولمّا قَتل الحسين وبنو أبيه بعث ابن زياد برؤوسهم الى يزيد ، فسُرَ بقتلهم أولا ، ثم ندم لمّا مَقته المسلمون على ذلك، وأبغضه الناس، وحُقَّ لهم أن يبغضوه .

وقد روت العامة وبعض الخاصة، أنَّ يزيدا كان قد أظهرَ السرور بقتل الحسين(عليه السلام)، ثم ندم بعد ذلك وكان يقول : وما كان علي لو احتملت الاذى وأنزلته معي في داري ، وحكمته فيما يريد ، وإنْ كان عليَّ في ذلك وكْف[3] ووهن في سُلطاني، حفظا لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، ورعاية لحقه وقرابته ! لعن الله ابن مرجانة، فانه أخرجه واضطرَّه، وقد كان سأله أن يُخلي سبيله ويرجع فلم يفعل ، أو يضع يده في يدي أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفاه الله عز وجل فلم يفعل، فأبى ذلك وردَّه عليه وقَتلَه، فبغَّضني بقتله الى المسلمين، وزرع لي في قلوبهم العداوة، فبغَضَني البر والفاجر، بما استعظم الناس من قتلي حسينا، مالي

(١) أبو هريرة الدوسي : ١٥٩.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٢٠٨ .

(٣) الوكف: العيب. الصحاح: ٤/ ١٤٤١.

ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه[١].

ولو آمنّا بصدور مثل هذا الندم عن يزيد وغضبه على قاتلي الإمام الحسين(عليه السلام)، فما معنى مكافأته ابن زياد وتقريبه له، وازدياد حظوته لديه، خاصة بعد قتله الإمام الحسين(عليه السلام) وابقائه في منصبه والاحتفاء به في مجالس لهوه من شرب ومنادمة، الى غير ذلك من العلائم الدالة على شكر يزيد لصنيع ابن زياد ورضاه بفعله.

ولقد جاء عن سبط ابن الجوزي في معرض ذكره لقبائح يزيد ومثالبه، ورضاه بقتل الحسين(عليه السلام) قوله :«والذي يدل على هذا (أي على رضا يزيد) أنه استدعى ابن زياد إليه يوما، وأعطاه أموالا كثيرة وتحفا عظيمة، وقرَّب مجلسه ورفع منزلته، وأدخله على نسائه وجعله نديمه»[٢]، وسكَرَ ليلة وقال للمغني ، غنِّ ، ثم قال يزيد بديهيا :

اسقني شربة تروي فؤادي ثم مل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السر والأمانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي
قاتل الخارجي أعني حسينا ومبيد الأعداء والحساد[٣]

و عن الشبراوي في كتابه الإتحاف: «ولا شك عاقل أنَّ يزيد بن

(١) ينظر: تاريخ الامم والملوك: ٥/ ٢٦ ، البداية والنهاية: ٨/ ٢٦١، إعلام الورى: ٢/ ٢٠٥ بإيجاز ، اسعاف الراغبين :١٩٠.

(٢) تذكرة الخواص:٢٩٠ ، الاتحاف بحب الاشراف :٧٠ ، ينابيع المودة: ٣/ ٢٩ بإيجاز أيضا.

(٣) المسعودي مروج الذهب: ٣/ ٧٢ دون ذكر البيت الثالث .

معاوية هو القاتل للحسين (عليه السلام) لأنه الذي ندب عبيد الله بن زياد لقتل الحسين»[1]، ... لخ .

يقول الدكتور طه حسين، والشيخ أبو رية، واللفظ للأول: «والرواة يزعمون ان يزيدا تبرأ من قتل الحسين على هذا النحو ، والقى عبء هذا الاثم على ابن مرجانة عبيد الله بن زياد ، ولكنا لا نراه لام ابن زياد ولا عاقبه ولا عزله عن عمله كله او بعضه ، ومن قبله قتل معاوية حجر بن عدي واصحابه ثم القى عبء قتلهم على زياد وقال : حملني ابن سمية فاحتملت»[2].

ومن ثَمَّ فإنَّ ندم يزيد على قتل الإمام الحسين(عليه السلام) إنْ صحّ، لم يكن لتفريطه في منزلته الشريفة أو اقرارًا منه بانتهاك حرمته المقدسة، بل لِما رآه من تفاقم بغض الناس له، واستعظامهم فعله، وما كان أثر ذلك في زلزلة وطائد ملكه، ووهن سلطانه .

٢- قيامه بغزو المدينة (سنة ٦٣هـ) واستباحته حرمتها والإيقاع بأهلها، وفيهم بقية الصحابة والتابعين في وقعة مروعة هي الأدهى والأمرّ بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) عُرفت بـ (وقعة الحرَّة)، وهي موضوع كتابنا هذا، حيث تناولنا في ما مضى ذكر بعض أخبارها، وتفاصيل حوادثها، وما كان من أوامر يزيد بنهب المدينة وإباحتها وتورّد حضرتها، وايقاع تلك المفاسد العظيمة فيها،

(١) الاتحاف بحب الاشراف:٦٦.

(٢) الفتنه الكبرى: ٢/ ٢٤٢ ، أبو هريرة الدوسي:١٦١.

مما لا تقلُّه أرض أو تظلّه سماء، وضَرْبه عرض الحائط بكل الأحاديث النبوية الشريفة الصادعة بحرمتها، وبتحريم غزوها، أو إخافة أهلها كقوله(صلى الله عليه وآله):

- (المدينة حرم من كذا الى كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث ، مَن أَحدَث حدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)[1] .

- وقوله (صلى الله عليه وآله): (لا يكيد اهل المدينة احد الا انماع كما ينماع الملح في المّاء)[2] .

- وقوله(صلى الله عليه وآله): (من أراد أهل المدينة بسوء ، أذابه الله كما يذوب الملح في المّاء)[3].

- وقوله صلى الله عليه وسلم : (إنما المدينة كالكير ، تنفي خَبَثها وينصع طيبها)[4] .

- وقوله(صلى الله عليه وآله): (إني حرمتُ ما بين لابَتي المدينة كما حرَّم إبراهيم مكة)[5].

- وقوله(صلى الله عليه وآله) وقد أهوى بيده الشريفة الى المدينة : (إنها حرم آمن)[6].

- وقوله(صلى الله عليه وآله):(المدينة حرام ما بين عائر الى ثور ، فمن احدث حدثا او اوى محدثا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه عدل ولا صرف وذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهن فمن اخفر مسلما ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، لا يقبل منه عدل ولا صرف ، ومن والى

---

(١) صحيح البخاري – كتاب فضائل المدينة – باب حرم المدينة : ٢١١.

(٢) صحيح البخاري :٢١١.

(٣) صحيح مسلم : ٤٩٦ ، سنن ابن ماجة :٥٣٢.

(٤) صحيح البخاري :٢١٢، صحيح مسلم : ٤٩٦.

(٥) صحيح مسلم :٤٩٤.

(٦) صحيح مسلم :٤٩٤.

قوما بغير اذن مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه عدل ولا صرف) [١].

الى غيرها من الأحاديث المقدسة الاخرى الناطقة بفضل المدينة وخطير شأنها ، والتي تغافَل عنها يزيد، وتغامض عن ذكرها .

أمّا ما ذكره بعضهم ومنهم ابن كثير: الذي زعم أنَّ يزيد ندم بعد فعلته مع أهل المدينة وحاول التخفيف عنهم، والاعتذار إليهم وأنه قد تألم لمصابهم، وأمر بحمل الطعام والأعطية وإفاضتها عليهم [٢]، فأمرٌ لا يصح لما يتعارض وثبوت الحقائق الآتية:

- شكره مروان بن الحكم وحمْد صنيعه في مساندة جيش الشام، والإيقاع بأهل المدينة وكما مر خبره مسبقا .
- مكافأته رجل بني حارثة، الذي فتح الطريق لجيش الشام وكان سببًا في حدوث تلك الإبادة، وتقريبه ورفع منزلته .
- استبشاره برؤوس قتلى الحرَّة، وتمثّله بأبيات ابن الزبعرى عند وضعها بين يديه، وتشفِّيه بقتلهم، وكما تقدم ذكره سلفًا .
- عدم إنكاره على مسرف (مسلم) بن عقبة جرائمه البشعة بحق المدينة، أو عزله عن قيادة تلك الحملة المشؤومة، مع ما كان من إمضاء وصاياه إليه في التقدم نحو مكة وغزوها، واستخلاف الحصين بن نمير

(١) سنن ابي داود: ٢/ ٣١٣.

(٢) البداية والنهاية: ٨/ ٢٦٢.

الـذي أقـدمَ وبمباركـةِ يزيـد عـلى حصـار مكـة، وضرب الكعبـة بالمجـانيق، وهدمها وإحراقها طاعة لأوامره وامتثالا لرغبته.

ثـم ان ابـن كثـير نفسـه وهـو ممـن روى خـبر نـدم يزيـد وتألمـه لمصـاب أهـل المدينة ، يقِرّ في موضع آخر من كتابه بفرح يزيد واستبشاره بقتلهم قائلا :-

«وأمّـا مـا يـذكره بعـض النـاس مـن أنَّ يزيـد لمّـا بلغـه خـبر أهـل المدينـة ومـا جـرى علـيهم عنـد الحـرَّة مـن مسـلم بـن عقبـة وجيشـه ، فـرِح بـذلك فرحـا شـديدا ، فإنـه كـان يـرى أنـه الإمـام وقـد خرجـوا عـن طاعتـه ، وأمَّـروا علـيهم غيره، فله قتالهم حتى يرجعوا إلى الطاعة ولزوم الجماعة»[1].

٣- إقدامـه عـلى غـزو مكـة وحصـار الكعبـة المشـرفة، بيـت الله الحـرام وقبلـة أهـل التوحيـد والاسـلام، وقـذْفها بالمجـانيق والتسـبب في هـدمها وإحراقهـا، ومـا كـان مـن ترويـع أهلهـا وإخـافتهم وسـفك دمـائهم ، متجـاهلًا قُدسـيتها، مُسـتخفًّا بحرمتهـا، وبـما جـاء في فضـلها مـن الأحاديـث النبوية المباركة، كقوله(صلى الله عليه وآله):

(إنَّ مكـة حرَّمهـا الله ولم يحرِّمهـا النـاس ، فـلا يحـل لا مـرئ يـؤمن بـالله واليـوم الآخـر أن يسـفك بهـا دمًـا، ولا يعضـد بهـا شـجرة ، فـإنْ أحـد تـرخَّصَ بقتـال رسـول الله(صلى الله عليه وآله) فيهـا، فقولـوا لـه: إنَّ الله أَذنَ لرسـوله ولم يـأذن لكـم. وإنـما أذنَ لي فيهـا سـاعة مـن نهـار، وقـد عـادت حرمتهـا اليـوم

(١) البداية والنهاية: ٨/ ٢٥١.

كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب) [١].

وكقوله(صلى الله عليه وآله): **(إنَّ الله حبس عن مكة الفيل، وسلَّط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنما احلت لي ساعة من النهار ، ثم هي حرام الى يوم القيامة لا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ، ولا تحلّ لقطتها الّا لمنشد)** [٢].

وكقوله(صلى الله عليه وآله): **(إنَّ هذا البلد حرام حرَّمه الله عز وجل ، لم يحل فيه القتال لأحد قبلي ، وأحلَّ لي ساعة من نهار ،فهو حرام بحرمة الله عز وجل)** [٣].

الى غيرها من أحاديث سيد المرسلين(صلى الله عليه وآله) الناطقة بفضل مكة ، الناهية عن غزوها، وإخافة أهلها .

٤- ومما يُضاف الى مكاره عصر يزيد وفواحش أيامه ظهور الغناء، وانتشار الملاهي، والمجاهرة بالفسوق وشرب الخمور ، إذ أشار المسعودي إلى ذلك قائلا :-

«وغلب على اصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة ، واستعملت الملاهي ، واظهر الناس شرب الشراب» [٤].

---

(١) صحيح مسلم:٤٨٩ ، صحيح البخاري: ١٠٤ ، سنن النسائي:٤٨٤ ، السيرة النبوية لابن هشام: ٤/ ٥٥.

(٢) سنن ابي داود: ٢/ ٣٠٦.

(٣) سنن النسائي:٤٨٤ .

(٤) مروج الذهب: ٣/ ٧٢.

نعم تلك كانت أهم مساوئ أيامه وأشدَّها على الاسلام، ولو أنَّ الباحث المنصف أجالَ النظر في ما مضى من أخباره وأحواله، وكال بمكيال الحقيقة صفات شخصه وآثار فعاله، لتبين له بوضوح ملامح ذاته الذميمة، تلك الذات الذي طَغى عليها الفساد فانقادت للملذات والشهوات، وجنح بها الهوى فآثرت العماية على الهدى، والفساد على الصلاح حتى استغواها الغرور، فزيَّن لها مقابح الأمور، ومسالك الشرور، فأَمست بما تحملهُ من تلك الصفات وباءً على الإسلام، وأيامها أشرّ الأيام، وأضحى صاحبها مِصداق قول رسول الله الأعظم(صلى الله عليه وآله): (لا يزال أمر أمتي قائما حتى يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد) [١].

ولقد روي عن أبي هريرة أنه قال: «اللهم لا تدركني سنة ستين ولا إمرة الصبيان، وكانت ولاية يزيد فيها» [٢].

وروى ابن حجر الهيتمي عن مسند الروياني، قول أبي ذر: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله)، يقول: (أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد) [٣].

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٠، البداية والنهاية: ٨/ ٢٦٠، مجمع الزوائد: ٥/ ٤٣٥، تاريخ الخلفاء: ٢٨٠، الصواعق المحرقة: ٢/ ٦٣٢، تطهير الجنان: ٨٥-٨٦، الاتحاف بحب الاشراف: ٦٥، اسعاف الراغبين: ١٩٢.

(٢) ينظر: الاتحاف بحب الاشراف: ٦٥، وكذا: حلية الاولياء: ١/ ٣٨٤ باختلاف بعض الألفاظ، الصواعق المحرقة: ٢/ ٦٣٣، كنز العمال: ١١/ ٥٣.

(٣) الصواعق المحرقة: ٢/ ٦٣٣، تطهير الجنان:٨٦

ولقد مر قول عبد الله بن حنظله الغسيل: «والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا إن نرمى بالحجارة من السماء إن كان رجلا ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة»[1].

وكان سعيد بن المسيب يُسمِّي سِنيّ يزيد بن معاوية بالشؤم: في السنة الأولى قَتل الحسين بن علي وأهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والثانية استُبيح حرم رسول الله(صلى الله عليه وآله) وانتهكت حرمة المدينة، والثالثة سفكت الدماء في حرم الله وحرقت الكعبة[2].

وعن نوفل بن أبي الفرات أنه قال: «كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر رجل يزيد فقال: قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فقال: تقول أمير المؤمنين، فأمر به فضرب عشرين سوطا»[3].

ولعل أبلغ من وصَفَ يزيد وكشف عن حقيقة أمره ولده معاوية الثاني، الذي خَطب قائلا، حين خلع نفسه من الخلافة، وامتنع أن يولِّيها أحد بعده:

«أيها الناس ما أنا بالراغب في الائتمار عليكم لعظيم ما اكرهه منكم، واني لأعلم إنكم تكرهوننا ايضا لأنّا بُلينا بكم وبُليتم بنا ألا إنّ جديّ معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره لقرابته من

---

(١) الصواعق المحرقة: ٢/ ٦٣٤.

(٢) ينظر: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧٧.

(٣) الصواعق المحرقة: ٢/ ٦٣٣، تاريخ الخلفاء: ٢٠٩، ينابيع المودة: ٣/ ٣٢.

رسـول الله(صلى الله عليه وآله) وعظـيم فضـله وسـابقته، أعظـم المهـاجرين قـدرا وأشـجعهم قلبـا وأكثـرهم علـمّا وأولهـم إيمانـا وأشرفهـم منزلـة وأقـدمهم صـحبة ، ابـن عـم رسـول الله(صلى الله عليه وآله) وصـهره وأخـوه، زوَّجـه رسـول الله(صلى الله عليه وآله) ابنتـه فاطمـة وجَعَلـه لهـا بعـلًا باختيـاره لهـا، وجعلهـا لـه زوجـة باختيارهـا لـه، أبـو سـبطيه سـيدي شـباب أهـل الجنـة وأفضـل هـذه الأمـة، تربيـة الرسـول وابنـي فاطمـة البتـول، مـن الشـجرة الطيبـة الطـاهرة الزكيـة، فرَكِـب جـدّي معـه مـا تعلمـون وركبـتم معـه مـا لا تجهلـون، حتـى انتظمـت لجـدِّي الأمـور ، فلـمّا جـاءه القـدر المحتـوم واخترمتـه أيـدي المنـون، بقـي مرتهنًـا بعملـه فريـدًا في قـبره، ووجـد مـا قـدَّمت يـداه، ورأى مـا ارتكبـه واعتـداه، ثـم انتقلـت الخلافـة الى يزيـد أبي فتقلَّـد أمـركم لهـوىً كـان أبـوه فيـه، ولقـد كـان أبي يزيـد بسـوء فعلـه واسرافـه عـلى نفسـه غـير خليـق بالخلافـة عـلى أمـة محمـد(صلى الله عليه وآله)، فركِـبَ هـواه واستحسـن خطـأه، وأقـدم عـلى مـا أقـدم مـن جراءتـه عـلى الله، وبغيـه عـلى مـن اسـتحلَّ حرمتـه مـن أولاد رسـول الله (صلى الله عليه وآله)، فقلَّـتْ مُدَّتـه وانقطـع أثـره وضـاجَعَ عملـه، وصـار حليـف حفرتـه، رهـين خطيئتـه، وبقيـة أوزاره وتبعاتـه، وحصـل عـلى مـا قـدَّم، ونـدم حيـث لا ينفعـه النـدم، وشـغَلنا الحـزن لـه عـن الحـزن عليـه، فليـت شـعري مـاذا قـال ومـاذا قيـل لـه، هـل عوقـب بإسـاءته وجُـوزي بعملـه ؟ وذلـك ظنِّـي، ثـم خنقتـه العـبرة فبكـى طـويلا وعـلا نحيبـه، ثـم قـال: وصرت أنـا ثالـث القـوم والسـاخط عـليَّ أكثـر مـن الـراضي، ومـا كنـت لأتحمـل آثـامكم، ولا يـراني الله جلَّـت قُدرتـه متقلـدًا أوزاركـم وأَلقـاه بتبعـاتكم، فشـأنكم أمـركم فخـذوه، ومـن رضِيتم به عليكم فولُّوه، فلقد خَلعت بيعتي من أعناقكم ، والسلام .

فقـال لـه مـروان بـن الحكـم وكـان تحـت المنـبر : أسُـنَّة عُمريـة يـا أبـا لـيلى ؟

فقال : اغدُ عنّي ، أعن ديني تخدعني؟ فوالله ما ذقتُ حلاوة خلافتكم فأتجرع مرارتها، ائتني برجالٍ مثل رجال عمر (رضي الله عنه)، على أنه ما كان من حين جعلها شورى وصرفها عمن لا يُشك في عدالته ظلومًا، والله لئن كانت الخلافة مغنمًا لقد نال أبي منها مغرما ومأثما، ولئن كانت سوءً فحَسْبُه منها ما أصابه ، ثم نزل .. الخ»[1] .

ولقد رُوي عن صالح بن أحمد بن حنبل، أنه قال: «قلت لأبي يا أبتي أتلعن يزيد فقال : يابُني كيف لا نلعن من لعنه الله تعالى في ثلاث آيات من كتابه العزيز، في الرعد والقتال والأحزاب، قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهَّ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُّ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[2]، وأي قطيعة أفظع من قطيعته(صلى الله عليه وآله) في ابن بنته الزهراء .

- وقال[3] تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ .

- وقال تعالى :﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُّ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[4] [1] .

---

(١) حياة الحيوان: ١/ ٧٧-٧٨ . وينظر باختلاف بعض الألفاظ: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧٧، مروج الذهب: ٣/ ٧٧ ، مختصر تاريخ الدول: ٩٨ ،، الصواعق المحرقة: ٢/ ٦٤٣، ينابيع :المودة ٣/ ٣٦ .

(٢) الرعد آية: ٢٥

(٣) الاحزاب : ٥٧

(٤) محمد : ٢٢-٢٣

وحكى سبط ابن الجوزي عن جده أبي الفرج ابن الجوزي بسنده عن مهنا بن يحيى أنه قال : «سألت أحمد بن حنبل عن يزيد بن معاوية، فقال: هو الذي فعل ما فعل قلت : ما فَعل ؟ قال : نَهَب المدين ، قلت: فنذكر عنه الحديث ؟ قال : لا ، و لا كرامة لا ينبغي لأحد أن يكتب عنه الحديث»[٢].

وقال الذهبي : «ولّما فعل يزيد باهل المدينة ما فعل ، وقتل الحسين واخوته واله وشرب يزيد الخمر وارتكب اشياء منكره ، بغضه الناس ، وخرج عليه غير واحد ، ولم يبارك الله في عمره»[٣].

وفي ذلك أيضا ، عن ابن كثير الدمشقي : «وقد أخطأ يزيد خطأ فاحشًا في قوله لمسلم بن عقبة أن يُبيح المدينة ثلاثة أيام، وهذا خطأ كبير فاحش ، مع ما انضمَّ الى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم، وقد تقدم أنه قتل الحسين وأصحابه على يديْ عبيد الله بن زياد . وقد وقع في هذه الثلاثة أيام من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحد ولا يُوصف ، مما لا يعلمه الّا الله عز وجل، وقد أراد بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه، ودوام أيامه من غير منازع، فعاقبه الله بنقيض قصده، وحالَ بينه وبين ما يشتهيه فقصمه الله قاصم الجبابرة، واخذه

(١) ينظر: الاتحاف بحب الاشراف:٦٤ ، الصواعق المحرقة: ٢/ ٦٣٥ ، تذكرة الخواص:٢٨٧. باختلاف يسير ، ينابيع المودة: ٣/ ٣٤ بإيجاز ، البداية والنهاية: ٨/ ٢٥١ بإشارة موجزة .

(٢) تذكرة الخواص:٢٨٧.

(٣) تاريخ الاسلام: ٥/ ٣٠.

أخذ عزيز مقتدر ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[1][2].

وحكى الشبراوي عن ابن حجر الهيتمي قوله في شرح الهمزية :«أن يزيد قد بلغ من قبائح الفسق والانحلال عن التقوى مبلغا لا يُستكثر عليه صدور تلك القبائح منه ، بل قال الإمام أحمد بن حنبل بكفره وناهيك به علمًا وورعا يقضيان بأنه لم يقل ذلك الا لقضايا وقعت منه صريحة في ذلك ثبتت عنده، وإن لم تثبت عند غيره كالغزالي وابن العربي فان كلاهما قد بالغ في تحريم سبه ولعنه، لكن كلاهما مردود لأنه مبني على صحة بيعة يزيد لسبقها والذي عليه المحققون خلاف ما قالاه»[3].

ولا يخفى أنه مهما قيل أو يقال في هذا المقام ، فلا بد لكل متبصر لبيب من الإقرار بأنّ نَزوَ يزيد على كرسي الخلافة واقتراعه الحُكم، لم يكن ليحصل لولا هوى أبيه معاوية فيه وحبّه له، رغم علمه بفساد حاله، وامتناع صلاحه لمثل هذا الأمر. ولقد جاء عن الحسن البصري قوله :

«أربع خصال كُنَّ في معاوية، لو لم يكن فيه منهن إلّا واحدة لكانت موبقة : انتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء، حتى ابتزَّها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سِكِّيرًا خميرًا ، يلبس الحرير ويضرب بالطنابير ، وادعاؤه زيادًا ، وقد قال رسول

---

(١) هود : ١٠٢.

(٢) البداية والنهاية: ٨/ ٢٥٠.

(٣) الاتحاف بحب الاشراف: ٦٨.

الله (صلى الله عليه وآله): (الولـد للفـراش وللعـاهر الحجـر)[1]، وقتْلـه حِجـرًا ، ويـلاً لـه مـن حجر! ويلاً له من حجر»[2] .

وإلى ذلـك أيضـا أشـار السـيد محمـد بـن عقيـل الشـافعي، قـائلا: «وكـما قيـل أنَّ عمـر رضي الله عنـه وحسـناته جميعهـا حسـنة واحـدة مـن حسـنات أبي بكـر(**رضي الله عنـه**) ، فكـذلك أنَّ يزيـد وقبائحـه وسـيئاته كلهـا سـيئة واحـدة مـن سـيئات معاويـة ، وكـل مـا فعلـه بسـلطانه، وتوليتـه مـن الظلـم والجـور، فهـو في عنقـه كـما جـاءت بـه الاحاديـث ، فهـؤلاء هـم الـوزراء والأتبـاع، ومعاويـة هـو الامـام الـذي دَهـوَرَهم في ذلـك الشـقاء، وسَـ يعلم مُتَّبعـوه ذُلّ مقـامهم يـوم يُـدعى ﴿ **كُـلَّ أُنَـاسٍ بِإِمَامِهِمْ**[3] ﴾[4].

(١) مسند أحمد: ١/ ٥٩، ٦٥، ٢/ ٢٨٠، صحيح البخاري: ٣/ ٥، ١٨٧، صحيح مسلم: ٤/ ١٧١، الكافي: ٥/ ٤٩١، ٧/ ١٦٣، الخصال: ٢١٣، من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٤٥١، ٤/ ٣٨٠

(٢) تاريخ الامم والملوك: ٤/ ٥٠٠ ، وكذا تذكرة الخواص: ٢٨٦ باختلاف بعض الالفاظ .

(٣) الإسراء: ٧١

(٤) النصائح الكافية:١٠٠

الخاتمة

بعد تناولنا فيما مضى أحداث وقعة الحرَّة ومشهور أخبارها، وما سَطَعت بها نيران حربها المُحرقة، من مصائب ونكبات، أَدمَت جسد الأمة واستهدفت صميم وحدتها، وبعد روْمِنا استقصاء حقيقة ما انطوت عليه تلك الأحداث من ظروف وملابسات كانت وراء شبّ لظاها، وتعجيل حصادها، يتبين للباحث المتتبع إنَّ إعلان المدنيين التمرد وقيامهم بتلك الثورة، كان نتيجة حتمية لما لقوه من ظلم يزيد وقبله معاوية وجور عمالهم البغاة، حيث القهر السياسي المتعمد، والمعانات الاقتصادية الصعبة التي خيم شبحها عليهم، مُنذرهم خَطر الفقر والمجاعة، مع ما كان من إذلالهم واضطهادهم، وتفشي شَرّ الولاة فيهم، وهو ما دفع بهم إلى فُوَّهة تلك المواجهة المميتة مع جيوش بني أمية من الشاميين، أولئك البرابرة الطغام الذين بانقيادهم الأعمى لأُمرائهم وحكامهم، قد باعوا آخرتهم بدنيا أسيادهم ، وباءوا بتلك الآثام الموبقة والذنوب المغرقة، فكانوا على مرّ الازمنة والعصور موضع لعائن اللاعنين، وبغض أهل الإيمان والدين، بما انتهكوه من حرمات الله ورسوله(صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ) والمؤمنين، وما أشبه الأمس القريب بالأمس البعيد، وكم من حَرَّة في دهرنا هذا وكم من يزيد **﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾**[1].

---

(١) هود: ١١٧

ثـم لا يخفـى عـلى المتأمـل البصـير أَنَّ مـن أهـم أسـباب مـا وقعـت فيـه الأمـة مـن محـن ومصـائب حكّـام الجـور، وطغـاة السـلطة، ومـنهم أهـل المدينـة عـلى وجـه الخصـوص، مـا كـان مـن تغاضـيهم وإغماضـهم عـن طاعـة أهـل بيـت النبـوة(عليهم السلام)، وغفلـتهم الفكريـة عـن مناشـداتهم المسـتمرة في التنبيـه عـن سـوء أولئـك الحكـام، وخطـورة تـولِّي أمثـالهم مقاليـد السـلطة وزمـام أمـور الأمـة، ومـا سـيجرُّونه عـلى الإسـلام والمسـلمين مـن ويـلات وآهـات، فنجـد تغاضـيهم عـن مناشـدات الزهـراء، ومناشـدات أمـير المـؤمنين، ومناشـدة الإمـام الحسـن(عليه السلام)، ومناشـدات أخيـه أبي الأحـرار الإمـام الحسـين(عليه السلام)، في رفـض الظلـم والاسـتبداد، ومقارعـة الباطـل، ونصـرة الحـق والـدين، حيـنما صَـدَح في جمـوعهم بكلمتـه العظيمـة: « رضـا الله رضـانا أهـل البيـت ، نصـبر عـلى بلائـه ويوفينـا أجـور الصـابرين ، لـن تشـذ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لحمته .. »[1].

والعاقبـة للمتقـين، والحمـد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام عـلى سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

---

(١) نزهة الناظر للحلواني: ٨٦، مثير الأحزان: ٢٩، بحار الانوار: ٤٤/ ٣٦٧.

فهرس المصادر

١- خير المصادر واشرفها القرأن الكريم .

ابن أبي حاتم : عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد (ت٣٢٧هـ).

٢- الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ .

ابن أبي الحديد : عز الدين بن عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦)

٣- شرح نهج البلاغة، مراجعة وتحقيق لجنة إحياء الذخائر منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان ١٩٨٣م.

ابن أبي شيبة : عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم الكوفي (ت ٢٣٥ هـ).

٤- المصنف في الأحاديث والآثار، ضبطه وعلق عليه سعيد اللحام، مراجعة وتصحيح مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر، نشر دار الفكر، بيروت ،ط١ ، لبنان ، ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م.

ابن أبي عاصم: أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني (ت ٢٨٧هـ).

٥- الآحاد والمثاني، تحقيق الدكتور باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الدراية للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

ابن الاثير : عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت ٦٣٠) .

٦-الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفدا عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ط١ ،١٤٠٧ هـ ،١٩٨٧م.

ابن الاثير : مجد الدين المبارك بن أبي الكرم محمد الجزري (ت ٦٠٦ هـ).

٧- النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي ، انتشارات دار التفسير ، قم ، طهران ، ط١،١٤٢٦ هـ .

ابن اعثم : أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت٣١٤ هـ)

٨- الفتوح ، تحقيق علي شيري ، دار الاضواء ، بيروت ١٤١١ هـ ، ١٩٩١م

ابن تغري بردي : جمال الدين ابي المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤ هـ) .

٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نشر وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، عن نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب مع استدراكات وفهارس جامعة.

ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ).

١٠- المنتظم في تاريخ الملوك والامم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان البستي التميمي(ت ٣٥٤ هـ)

٩- كتاب الثقات، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، نشر مؤسسة الكتب الثقافية.

١١- مشاهير علماء الامصار ،تصحيح م. فلايشهمر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٣٧٩هـ ، ١٩٥٩ م

ابن حجر : أحمد بن علي الكناني العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)

١٢- الاصابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان

١٣- تقريب التهذيب، حققه وعلق على حواشيه وقدم له عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتاب العربي ، مصر ،١٣٨٠هـ

١٤- تهذيب التهذيب ،طبع دائرة المعارف ،حيدر آباد ، الهند، ط١ – ١٣٢٦ هـ

ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن محمد السعدي الهيتمي المكي(ت ٩٧٤هـ)

١٥- الصواعق المحرقة ،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ ، ١٩٩٧ م

١٦- تطهير الجنان واللسان ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

ابن حنبل : أحمد بن محمد بن حنبل (الإمام) (ت ٢٤١هـ) .

١٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، لبنان .

ابن خلكان : شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ)

١٨- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق الدكتور احسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، لبنان .

ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ)

١٩- الطبقات الكبرى، تحقيق الدكتور علي محمد عمر ، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط١،١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م.

ابن شهر اشوب: رشيد الدين محمد بن علي بن أبي النصر السروي (ت ٥٨٨ هـ) .

٢٠- مناقب آل أبي طالب، تصحيح وشرح لجنة من اساتذة النجف الاشرف، طبع المطبعة الحيدرية ، ١٣٧٥ هـ ، ١٩٥٦ م .

- ابن الصباغ : علي بن محمد بن احمد المالكي المكي (ت ٨٥٥ هـ) .

٢١- الفصول المهمة في معرفة أحوال الائمة، تقديم توفيق الفكيكي المحامي، دار الأضواء، ط٢، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٨ م

ابن طاووس : السيد رضي الدين علي بن موسى الحسني (ت٦٦٤ هـ)

٢٢- إقبال الأعمال، جواد القيومي الاصفهاني، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط١، ١٤١٦هـ

٢٣- الملهوف على قتلى الطفوف، تحقيق وتقديم الشيخ فارس تبريزيان الحسون، دار الاسوة، ايران ، ط٣، ١٤٢٢هـ ،٢٠٠١ م.

- ابن الطقطقي : السيد محمد بن علي بن طباطبا (حيا ٧٠٩ هـ)

٢٤- الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، منشورات الشريف الرضي، ط١، ايران ١٤١٤ هـ.

ابن عبد البر : يوسف بن عبد الله بن محمد النمري (ت ٤٦٣ هـ).

٢٥- الاستذكار، تحقيق سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار الجيل، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ.

- ابن عبد ربَّه : أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ)

٢٧- العقد الفريد، شرح وتصحيح ،أحمد الزين ، أحمد أمين ، ابراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط٢ ، القاهرة، ١٣٨١ هـ ، ١٩٦٢م .

- ابن العبري : أبو الفرج غريغوريوس بن اهرون الملطي(ت ١٢٨٦م)

٢٨- مختصر تاريخ الدول، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ،١٤١٨ هـ ،١٩٩٧ م

ابن عساكر : علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١هـ)

٢٩- تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥ م.

- ابن عنبة : السيد جمال الدين أحمد بن علي الحسني (ت٨٢٨ هـ)

٣٠- عمدة الطالب في انساب ال ابي طالب – دار الاندلس للطباعة والنشر أوفسيت مطبعة الديواني – بغداد .

ابن فارس : أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ).

٣١- معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ايران،١٤٠٤هـ

ابن قتيبة : ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ) .

٣٢- الامامة والسياسة، تحقيق الدكتور طه محمد الزيني أوفسيت دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، النجف

٣٣- عيون الاخبار، منشورات الشريف الرضي ، قم، ايران، ط١، ١٤١٥ هـ .

٣٤- المعارف، منشورات الشريف الرضي ، قم ، ايران، ط١، ١٤١٥هـ

ابن كثير : الحافظ أبي الفداء اسماعيل القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)

٣٥- البداية والنهاية، تحقيق الدكتور حامد أحمد الطاهر، نشر دار الفجر للتراث، القاهرة ،ط١ ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م

ابن ماجة : الحافظ محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ)

٣٦- سنن ابن ماجة، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ ،٢٠٠٠م

ابن المغازلي : الحافظ علي بن محمد بن محمد الواسطي الجلابي الشافعي (ت ٤٨٣ هـ)

٣٧- مناقب علي بن ابي طالب، تحقيق محمد باقر البهنبودي المكتبة الاسلامية، طهران، ط٢ ١٤٠٢ هـ

- ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت ٧١١ هـ)

٣٨- لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م

ابن نما: نجم الدين جعفر بن محمد بن جعفر الحلي(ت٦٨٠هـ)

٣٩- مثير الأحزان، منشورات المطبعة الحيدرية ، النجف، ١٣٦٩ هـ، ١٩٥٠ م.

ابن هشام : عبد الملك بن هشام الذهلي السدوسي(ت ٢١٨هـ)

٤٠- السيرة النبوية، تحقيق الاستاذ أحمد شمس الدين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان ،ط١ ، ١٩٩٨م

ابن هلال : ابراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي (ت ٢٨٣ هـ)

٤١- الغارات، تحقيق وتعليق السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، دار الاضواء، بيروت، لبنان ،ط١ ،١٤٠٧ هـ ،١٩٨٧م

-ابن الوردي : زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩ هـ)

٤٢- تاريخ ابن الوردي، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، ط٢، ١٣٨٩ هـ، ١٩٦٩ م

أبو حنيفة : أحمد بن داود الدينوري (ت٢٨٢ هـ)

٤٣- الاخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة الدكتور جمال الدين الشيال، أوفسيت انتشارات المكتبة الحيدرية، قم، ط٢ ، ١٣٧٩ هـ . ش

أبو داود : سليمان بن الأشعث الازدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ)

٤٤- سنن ابي داود، تحقيق محمد عدنان بن ياسين درويش، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١،١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠م

- أبو ريه : الشيخ محمود

٤٥- شيخ المضيرة ابو هريرة، منشورات الشريف الرضي، قم، ط١،١٤١٤هـ

- أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢ هـ)

٤٦- المختصر في اخبار البشر ، المطبعة الحسينية المصرية، ط١ ، مصر

أبو يعلى : أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (ت ٣٠٧هـ) .

٤٧- مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم إٍسد، دار المأمون للتراث، دمشق .

- الأصبهاني : أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ)

٤٨- حلية الأولياء، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٥١ هـ، ١٩٣٢ م

- الاصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ)

٤٩- الاغـاني، تحقيـق الـدكتور احسـان عبـاس ، الـدكتور ابـراهيم السـعافين ، الاستاذ بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط١ ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢م

الباعوني: شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي (ت ٨٧١هـ).

٥٠- جـواهر المطالـب في مناقـب الإمـام عـلي بـن أبي طالـب (ع) ، تحقيـق الشـيخ محمد باقر المحمودي،مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم المقدسة، ط١ ، ١٤١٥ هـ .

البخاري : محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)

٥١- التاريخ الكبير، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ١٣٦١هـ

٥٢- صـحيح البخـاري، تقـديم العلامـة احمـد محمـد شـاكر، تـرقيم وترتيـب محمـد فؤاد عبد الباقي، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط١ ، ٢٠٠٤م

- بدران : الشيخ عبد القادر (ت ١٣٤٦هـ)

٥٣- تهذيب تاريخ دمشق الكبير، دار المسيرة، بيروت،ط٢ ، ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩م

البراقي : السيد حسين بن السيد أحمد النجفي (ت ١٣٣٢هـ)

٥٤- تـاريخ الكوفـة، تقـديم وتعليـق العلامـة السـيد محمـد صـادق بحـر العلـوم، دار الاضواء، بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧م

- البلاذري : أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)

٥٥- انساب الاشراف، مطبعة فلسطين، بغداد، ١٩٣٨ م

البيهقي : أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ).

٥٦- السنن الكبرى، نشر دار الفكر ، بيروت، لبنان .

٥٧-شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠.

الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ)

٥٨- الجامع الصحيح أو سنن الترمذي، تحقيق وتصحيح عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت، ط٢ ،١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م .

الجوهري : إسماعيل بن حماد(ت٣٩٣هـ).

٥٩- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان،ط٤، ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م

الحلواني: الحسين بن محمد بن الحسن(حيّا ٤٨١هـ)

٦٠- نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، تحقيق ونشر : مؤسسة الإمام المهدي ()، قم المقدسة، ط١، ١٤٠٨هـ

الحموي : شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)

٦١- معجم البلدان / دار صادر ، بيروت ، ط٢، ١٩٩٥م

الحنبلي : عبد الحي بن العماد (ت ١٠٨٩ هـ)

٦٢- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان .

الخرسان : العلامة السيد محمد مهدي السيد حسن الموسوي(معاصر)

٦٣- موسوعة عبد الله بن عباس، مركز الابحاث العقائدية، قم ، ايران ، ط١ ،١٤٢٨هـ

- الخضري : الشيخ محمد بن عفيفي الباجوري (ت ١٣٤٥ هـ)

٦٤- الدولة الاموية، راجعه واعتنى به الاستاذة نجوى عباس، طبع مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٤ هـ ،٢٠٠٣م

خليفة بن خياط: خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري الملقب بـ شباب (ت ٢٤٠ هـ)

٦٥- تاريخ خليفة بن خياط، راجعه وضبطه ووثقه ووضع حواشيه وفهرسه الدكتور مصطفى نجيب فواز ، والدكتورة حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥م

الخوارزمي : (اخطب خوارزم) ابو المؤيد الموفق محمد بن احمد المكي(ت ٥٦٨هـ)

٦٦- مقتل الحسين (ع)، تحقيق الشيخ محمد السماوي، نشر دار أنوار الهدى، ايران، ١٤٢٣هـ.

الدار قطني : الحافظ علي بن عمر (ت ٣٨٥ هـ).

٦٧- سنن الدار قطني، تعليق وتخريج : مجدي بن منصور سيد الشوري، دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان،ط١،١٤١٧هـ،١٩٩٦م.

الدميري : كمال الدين محمد بن موسى (ت ٨٠٨ هـ)

٦٨- حياة الحيوان الكبرى، تصحيح الشيخ عبد اللطيف سامر بيتيه، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١،١٤٢٦ هـ ، ٢٠٠٥ م

الديار بكري : حسين محمد بن الحسن(ق١٠هـ)

٦٩- تاريخ الخميس، المطبعة الوهبية، مصر، ١٢٨٣ هـ

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)

٧٠- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان

٧١- سير أعلام النبلاء، اعتنى به محمد بن عيادي بن عبد الحليم نشر مكتبة الصفا، القاهرة ،ط١، ١٤٢٤ هـ ،٢٠٠٣م

٧٢- العبر في خبر من غبر، حققه وضبطه على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

الرازي: محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦ هـ)

٧٣- مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٤٠٣ هـ،١٩٨٣م

الزبيري : الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ)

٧٤- الاخبار الموفقيات، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني، منشورات الشريف الرضي، ط١ ،١٤١٦ هـ ،قم،ايران

الزبيري : المصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦ هـ)

٧٥- نسب قريش، عني بنشره وتصحيحه إ . ليفي بروفنسال استاذ اللغة والحضارة العربية ،السوربون، فرنسا، طبع دار المعارف للطباعة والنشر.

الزركلي : خير الدين

٧٦- الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ،ط٥، ١٩٨٠م.

الزمخشري: جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)

٧٧- أساس البلاغة، دار ومطابع الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م.

سبط ابن الجوزي : يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي (ت ٦٥٤ هـ)

٧٨- تذكرة الخواص، تقديم العلامة السيد محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف ،١٣٨٣ هـ ،١٩٦٤م

- السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ)

٧٩- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، عني بطبعه ونشره أسعد طرابزوني الحسيني، ١٣٩٩ هـ ،١٩٧٩م

السويدي : أبو الفوز محمد أمين بن علي البغدادي(ت ١٢٤٦هـ)

٨٠- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، نشر دار المحبين للطباعة والنشر، ط٢، قم، ايران، ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦م

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ)

٨١- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات الشريف الرضي، ايران

- الشبراوي : الشيخ عبد الله بن محمد بن عامر الشافعي(ت ١١٧١هـ)

٨٢- الاتحاف بحب الاشراف، طبع المطبعة الادبية، مصر، أوفسيت دار الذخائر للمطبوعات، قم، ايران

- الشبلنجي : الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن(بعد ١٣٠٨هـ)

٨٣- نور الابصار في مناقب ال بيت النبي المختار، دار احياء التراث العربي، بيروت، أوفسيت مكتبة الشرق الجديد، مطبعة منير، ١٩٨٤م

الصبان : الشيخ محمد بن علي(ت ١٢٠٦هـ)

٨٤- اسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين، طبع بهامش كتاب نور الابصار (المصدر السابق)

الصدوق: محمد بن علي ابن بابويه القمي(ت٣٨١هـ)

٨٥- الأمالي، تحقيق ونشر مؤسسة البعثة ، قم، ط١، ١٤١٧هـ

الصنعاني : عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ) .

٨٦- المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مكتبة أهل البيت ﷺ.

- الطبرسي : أمين الاسلام الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)

٨٧- إعلام الورى بأعلام الهدى،تحقيق مؤسسة ال البيتﷺ، لإحياء التراث / نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ايران، ط ١ ،١٤١٧ هـ

الطبري : الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله (ت ٦٩٤ هـ)

٨٨- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تقديم ومراجعة جميل ابراهيم حبيب، دار القادسية، بغداد، ١٩٨٤م

- الطبري : محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)

٨٩- تاريخ الامم والملوك، تحقيق وتعليق الاستاذ عبد أ. علي مهنا، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٨م

طه بن حسين بن علي (الدكتور) (١٣٩٣هـ)

٩٠- الفتنه الكبرى (علي وبنوه)، دار المعارف، مصر، ط٦، ١٩٦٤

-الطوسي : الشيخ محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)

٩١- اختيار معرفة الرجال أو (رجال الكشّي) تحقيق وتصحيح محمد تقي فاضل الميبدي، السيد أبو الفضل الموسويان،نشر مؤسسة الطباعة والنشر لوزارة الثقافة والارشاد الاسلامي ط١، طهران

- الفراهيدي : الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ)

٩٢- ترتيب كتاب العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور ابراهيم السامرائي، تصحيح الاستاذ اسعد الطيب، نشر انتشارات اسوة التابعة لمنظمة الاوقاف والامور الخيرية ،باقري، قم، ط١، ١٤١٤ هـ

القلقشندي : أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١ هـ)

٩٣- نهاية الارب في معرفة انساب العرب، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان

القمي : الشيخ عباس بن محمد رضا(١٣٥٩هـ)

٩٤- تتمة المنتهى في تاريخ الخلفاء، ترجمة نادر التقي، نشر انتشارات انوار الهدى، ط١، ١٤٢٣ هـ، ايران .

القندوزي : الشيخ سليمان بن ابراهيم الحنفي (ت١٢٩٤ هـ)

٩٥- ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق سيد علي جمال اشرف الحسيني، نشر دار الاسوة للطباعة والنشر، ط٢ ، ١٤٢٢ هـ ، ايران

المبرد : محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ)

٩٦- الكامل في اللغة والادب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م

المتقي الهندي : علاء الدين علي بن حسام الدين (ت ٩٧٥ هـ)

٩٧- كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، دار الكتب العلمية بيروت، ط١٤١٩،١هـ، ١٩٩٨ م

المجلسي : محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١ هـ)

٩٨- بحار الانوار، نشر مؤسسة احياء الكتب الاسلامية، قم ، ٤٢٧ هـ

محمد بن عقيل بن عبد الله (ت ١٣٥٠ هـ)

٩٩- النصائح الكافية، تحقيق وتدقيق غالب الشابندر، مراجعة ع ج الخطيب، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، ايران، ط١، ١٤٢٧ هـ

المرزباني : محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ)

١٠٠- معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، دار احياء الكتب العربية، ١٣٧٩ هـ،١٩٦٠ م

المسعودي : علي بن الحسين (ت ٣٤٥ هـ)

١٠١- التنبيه والاشراف، تصحيح ومراجعة عبد الله اسماعيل الصاوي، دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف، ١٣٥٧ هـ ، اوفسيت مؤسسة نشر منابع الثقافة الاسلامية، قم .

١٠٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق وتعليق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، لبنان .

مسلم : مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري(ت ٢٦١هـ) .

١٠٣- صحيح مسلم ، دار صادر، ط١ ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤م ،بيروت، لبنان

المفيد : الفقيه محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ)

١٠٤- الارشـاد، تقـديم ومراجعـة الشـيخ حسـين الاعلمـي، بـيروت، لبنـان، اوفسيت النجف، ط٥ ،١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م ..

المقدسي : مطهر بن طاهر (بعد ٣٥٥هـ)

١٠٥- البدء والتاريخ، اوفسيت مكتبة المثنى، بغداد

المنقري : نصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ)

١٠٦- وقعـة صـفين، تحقيـق وشرح عبـد السـلام محمـد هـارون، نشـر مكتبـة ايـة الله العظمى المرعشي النجفي، قم ،ط٣، ١٤١٨ هـ

النسائي : أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ)

١٠٧- سنن النسائي، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان

النصولي : أنيس بن زكريا(ت ١٣٧٧هـ) .

١٠٨ – الدولـة الامويـة في الشـام، تعليـق واعـداد الاسـتاذ فـؤاد اليـازجي، والاسـتاذ خالد منصور ،القيروان للنشر والتوزيع، بغداد ،العراق ، ط١، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦م .

النوري : الميرزا حسين الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)

١٠٩- كشـف الاسـتار عـن وجـه الغائـب عـن الابصـار، تقـديم السـيد عـلي الحسيني الميلاني، مكتبة نينوى الحديثة، مطبعة الخيام، قم، ط٢، ١٤٠٠ هـ

١١٠- اللؤلـؤ والمرجـان في آداب أهـل المنـبر، تعريـب الشـيخ ابـراهيم البـدوي، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م

الهيثمي : نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ)

١١١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢ هـ

اليافعي : عبد الله بن اسعد بن علي اليمني المكي (ت ٧٦٨ هـ)

١١٢- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢،١٣٩٠ هـ، ١٩٧٠م، أوفسيت مطبعة دائرة المعارف النظامية.

اليعقوبي : أحمد بن اسحاق ابن واضح البغدادي (بعد سنة ٢٩٢ هـ)

١١٣- تاريخ اليعقوبي، دار الاعتصام، ايران، ط١،١٤٢٥ هـ، .

المحتويات